# لجنة الناليف والنجمة والينهر

多流流

لاديت الهنيي اندر سموروا

نفتكه إلى الغية العربية

العدد السادس

عيرن لادبالفري

ئِيَةُ النَّالِيهِ <u>وَالنَّرْجِة</u> والنِبْهُرُ -----

> <sup>تاب</sup> حَياة دِرْرابْبِلَ

> > يلائيټالغ<sub>ا</sub>نئ *اندرىيمورو*ا

> > > هَنَهُ إِلَىٰ اللّهَ الرّبَيَةِ حيت محرُور

عيون لأدَبالغرب العددالسادس

النساعرة مطبعة لمثآليف والتجزوالييش ١٩٣١

#### المصادر

لا يسمح النظام المتبع في هذا الكتاب بأن أذ كر الكتب التي رجعت إليها في أسفل الصفحات ، على أنى أضع هنا على الأقل قائمة بأهم الكتب التي اعتمدت عليها ، وأحب أن أذ كر بوجه خاص فضل مستر كيكل (Mr. Buckle) على قان كتابه في حياة دروائيل يمتوى على أغلب الوئاتي التي اقتبست مها شيئا ، وأذ كر فضل المسيو إلى هاليثى (Mr. Elie Halfvy) فإن كتابه في تاريخ الشعب الإنجليزي في القرن التاسع عشر لمو خير مقدمة لمرفة الحياة الدياسية الإنجليزية ، وفضل المسيو جبريل مانوتو (Mr. Oabriel Hanotaux) الذي مساعدتي على فهم مؤتم رابي ومصاعبه ، وفضل مستر دزموند ما كارثى (Mr Desmond Mac Carthy) الله قسمى وحكايات قبية وزنات دلالة .

وقد حذوت حذو مؤرخی الا نجلز إذ اعتبرت قسة ممركه الدرسة واقسية وهی النی وردت ف كل من روابتی فیشیان جرای (Vivian Grey) وكو تنار بنی فلمنج (Contarini Fleming) .

وحاولتأن أن كون عادلاً نحو بيل (Pee) وجلادستون (Gladstone) بولكني أشير علىالقارئ الذي يريد أن يرى سورة الأخيرمنهما غيرمشومة بمرورها في ذهن دزدائيل أن يقرأ حياة جلادستون لجون مورلي (John Morley) ويتلو السورة الصنيرة البديمة التي رسمها له ستريتشي (Strachey) في مقاله عن الجنرال جوردن إذا خلست نياتهم . إذا خلست نياتهم . Strachey (Lytton): Eminent Victorians.

Tollemache (Hon. Lionel A.): Talks with Mr. Gladstone (Arnold).

Queen Victoria (The letters of).

West: A history of the Chartist movement.
Whibley: Political Portraits (Macmillan).
Whibley: Life of John Manners, 1925.
Zangwill: Dreamers of the Ghetto.

# القسم الأول

 إن الحياة لقصيرة فيجب ألا تكون ضئيلة ٥ وزرائيلي

### عهدار

في سنة ١٢٩٠ وفي يوم عيد جميع القديسين طرد الملك ادوارد الأول مهود إنجلترا بمدأن ظلوا محتملين فيها إلى ذاك التاريخ ، كان ذلك عهد الحروب الصليبية فأخذ الرهبان في جميع القرى يحملون في عظاتهم على الكفرة ، وطالب الشعب بإ أرة الحرب الصايبية في داخل البلاد ، فنرح عن إنجاترا نحو سنة عشر ألفا مهم وأصر الملك على أن يخرجوا في سلام فلا يتعرض لهم أحد ، وأطبيع أمر,. على وجه التقريب ، فلم يحدث من الحوادث غير أن أحد رؤساء السفن أنزل ركاب. السفينة منهم إلى نُتوء من الرمال تحيط به الأمواج ، وقال لهم : « كَتَـدْ ُعُونْ " موسى » ، ثم أقلع بسفينه فغرق منهم بضع عشرات وجوزى هذا الرجل بالشنق . وجد الذين نجوا من البحر ومن البحارة مأوى لهم في فرنسا على أن إقامهم لم تطل، فني سنة ١٣٠٦ شعراللك فيليب الجميل بحاجته إلى المال، فقرر أن يستخلص مال المهود ويخرجهم إلى أسبانيا ، وعرفوا السلام فيها مدة قرنين ، ثم أوقدت. لهم النيران، وبدا كأن هذا الشعب التعس لايستطيع الهجرة إلى أبعد من ذلك فهو أُخْيِراً على وشك الانقراض ، ولكن تنظيم الاضطهادات كان غير محكم ؟ وفي الوقت الذي أخذت فيه أسبانيا تقفل أبوابهــا في وجه اليهود شرعت جمهورية البندقية وجمهورية أمستردام ومملكة فرنسا تفتح أبوابها لهم ، وفي إنجلترا نفسها أدت حركة الإصلاح الديني إلى قراءة الكتاب القدس ، فتولد من المناة بأمرهم ما يشبه العطف ، وانخذ الغلاة من البروتستانت أمهاء بهودية وأخذوا في البحث عن القبائل التائمة . وفي سنة ١٦٤٩ قدم لورد فوفا كس اقتراحا بمودة بني إسرائيل وأُظهر كروموبل مبلا إلى هذا الرأى ، ثم أبده شارل الثاني . وهكذا بجمعت في لندن في أواخر القرن السابع عشر هيئة قليلة المدد من يهود البرتغال وأسبانيا ، وقد ارتق الكتيرون من هذه العائلات أمثال عائلات ثلاويال ومدينا ولارا إلى مصاف النبلاء فى عهد المالك العربية ، فكان هؤلاء يمتقرون بهود بولونيا وانوانيا الدين أخذوا ينزحون إلى النوب فى ذلك المصر على أثّر ثورة القوزاق ، ويأمِن أن يقبلوا هؤلاء الطنام فى ييتمهم .

فى سنة ١٧٤٨ وفد على مهود لندنت إيطال شاب هو بنيامين إسرائيلي أو دفرائيلى نشأ بيانة شنتو من أعمال قرارا ، وبحث من قبل عن النروة فى المبندقية «فينزيا» ، ثم أعتقد أنه قد يكون أكثر توفيقاً فى بلد أحدث وأكثر رخاء ، وكانت خطواله الأولى فى الحياة صبغة ، ضارب غضر ، وكائه قد حاق به الخواب ، ولكنه تزوج للمرة الثانية من امرأة حلت إليه دم فلاروال وبائنة مناسبة فدخل بورسة الأوراق المالية وكوئن ثروة ليست بالقلية .

كان رجلا سمح الأخلاق مراحا أنشأ في إحدى ضواعى لندن حديقة على
الطراز الإيطالى يقدم فيها لضيوفه المكروفة الفاخرة ، ثم بعد الأكل يتناول
الماندولين وينشد بعض الانانى الإيطالية ، وكان يشكلم اللغة الانكلاية مشوبة
بلكنة خفيفة فيتنزية تجمل اللهجته طلاوة خاسة ، فإذا ما شكلم كما نلك تستشف
من وداء الصباب الأسفر في حى المال بلندن بريق ذهب سان مارك والأوناد
المتعددة الألوان الى تشد إليها القوارب الفيتيزية أمام القسور الوردية .

ف خارج الأعمال كان مستر دزرائيلي لإنحالط البهود أمداً ، وليس ذلك عن عدد ، فهوبسيط طيب القلب يخشى أن يسىء أحداً ، ولكن اممأته كانت تتجنبهم خلو أمها مسيحية لصار لها بفضل مالها وجالها مم كز من أكبر المراكز في الهيئة الاجباعية ، فعى يتألم إذ والدت بهودية وإذ محمل نواجها اما ينه على يهوديتها ، وحاول ذوجها عبداً أن بهدى من سورة نفسها الجدايا ، ولكنها ظلت مثالة ممرية النفس عنقرة لجنسها ، ولكي رضها (وكذلك لعدم اهمامه بطبيعته) كان لابذهب قط إلى البيمة ، على أن اسمه ظل مقيداً بين أعضاء هيئة البهود البرتغالين ،

وكان دائمًا كريما وحذرًا فكان ينفق من حين لآخر بضمة جنبهات فى سبيل مرساة إلّـه إسرائيل .

\*\*\*

ولد لبنيامين وسارة ان ميماه إسحق أنار بجمهها ، فقد مقدا الآمال على أن يصير رجلا كبيرا من رجال الأحمال ، ولكن انهما كان باهت اللون خجولا ، لا يمنى إلا والكتاب في مده ، ويكره كراهية عجيبة أى نوع من أنواع الشاط السلى ، كان هذا الكسل موقط في نفس سعر ذرواليل رغبة في الهمكم عليه ، فيهدئ الأب من الشاحنات بأن يقدم هدايا للأم وللان ، وفي رأبه أن الول. التمس هو الولد الذي برغب في لمبة ، وعند ما فر ابته ذات يوم من المنزل ووجده ماناً فوق قبر قبله وهمه مهراً .

ف الثالثة عشرة من عمره نظم النلام شعرا ، وارعج مستر دزرائيلي طل الرغ من المحمد و تفاقله ، فإن الديه صورة من رسم هوجارت تثل شاغراً عوت جوعاً في غرفة حقيمة بأعلى النزل . وأرسل إسحق في أول باخرة إلى أحد مراسلي أبيه في الخلاج حيث فضى الثلام أربع سنوات في هولاندا وفرنسا بحت رقابة مهب سادف أن كلاب حر الفكر ومن تلاميد الفلاسفة الفرنسين، ثم عاد الشاب وذرائيل وقد غذى بآزاء قولتير ، وصاد من المسجين بوسو ، ودخل منزل أوبه وهو في الثامنة عشرة من عمره في ذى غريب وشعر مرسل ، وعند ما حذا حذو لا أميل ، وارتى في أحضان أمه وهو يرويها بدموعه تراجت ، ثم ما حذا حذه في الستاء ظاهر.

ظل بنيامين دزرائيلي وقتاً ما يتملق بشيء من الآمال، ولكنه عميف موضوع القصيدة الطويلة التي كان ابنه ينظمها ، وهو مناهضة التجارة لأن فيها فساواً لبنى الإنسان، فعدل عن استخدابه في الأعمال وقرر أن يتركه حراً بعيش لميوله وحينتذ أنخذ إسحق دزرائيل فحياه نظاماً لم ينيره حتى الموت، فكان عفى نهاره فمكتبة المتبحث البريطاني، وهومكان الديد لايرىفية عندنداً كثر من سنة أوسيمة من القراء ، وهناك بخط مذكرات على الاوران الني علا داغا جيوبه ، وقد أراد في مدال الأمران بكتب قريخا للا دب الانجلزي ، غير أنه ما لبث أن غاص في بحرمن مبدا الامران بكتب قريخا للا دب الانجلام ، هو دورالجامع ونشر باسمه وعجائب الأدب، ، وهي مجرعة من النوادر نجيت مجاحا كبيرا وقررت مجرى حياته . وفي الخاسسة والثلاثين من عمره تروج امرأة سوة المطالح بسيطة تنسى مثله إلى أسرة من البهود الإيطاليين ، كان مجها حباً خالساً ، ولا يرغب صباً في شيء إلا أن تنقد من جميع للتاعب الماثلية ، وأن تمكنه من أن بهب سياة القراء ومدون الذكرات .

وتبين له أن هـــذا النظام يلائم شريكة حياته ، ومن تلك اللحظة صارت حياة إسحق دزرائيلي خاضعة لنظام لا يتبدل ، فبعد الإفطار يقصد إلى مكتبته وينلقها على نفسه إلى موعد الغداء وهو بقرأ ويكتب المذكرات ، وبعـــد الغداء يَقْصِدُ إِلَى النَّحَفُ البريطاني ليقرأ ويكتب الذكرات، وفي المودة يقف لدي جميع بائمي الكتب في طريقه ، ويعود إلى داره محملا بالكتب ليشرب الشاي ، ثم يغلق على نفسه باب مكتبته حتى وقت العشاء مع الكتب التي اشتراها في بهـــاره وهو يقرأ دائمًا ويكتب المذكرات ، وإذا قصد إلى النادي فإيمًا يفعل ذلك لينقل مكتبته على قصاصات من الورق ؛ فهو يحب الكتب كما يحب غيره من الناس النساء والأفيون والدخان، والكتب لديه مخدر عذب بجمله ينسى الحياة؛ وكان محترمًا في الأوساط الأدبية ، وله أصدةاء ممتازون ، ويحبه الناس لطيب معشره وبمده عن الفرور . وكان بيرون بقرأ في سرور مجموعات دذرائيلي الصنيرة حيث يجـــد في حيــاة عظاء الرجال ومتاعبهم وأطاعهم قصصاً مهدى ُ بعض نخاوفه ، وكان اسم بيرون أيضا محترماً في ذلك البيت ، إذ أن إسحق دزرائيلي على مذهب ڤولتير فيا يتعلق بالدين ، وكان في السياسة محافظاً ، ولكنه برى كل نظام صالحاً ما دام مُحكن الرجل ذا الثروة التوسطة من أن يستمر في جم النوادر الأدبية من غير أن يشغله شاغل .

#### المدارس

ُسمى الابن الأكبر لاسحق دزرائيلي باسم جده بنيامين وولدت تبــله ابنة سُميتسارة ، وكان الأخ والأخت منذ الطفولة متاً لفين تآلفاً كبيراً ، واقتصر مستر دزرائيلي في دور الوالد ، على أنه بين حين وآخر يشد أذن ابنه مداعباً ومظهراً في ذلك عدم التوفيق الذي يصاحب رجال المكتبات، أما مسز دزرائيل وهي بطبيعتما امرأة سريعة الاندهاش والارتباك فكانت تصنى في احترام مشوب بالخوف إلى الآراء غير الفهومة لديها التي يلقيها هذان الطفلان الناميان قبل أوانهما ، وتحاول بنجاح أن تجعل من خصلات شعرها حلقات ، وكان الطفلان يحبانها حب العبادة على أنهما لا يموحان لهـــا بحقيقة ما يكنانه في قلبيهما ، وهما يمجبان بوالدها كثيراً ويمتقدان أنه كاتب كبير جداً ويحبان وجهه الجميل، ولكنهما فهما أن لا فائدة من أن ينتظرا منه الاهمام بشأنهما ، فهما يريانه في ساعة الغذاء وقد لبسطاقية من المخمل فوق شعره الرمادي وهو مشرد الفكر وصامت، ويعرفان أن أمنيته الوحيدة هي أن يمود إلى كتبه ، فإذا احتجزه أحد أو قطع عليـه عمله أظهر أدبًا كبيرًا يُشعر بأنه متضايق، وإذا تـكلم إلى ولديه لم يذكرَ الحياة اليومية وإنما يتـكلم عن أعماله وأبحاثه ؟ وقد أخذ في كتابة مؤلف عن حياة شارل ستيوارت فهو يحب أن يفسر لها أنه أبعد الناس عن الطاغية ، وأن ذلك اللك الفارس الجيل هوملك شهيد وصار حب أسرة ستبوارت وكراهية الطهرين هو الدين الوحيد في ذلك البيت . ف أيام الآحاد تذهب الأسرة على الأقدام إلى منزل الجد والجدة دزرائيلي فيسيرون في طريق طويلة مملة يجدون في نهايتها الجدة السيئة الطباع التي تقرص خدود الأطفال وتنتقد سلوكهم في شدة ولا تقدم لهم قط فطائر ، غير أن الجد يهجهم قطع النقود ويعزف لهم على الماندولين ، ويحدثهم عن إيطاليا . كان بنيامين السغير بحب هذه الأحاديث لاسيا ما كان منها عن فينيزيا وبحب أن يتخيل تلك المدينة حيث النازل من أحجار موشاة كالدتنة والأسقف مكسوة بالذهب ، وبروى الجد أن الدائلة أهامت طويلاً في إيطاليا ، وكانت من قبل في عهد فرديناند وإزا بالملا تقيم في أسبانيا ، وتختلط مع إيطاليا ، وكانت من قبل في عهد فرديناند وإزا بالملا فا ذا فكر بنيامين الصغير في المسادولين والمكروفة لدى جده قوهم أيضاً منظر الدائر والمداد المزرك بالأوان الزاهية في بلاد الترف والشمس ، وكان أحياناً بينام محت شجرة في الحديقة المنظمة على الطراز الإيطالي ، ويحلم فيخطق لنفسه مناظر عجبية خلابة بقابل فهما علوقات كاملة الحسن كنارس انجلزي شاب مجاه مناطرت ، وأميزة وهب لها حيانه ، وأنهم الثلاثة ماهوا في فانة وجن الليل وغشى مناطرت ، وأحديدة ولى بنيامين الزعامة لأنه كان داءًك هو الذى يدبر وينتصر في أحلامه .

أرسل بنيامين وهو لا برال صغير السن جداً إلى مدرسة مس روبر ثم إلى مدرسة النس تولى ندريس مدرسة النس توتيكاني وهي دار محترمة كانت فيها ابنية النس تنولى ندريس الاخلاق وضيل المدرس و أنه لم يكن من دين زملائه ولا من جنسهم ، وأشكل عليه فهم ذلك الأحر، فإن معزلهم الشيد بالطوب الأحر (عدخه الأغربيق ودرجة الثلاث وسوره من قوائم الحديد أمام الرسيف) إنها هو منزل إنجلزي حقى أوابو ، فو الطاقية من المخمل الأسود والوجه الوردي الحليق بيناية ولنته الجياة المختارة مو كانب إنجلزي و وقد تنيز « بن » القراءة في كتب علمه الدوسة دفعو إلى الشوم إلى اللهد هي أغابي إنجليزية ولكن في المحد عن المنايزية ولكن في إلا واحداً من غير البحر وغش في إبل في اللهد عي المحدث عنه الكتاب المقدس والذي عبر البحر الأحر وعاش في إبل في الأمر وبين المبسد في أورشلم فنا هي علاقته بهم ؟ في السباح إذا ما ركح جميع طلبة الفسل المسلاة جماعة بجب عليه هو والهودي المسياح إذا ما ركح جميح طلبة الفسل المسلاة جماعة بجب عليه هو والهودي المسياح إذا ما ركح جميح

أن يبتمدا ويظلا واقفين ، ويأتى إليهما في الأسبوع مرة كاهن إسرائيلي بملمهما العبرية وهي لغة غير مفهومة 'تكتب من العين في حروف مثل رءوس السامير . وعرف دزرائيلي الصغير أن هذه النظم تباعد بينه وبين أسرار الاشتراك، وأن لما في أعين أستاذه وزملائه طابعا مضحكًا بعض الشيء فتألم لذلك، فهو متكبر و ود لو أُعجب به في كل الأمور ، وإذا لسب التلاميذ لسبة الجياد يأبي أن يكم ، وقد تألم بنوع خاص لأنه لا يحب سرجيوس ومن المكروه لديه أن يُشَـدُ مكذا إلى محلوق قليل الشأن ، أما النامان الذين اتصل بهم « بن » فلهم شعور شقر وعيون زرقاه، وكانت بديههم أقل سرعة من بديهته ولكنه كان يحبهم بمجامع قلبه ويظهر معهم صبراً عجيباً ، فهم جوز الصغير ان الطبيب وكان يروى له في أثناء النرهة بين الدروس قصصاً عن اللصوص والناور ويصحبها في الوقت ذاته ترسوم مخطوطة بقلم الرصاص ، وإذا أنى بكتاب جديد جلس جونز الصغير إلى جانبه ويقرآن معاً ويبلغ جونز منتصف الصفحة بينما يقرأها «بن» بنظرة سريعة وقد استعد لتقليمها . ولقد قرأ من قبل في الكتب كثيراً وسمع عن الكتب من أبيه كثيراً حتى ان علمه بالكلمات صار واسعاً فلا يقف أمام النصوص الصعبة ، أما جونز الصغير فيتمد ويسرع في التلاوة فيحزر « بن » متاعب صديقه فيبسم قليلاً ويقول له في رقة كبيرة : ﴿ إِنِّي أُستطيع أَنْ أَنتظر ﴾ .

في الساء في غرفة الذاكرة يتحدث «بن» وسارة كثيراً في شــأن تلك
الشكلة الغربية بين الهود والسيحيين ، فلماذا يأخذ الناس عليهما مواماً لم يختاراه
وليس لها عليه من سلطان ، إذا سالا ألمها إسحق دفرائيل تنسير هنا الأمره هزّ
كتفيه وهو الفيلسوف الذي يستق مذهب ثولتير فــا لذلك مدنى لديه وإن عي
إلا خرافات وهو لا يختجل قط من يهوديته بل هو على المسكس يتحدث في غفر
كبير عن تاريخ جنسه ، ولكنه برى من المنحك حناً أن يحتفظ في عمر العقل
تراسيم وعقائد وضعت لحاجات وذكاء قبيلة من العرب الرحل منذ بنسمة آلافه
مضت من الأعوام وقد حذا حذو أيه، وفي سيل مرضاة ظل اسخه متعداً في يمة

اللهود وهو يدفع الرسوم المقررة ، وسمح كى لا يدخل فى مناقشة تضيع عليه بضع ساعات من قراءاته بأن يأتى ذلك السكاهن ليلتن ابنه اللغة المعربية ، ولسكنه لايستند فى أى مذهب ولا يقوم بأية طقوس .

على الرغم من موقفه هـ خا بل رعا بسبب موقفه علم ذات يوم فى سنة ١٨١٣ أن بود لندلت الفخورين بمكانته الأدبية اختاروه رئيساً لهيئهم فنضب لذلك ، وكتب لماعته إليهم رسالة شديدة اللهجة قال فيها : « إن رجلا عاش بميداً عن أوساطكم فى حياة الدولة ولا يستطيع أن يشترك فى سلواتكم لأنها فى حالها المحاضرة تفضى على الشعور الدينى بدلا من أن تذكيه ، وقد أكننى بأن يمتمل خطاً من مماتكم وهو على استعداد للتساهل الكبير فى أمور ليستهامة لديه — رجلا مثل هـ أن لا يمكن أن يقبل وظائف هامة بينكم لو أن لديه ذرة من العقل واليعرف » .

فَحَمَّت هيئة البهود على ذلك الرئيس برغمه بغرامة قددها أربيون جنها رفض إسحق دفرائيل دفعها فتركوه مدة ثلاث سنوات ، ثم عادت هيئة البهود لمطالبته بدغم النوامة ، ومات في همذه الأثناء الجد بعد أن احتفظ تسمين سنة بهدوته وظرفه على الزغم من زوجة مؤلة وان خلب أمله فيه ، وجوبه قطت السلة التي كانت ربط هذه المائلة بالبهودية الماملة ، لذلك ود مستر دفرائيلي على مجلس المبهود طالباً رفع اسمه من تأمة المؤمنين فإن هذا الرجل السهل قد ينقل عنيقاً إذا ساحوج في هدوئه .

لم يعد بسد ذلك بهودياً ولكنه لم يصر مسيحياً ، وظل فى ارتباح نام لتلك الحالة الوسط ، ولكن أحد أسدناه وهو الثورخ شرون ترتر لاحظ لديه أن سالح أولاده فى أن يتبعوا دين النالبية من الانجيليز ، فالأيناء غاسة سيجدون الكتير من الأعمال مثلقة أسلمهم إذا لم يسمدوا ، حيث أن البهود مثل الكانوليك عورمون من الحقوق للدنية . كان مستر وذرائيل كبير الاحترام لترتر لأنه أول من درس المخطوطات الانجلوسكونية فى التحف البريطانى ، وكذلك ألحت عليــه الجدة الجميلة الجافة التى لا زالت تحتفظ بذكرى ما قاسته فى شبابها فى أن يخلص أحفادها من علاقة كثيراً ما تألت لها ، اقتمع إسحن دزرائيل أخيراً وظهرت كتب العقائد والصلوات المسيحية فى البيت، وذهب الواحد بعد الآخر من أولاده إلى كنيسة سانت أمدور حيث تم تعميدهم .

بلغ بنيامين عندالد الثالث عدرة من عمره ورؤى من المستحسن أن يسحب تغيير الدين تغيير الدرسة ، فإلى أي برسل ؟ مال أوه إلى مدرسة إيتون ، وضفيت أمه ألا يكون فيها سعيداً ، ومن المحقق أن مقابلة إيتون المهودى الصغير الدى أبدل دينه لا تبحث على الاطمئتان ، وأراد « بن » أن يجرب حقله ، لكن المغير تفلب على الوالدين ، وحدث أن مستر دزرائيل كان كثيراً ما يقابل لدى باعة الكتب القس كوجان وهو يشترى الطبعات النادرة وعرف بأنه الراعى الرحيد من غير أبناء الكنيسة الرحمية الذى يعرف اليوفانية ، فرجل مثل هذادائب القراءة لهو دجل كامل ، وعلى ذلك تقرر أن يعهد إليه في « بن » وتربيته .

\*\*\*

مدرسة الدكتور كوجان يت قديم غطته أغسان اللبلاب ، وتوجد على حوائط الفسول العاربة التي تحوط المقاعد من البلوط لوحات كبيرة كتب عليها ﴿ أَنَّا الطريق والحق والحياة » . مجمع حول الطالب الجديد جمهور متطلع و ناقد مؤلف من سبعين تلميذاً فإن ملابسه كانت بادية الأناقة ، وقد أثار دهشهم حسن هندامه الزائد عن الحد ولون بشرية المثال من البريق مع ميل إلى الاخضرار ووجهه الجيل الأجنبي ، نظر إليه هؤلاء الزملاء الجديدون نظرة الاهنام بخالطها شي م من السخرية ، ونطلع هو إليهم أيضاً في جواة وقابل هذه النظرة بالنظرة ، تقرر أنه أن بواجهم جما وأن يقابل السخرية بالصفاقة عند المناجة ، وكان يكرد لفسه إذا غلبه التأثير : ﴿ إمم المنح بنعه أطفال ممالين فيجب أن أنتاب علم » .

 ولكن إذا ما أخذوا في الإنشاء والتحرير رأى الكتيرون من النمان أبه ينتج أمامهم طال جديداً من المواطف والآراء، وسار زملاؤ، يكررون ألفاظه وعباراته وينقلون أشعاره ليطلموا علمها أخواتهم وبنات أعمامهم، و ونشأت حوله عصبة من المجدون ، وعلى الرنم من كراهيته للحركات المنيفة تتلبت على سجيته الأطاع ، وعمد بنظام إلى رواضة نفسه التفوق في الألماب الجسدة ، فاشتهر بين زملائه ، وتبوأ سريعاً من كن الوعم منهم مما أسكره ، وكان إذا خلا لنفسه أحب أن يصور نفسه في مم كن رئيس حكومة أو فائد حيين ، ولا بدأن في ذلك لذة .

ولكي يوطد من سلطانه ألف على الرغم من نظم المدرسة فرقة تمثيلية ، فهو يجب المدرح مج شديداً ، وعند ما أسنى يجب المدرح مج شديداً ، وعند ما أسنى المرح المرح المنتقة ورأى تلك الحوادث اللدهنة تملكته المنة كبرى ؛ فقد وجد أخيراً عالما مؤلفاً من مخلوقات توافق مزاجه تقوم بإعمال عظيمة ، وتشكم كما يمثكم أبطال أحلامه . . . ألف فرقة ، وكان فيها مديراً ومنظا وممثلاً أول ، ومضى الأسبوع ، وأخذ ينم بهذه الحياة الجديدة ، ويشتع بسلطته وقد بلغ السادة الكاملة.

تلك مى حاله فل بر تجمع العاصفة ، وجد فى النجاح لدة على فى سذاجة أن غيره يشاركه فيها ، ولم يكن حذواً فى إظهار احتقارة لكل بطء فى الفهم ، وكانه على الرغم من مياه التعميد لا تزال فيه بذرة الكفر ، وكان أله أعدائه زعماء الفسول من الطلبة الدين ظلحاً يحكون بلا شريك إلى ساعة وسول هذا الطالب فى الشمر الموسل فى حلقات سوداه ، تضايقوا لسلطانه السحرى القيائم على اللذة والتدي عا إلى جانب سلطانهم ، فأفشوا للسيد كوجان أمر، مدير الفرقة التمثيلية .

غضب القس كوجان غصباً شديداً ؛ فدخل الفصل وألق خطبة عن تلك المادات الجديدة الفساخحة ، وقال : ﴿ لَمْ أَرْفَطَ فَي تلك العائلة التي نؤلفها هنا ما يمائل هذا الأمر، فهي بلا ريب روح غربية أثرة لا تستطيع اكتساب عقلية هذه المدرسة وهي التي درت هذه الأمور » .

طربت المارضة والتقطت هذه العبارة، وفى فترة النزهة التي تلت الخطبة هزأ جماعة من الطلبة وهى تمر بجانب دزرائيلي الصفير ، وصفر أحدهم فالتقت دزرائيلي

وقال فى هدوء : « من الذى صفر ؟ » تقدم إليه أكبر زعماء الطلبة وهو يقول : « يكفى ما لاقيناه من قيادة

علم إليه ! نهر رحمه التعلبه وهو يمول . « يعنى ما دقيمه من عاده الأجنبي » ، فلطمه دزرائيلي بقبضته على وجهه ، والتف الطلبـة في دائرة حدار التلاكدن .

كان دزرائيل أسغر جسها وأقل قوة، ولكنه كان سريماً كثير النشاط على قدميه ولاكم في كبير وفي شجاعة جريقة، ولم يلبث أن أسال دم غريمه، وما كان أشددهمة طلبة للدرسة عندرة يهم زعيمهم الشرعى وقد بدأ يققد رشده وأخيراً سقط، وقابلوا سقيط هذا النظام في صنت.

رمما كان تلاميد القس كوجان لا يدهشون كثيراً لو أنهم علموا أن النتصر يتلق سراً دروسا في الملاكمة منذ ثلاث سنوات .

## برومل والقديس أجناس

طلب الذكتور كوجان إلى مستر دزرائيل أن يسحب ابنه فى أفرب وقت، فعاد « مِن ٥ إلى منزله وإلى غرفت وإلى العطف الستمر من أهله ، 4 يشمر قط غلام مثل شموره بالوحدة ، وبأنه سيد على حياته . كان أبوء أكثر رفقا به ، ولكنه كذلك أكثر بعداً عن الحقائق من ذى قبل ، وأمه التى فاقها بمراحل تسجب به فى هدوء وسعت ؛ فلم يجد غير سارة يتحدث إليها عن الستغبل .

ينم الخامسة عشرة من خمره، ورهنت الحوادث أن المدرسة خطرة عليه ، وأنه إن ذهب إلى الجامعة بجد مثل هذا الاضطهاد وهذه الكراهية فاذا ينمل ؟ ولكن قبل ذلك ماذا رغب ؟ بعد اضطرابات العالم المدرسي الصغير ، وذكريات تلك العسائس والنجاح والحروب المسغرة تبددت النبيرم ، وتكشفت له مناظر ماونة وواضحة ، و يمز من بعيد مطامع واسعة كما يتميز القام إلى المدينة من بعيد أراجها العالية التي تنسلط عليها ، شعر أن الحياة لا تطاق إذا لم يصر أكر الرجال ، لا أحد كبار الرجال ، وإنما أكبر الرجال فعال ؟ فالفي إمير أكبر لانطمان إلى غير الانتصار ؛ إن عليه تأراً وهو يشعر بأنه قادر على أن يقاره ، لكن من يفسر له الحياة ، وف أى طريق يسير ؟ هل يكتب ؟ إنه يعرف الإخلاص من يفسر له الحياة ، إنه ربد أن يلمس المجد « فن يتردد فى أن يصير هومدوس أو أكبرهم لم يشعروا إلا بعد الموت ، ولا محفل « بن » كديراً بالنجاح الذي يأتي بعد انتهاء الحياة ، إنه ربد أن يلمس المجد « فن يتردد فى أن يصير هومدوس أو بعد انتهاء الحياة ، إنه ربد أن يلمس المجد « فن يتردد فى أن يصير هومدوس أو فيها الأطفال من سهما ، وبرى فى هذه الحفلات المكتدر المستقبل وهو يقمى ذها وجيعة ، وقد وضع مده في جيوب سرواله الشديد المنتقبل وهو بلهت الدول حزين عليه مظهر الأمى والقلق فكانُّه «جاليفر» بين الأقزام «الليلوبتين» .

النقيجة الأولى التى وصل إليها إذ أخذ فى غمص نفسه غممًا لاشفقة فيه أثنا, الأسابيح الأولى من عودته أن ثبت لديه أنه على جهل نام ، و'خيَّل إليه أن من الواجب أن ينشىء عقله من جديد مبتدنًا بالأساس ، فوضع خطة كبيرة للممل ، وقرر الاعتزال سنة للترود من الدراسات .

كان أبوه براه كل صباح بعين الشفقة والشك ، وهو يدخل الى المكتبة ويعود عملا الكتب ، وفى كل مساء بحنط فى مذكراته بيان ما قرأه : «هوم الجملة ٢ يونيه وسيان - تيرانس - الأدلف - ويظهر أنها شيقة - المذراد - فرجيل : الكتاب الثانى من القصائد الجيورجية ، وهى تبتدى ابنهال غفم إلى باخوس ، ثم تنتقل مع الأسجار - محسير اللغة أمم انتقل مع الأسجار - محسير اللغة اليوانية - الأجرومية ، ، وفى يوم آخر : « لا أحب دعوستين على الرغم من أن خطبه مثبئة بالفضلة والوطنية والشجاعة ، فالتاريخ بروى لى أنه كان رجلا غادما ومتحزا وحيانا » .

كان هذا النلام الكبير ينقل ف سائر غرف البيت وهو يحتذى حذاه الذل المدلاً كواما من القواميس ، ورجه بلا جدوى مستر دزرائيل الدى أف النظام بأن يتخذ مكانا خاساً لعمله قائلا: « إنى أرجوك ياولدى الدز أن تنظم أوراقك بمض النظام » . وإن مما لا برناج له مؤلف « عجاب الأدب » أن برى ابنه وهو يتكب في شغف على دراسة كاريخ المسائس في فينيزيا والريخ الأنظمة الدينية الكبرى ، فهذا النلام يسر لكل ماعليه مسحة من الأمرار ، وهو دائي البحث في التفعم » وعبلس البشرة في التفعم » وعبلس البشرة واليسوعين ؛ قرأ ممازاً حياة القديس إجناس دى لو يولا وأعب بشجاعته ، وكان سؤال إجناس لغضه ؛ « ماذا أضل لو صرت قديماً حي أنفوق في القدامة على دومنيك وفرنسوا ؟ » هو السؤال الدى يسأله لنفسه عن دعوستين وسيشرون

حزن مستر إسحق دزرائيلي لهذه الآراء ، كيف ؟ ألهذا وصل ذلك التلميذ الذي غذاه بأفكار قولتير العزيز الده ؟ وهل بخرج الما لم الجاحد عالما متصوفا ؟ وهومع ذلك غريب في تصوفه لاينجذب نحوهذه الذاهب في بساطة واندفاع ، بل قد يقال إن العقل هو الذي دفعه إلى الفرار من العقل، هذا ما أثار قلق مستر دزر اثيل ، ورأى من الضروري على الرغم من كراهيته لأي مجهود أن يتدخل وهو يأمل في أن يوجه ابنه إلى أغراض أبسط وأجدى من الوجهة العملية . وقد عرض عليه مستر ميباز أحداً صدقائه وهو محام من الشتغلين بالعقود أن يتخذ من بنيامين كاتماً لسره، وكان المستر ميبلز إبنة فكر أنواها فيمستقبلها ، وانكمشت نفس بنيامين لمجرد تفكيره فيأن مدفن في مكتب عام ، وكان يقول : «الحاماة ! ما أسحف هذا ! نصوص القوانين و نكات محجة إلى الأربعين من العمر وينتعي المرء إذا صارت الأمور ميسَّرة إلى الإصامة بالنقرس والإنهام بلقب وراثي، ومع كل فالنجاح في هذه المهنة يتوقف على الاطلاع الواسع في القوانين، ولكي يصير الرجل قانونياً كبيراً يجيب أن يتنزل عن فـكرة أن يُصير رجلا عظيا » ، فقال له مستر دزرائيلي : «حذار يا ولدى العزيز من محاولة أن تكون رجلاعظيا فأسرع وقت، إن شبان اليوم لا يريدون أن يمروا في مهن بطيئة وشريفة ، و إنى لخائف جداً عليهم وعليك» ، وقال أيضا : إنه يأسف إذ ري ولده وقد كون مطمحًا بسدا كهذا لأن نشأته وجنسه يقفلان في وجهه طرقا عديدة ، وإذا فرض أنه على حق فأن يرتفع في الطموح إلى مستقبل باهر ، فلماذا لايبتدي \* بمشاهدة الناس من ذلك المرصد الجيد الذي هو مكتب المحامي الكبير ، وليس . هنالك ما يحول دون أن يتخذ فيما بعد طريقاً آخر .

تأثر بنيامين بهذه الفكرة الأخيرة ، فهو حقًا لا يعرف الرجال ، وهو برغب في أن يعرفهم ، وقد تعلم من قراءاته أن الكثيرين من أقوياء المقول فشلوا لأميم أرادوا أن يفكروا وحدهم وتجاهلوا دراسة الجمهور ، فن الواجب أن يختلط الانسان بالجمهور ويقف على مشاءر هذا الجمهور ومواضع النصف فيه ، ووجد في خوافة جويتبر الذى تشكر في ذي حيوان لكي ينجح في بعض أعماله على الأرض مثلا سالما لحلف الفكرة .

\*\*\*

دخل مكتب المحامى في ساحة فردريك ، ورأى في غرفه موكبًا من رجال السياسة والمال والتجارة ، واستمر في المساء على قراءاته في مكتبة والده ، وأحيانا مدعوه رئيسه إلى داره فيقسابل زوجات صغيرات السن وفتيات ، وكان منظره ساراً ، فله عينان لاعستان وأنفه مستقيم ، وله فم عصبي ، ولون بشرته ممتقع عجيب وإذا خاطب النساء أو تـكلم عنهن بدعى الجرأة وعدم المبالاة ، وهو ادعاء معقد لاشي من خوفه من أن يكون محدوعاً ، ومن الحياء الكامن فيه وعدم خصب خياله ثم عن عَمَّـد الظهور مهذا الظهر ، وقد قرأ بنيامين قصيدة دون جوان وكان يعتبر بيرون إلَّـه ولا يعرف عن الشاعر، غير ذلك الجانب الذي يريد الشاعر، أن يظهره . وكان رومل في ذلك الوقت حديث الناس مع تصنعه وصلفه المجيب، وهو مثال الرجل الذي نشأ في وسط حقير فهو حفيد بائع حلوى ، ومع ذلك صار ذا تأثير على جميع أبناء الأعيان في لندن بمجرد الزهو والاحتقار . ولقد عرفنا كبرياء العظاء والأقوياء والعلماء المزهوىن ، ولكن هذا الرجل المتجمل كان يمثل الكبرياء الطبيعية التي تستمد قوتها من نفسها . وهنالك أمثلة شهيرة تدل على نجاح هذه الطريقة ؛ وأراد دزرائيلي أن يحاول ذلك في عالم رجال الفانون من الطبقة الوسطى فأخذ يسرف في أناقة اللبس، فثيابه من المخمل الأسود وأكمام قميصه من الدنتلا وجواربه من الحرير الأسود برباط أحمر ، وأخـــذ يحدج النساء بعين وقحة وبجيب الرجال وهو يرمقهم من طرف كتفه ، واعتقد فى الحال أنه أخذ برى

النتائج السميدة لهذا المظهر ، فإن نساء متروجات وأحيانا جميلات كن ينظرن إليه في ابتسامات بحسده علمها مجمّق من بلغوا الشهرة من الرجال .

كان أبوء كثيراً ما يصعبه المشاء الدى جون مرى المسر الكتب ، وهنالك يلتق بالكتاب المروفين ويستمع لأحاديث متمه الديه ، ورأى هنالك صموثيل روجوزوتوم مور صديق بيرون الذى وسل من إيطالبا بسد أن قابل الشاعر، وسأله مستر دزرائيل : « قل لى هل تغير بيرون كثيراً ؟ » فأجاب : « نم . انتفخ وجهه وتضغم جسمه وشاب شمره . وفقد مظهر النشاط الروحى الذى كان له ، وتعلمت أسنانة وقد أبدى أنه يجب أن يأتي إلى انجاترا لاستشارة طبيب عنها » ، وأخذ الشاب بنيامين يصنى إلى الحديث بكلتا أذنيه فإذا ما عاد فى الليل شرع يدون ماسح .

راقب الناس وفي الرقت ذاته راقب نفسه بعين ناقدة ، فرأى أن بعض أصدة، أييه يسرون لسرعة خاطره وسداد ردوده ، والبعض يستاه لتطاوله وبراه الكثيرون متصنما لابطاق . وحيث أنه لايستطيع أن يكون غلصا في أقواله خوفا من أن يبدو مضحكا فقد أخد يجمي أحاديثه بالنكات الدأمة ، وإذا حاول أن يقلل من القول اللاذع جامة ذكرى الإهافت التي تعرض لها في للدرسة كثيمانان يتملك فيرى أن المهجم خير من الخنوع ، فاذا ما جملت منه مهارته الكبرى في تصيد سخافات الناس عدواً خطراً أثب نفسه وفرض علها وياضات روحية كما فعل «لوبولا» و كتب في مذكراته : «قول . . أن أكون دائماً غلسا حريماً مع السيدة . . . ولا أقول لها قط غير ما أفكر فيه — ولا سخرية أمامها وإن كانت تعتقد بنعوق في السخوية »

أخذ يمل مكتب عمله فى ساحة فريدريك ، وقالت له الفتاة التى أعدت للزواج منه : « لا . لا . إن لك من السِقرية مالا يصلح لتلك المهنة وهذا الممل مستحيل عليك » ، فأسرح إلى النجاة وكتب يقول : « إن النجاح المتأخر ليس بنجاح إذ معناه أن يصل الإنسان فى وقت واحمد إلى الخلود وإلى الموت ، فلنتسور قيمس الشاب وهو برى ذهاب شبابه فيكي إذا ما قرأ حروب إسكندر القدونى وليس انتصار ففرساله» تعويشا كافياً لهذه الآلام، ولتتصور بونابارت وهو رجل مجهول بحوت جوعاً فى شوارع باريس فما عذاب سانت هيادته إلى جانب مهارة مثل تلك الحياة؟ إن ذكرى العظمة النابرة قد تضيء أكر السجون ظلاما . أما المبيش فى خوف من رؤية نشاط خارق للطبيمة يضيع تدريجياً دون أن يأتى بالمجزات فإن شد المرم إلى عجة لتمذيبه أو سوقه إلى النطع لا يعادل ما يناله من عذاب مثل

قام برحلة إلى ألمانيا ملتمسا الراحة ، وقوّت هذه الرحلة من عريمته إذ شاهد مع والده القصور الصغيرة لاسمياء ألمانيا ، وتلك الجماعات الحلاية السميدة والسارح المجلة حيث بقود الجمر اندوق الألماني جوفة الموسيق بنفسه من مقصورة ، وقو بل بالترحل، وكانت موسيق الجند تعرف أثناء الطمام ، وظن الناس أن مستر وذرائيلي المجوزة الوجه النضر والشعور البيشاء قائد "إنجيزي ، وسُرَّ ابنه في باطن نفسه فان في الحياة لجالا وتنوعا لا يسمح بتعضية الشباب في مراجعة الملفات ، وقرر وهو يحتر فاذلا في المبار المناسقة أن يهجر تلك الطلاسم عندعودة .

#### أعسال

رأى دزرائيلى فى الأنهر الأخيرة من حياة بساحة فردريك أن الكتيرين معلاء المكتب بحرزون ثروة سريعة بالمنارية على مناجم أمريكا الجنويية .
كانتالستمرات الاسبانية والبرتنالية عندند ومى : الكسيك و بولينيا ويبرو والبرنال على أواب الثورة ، وأسما الوزر كانتج بسم البادئ الحمرة ، وحصل أربب المال من الإنجليز على اسبازات فى مناجم تلك البلاد ، وسر الشعب الانجليزي لأنه استطاع أن بجمع بين خدمة البادئ والمسالح ، وأقبل على أسهم سنا أن يسادب على الزول إذ رأى أن الارتفاع مبالغ فيه ، وصارب الشابان فى مناجم الأنجها من الأنهم ، فلما خسرا زادا من الأمهم واستعر الارتفاع مبدأ الأمهم واستعر الارتفاع فوجدا أن خسارتهما باشت نحو ألف من الجنبهات الإنجازية فقروا لجرأتهما أن يدرا المداور عن الزواع على الارتفاع منابع وأن يشاريا على الارتفاع على الدينا والمنابع وأن يشاريا على الارتفاع والمنتور الارتفاع بديرا المدافع وأن يشاريا على الارتفاع على الدينا والتحديد والدينا والمنابع وأن يشاريا على الارتفاع والمنتورا على المنابع وأن يشاريا على الارتفاع والمنتورات بالمنابع وأن يشاريا على الارتفاع والمنابع والمنتورا على المنابع والمنابع والمنتورا على المنابع والمنتورا على المنابع وأن يشاريا على الارتفاع والمنابع والنابع والمنابع والمنابع والمنابع والمنابع والمنابع والمنابع والنابع والن

اتسل دزرائيلي في أثناء هذه الماملات بجون وستون باوار أحد أسحساب الأموال المسيطرين في سوق الأمهم في أمريكا الجنوبية ، وتسجب باوار كثيراً لذكاء مذا الشاب وهو في الشعرين من عمره وأطهر اهمهاماً له ، وسر دزرائيلي لوصوله إلى عالم الله في والله ، ورأى عالم الله في الله ، ورأى باوال في مبدأ الأمريكية والمبدأ الأمريكية وطبعها لفائدة الجمهور ، وكان دزرائيلي على جهل عميق بأمور الناج ولكنه كبير الشعبة بفاء لل أن جع الملومات في بضمة أيام ووضع عجلةا صغيراً الدذا في القواة قدل المجته على الجد المجب ، وحل الناشر مرى صديق والده على أن يتول النورة ، وعجب مرى أيسات الشاب الجيل وقوقه في فن يتواه على الشاب الجيل وقوته في فنشات باوار و وعجب مرى أيساً لنبات هذا الشاب الجيل وقوته في

الإقتاع ، وكان قد رآه في حفلات عثالة دون أن يهم له ، وما لبث أن الدفع ممه في الحديث ، وتكلم إليه في ود كبير عن مستقبل عمله التجارى ، وكان مرى وسعة على الحديث ، وتكلم إليه في ود كبير عن مستقبل عمله التجارى ، وكان مرى وسد على مثال « التيمس » ، ورحب درزائيل بالفكرة إلا أن مرى بطبيعته رجل متردد حنر ، قالبت أن تراجع في فكرة ، على أنه كان أمام شخص أشد عربقة منه خنى ، فلاد الجريدة عى أقسى ما يتمناه الشاب دزرائيل ، ففهما القوة بحت رداء خنى ملايد إلى المناهلة الالأقذ ، مرى وبلو ووزرائيل نفسه ، أما كبت يسده هذا الأخير نصيه فذلك ما لم يفكر فيه ومديح رأس مالها ثلاثة : مرى ومديح رأس مالها ثلاثة على بدر الجريدة ؟ عرضت الدزرائيل فكرة هي أن يدى ملايد المناهل فكرة هي أن يدى طالبه المناهلة ويكون ، ولحكم يبيش في المؤون ، ولحكمة يبيش في المؤون الابت ويكن والمناهلة ، ولكن دره دزرائيل ليراه ويقنهه ، ولكن الجريدة قا حاجة إلى مراساين وصبلمة و مكان ، كل ذلك مدره دزرائيل ليراه ويقنهه ، ولكن الجريدة في حاجة إلى مراساين وصبلمة و مكان ، كل ذلك مدره دزرائيل .

حوصر مرى بالبراهين من كل جانب فلم يستطع القاومة طويلاً وتم الساقد على إنشاء جريدة يومية نصف رأس مالها لمرى والربع لباواز وربع لمنزرائيل . وسافر دزرائيلي على أثر ذلك موقداً إلى إسكو تلاندا وفي العربة التى حملته قرأ قاريخ فرواسار وشعر بسعادة كامة ، وفكر في فيطة أن المناص تأتى لفائدة المنامرين .

أظهر عناية كبيرة فى الاستمداد لهذا الشروع وانتفع بذكريانه الوسائل التى استخدمتها الجميات السرية الدنزة انهه، وترك لمرى اصطلاحات سرية تمكنه من الكتابة دون أن بذكر الأسماء، فسير ولتر سكوت هو « الفارس » ، ولوكهارت هو «مارى نفسه «الإمبراطور» ، وما إنوسل إلى أدنيرة حتى حل رسائل اعاده إلى فوكهارت الذى كان يسكن مذلاً سفيراً بابتسفودد فى الشيمة التي عشلكها حوء ، فَدُعي تما المنه البوالي كان من ودهش الكاتب حين رأى الداخل إليه غلاماً ، فعند ما قرأ أسم دزرائلي كان من

الطبيع أن يفكر فيالأب الذى تابه فيا مفى بلندن، وكان لوكهارت رجادً جلدةً ساخراً يحب التظاهر بعلمه شيئًا ما ويتباهى بأهمية حيه فرأى فى كل هذا الشباب إهانة وتابله مقابلة فى منهمى البرود .

شعر دزرائيلي أن شجاعته تحونه ولكن من طبيعته إذا ما داخلته الرهبة زادظهوراً بعدم البالاة ، فجلس في تؤدة وعظمة زادت من عمره نحو عشر سنوات وبدأ يشرح في هدوء ووضوح نلك الفكرة التي أعاها فكرة جون مرى وهي في الحقيقة فكرة بنيامين دذرائيلي ، ولكنه بعلم جيداً أن رأى شاب في العشرين من عمره قلما يجد أذناً ساقية ، لدلك كان من عادة أن يبتدع الحسكم ويعزو إلى الكتاب المعروفين أفكاراً لا يجرة أن يعبر علما بنضه .

وكانت المبادات تتضخى فى فه فهو برى لوجود بلوثر فى هذه الشركة أنها مؤيدة من جميع رجال المال وجميع ذوى الصلحة فى المناج وجميع رجالات أمريكا . وسمى اجذب إليه السياسيين كا أن الرزارة تسند، وبالجلة فالصحيفة الجديدة التي اقترح أن تسمى «النائب» هى أكبر مشروعات ذاك الوقت، وحلته رغيته الشديدة فى أن يرى الحياة قسة هنامهات على أن يرسحها بالوان زاهية أكبر بما يجب، حتى ان لوكهادت على الزغم من قلة ثقته دهن لهذه المحاسة ، وفى اليوم التالى قدم هذا الرسول الشاب إلى حيه .

كان سير ولتر سكوت فى ذلك العهد من أشهر رجال عصره ، يحج قواظل الأمريكيين إلى ابتسفورد فيجدون فيه رحاة مؤثرة، ويترهم فى حداثته الجملة أو يأخدم لسيد السيد المساورة المسلم أن رواية حي سار صورة لقصر بارون من أشراف إسكوتلاندا ، وهذا الأسلوب من الحياة كبير الفقات جدا حتى ان لشرى كتب سير ولتر بدأوا بنوون تحت تقل مطالب المقاولين على الرغم من شهرة الواسعة . وقوبل الإسرائيل الشاب الذي حل إلى زوج ابنته عرض من كز عمل مقابلة نغمة من هذا السيد ، فني مكتبته الجية وحوله بنع عشرة من كلاب

السيد راقدن على حجره أو مستندن إلى أكنافه أخذ يسنى في عطف إلى شرح هذا الشاب الذى أعجبته حماسته وخياله ، وكان هو نفسه يحب الأعمال فوافق على الفكرة ، ولكنه أصر على أن يكون ثورج ابنته مقمد فى البرلمان إذ يجب على مدير جريدة عظيمة أن يكون عضواً فيه فوعد بنياسين سهذا القعد.

وأستطيع أن أقول صراحة إنى لم أقابل شابا تعلق الآمال على مستقبله أكثر منه ، فعرفته بالطبيعة البشرية والجانب الدملي لجميع آرائه كتبراً ما بيمشق على الدهشة من شاب لم يكد يمدو الدشرين من عمره . . . وإنى أوكد لك أنه جدر بكل ثقة ، لأن الكبان من صفاته ، وإذا تحققت فكرتنا العظيمة فسوف تجدفيه صديقاً لا يقدر . . . »

عاد دزرائيل حاملا موافقة لوكهارت على أن يدير مجاة كوارترلى والجريدة ، وأن يمنح مرتبا قدره ألفان وخسابة جينه في السنة ، وما عاد حتى استاجر مكاتب للممل ومطبعة ، وعين أحد الألمان الدين عماضم في كويلنقس مراسلا، وأكد له أن هذه الجريدة ستكون مركز الأخبار في العالم جيمه ، وحصل على مراسلين في الكثير من عواصم أوربا وأمريكا الجنوبية والولايات المتحدة ، وأخيرا اعتقد أن كل شيء يسير في أحسن حال ، وأن ليس ما يحول دون ظهور الجريدة حين هبت على رأس بنيامين أشد المواصف . لم يكن وزرائيلي يمرف ما وراء الستار في على ممرى ، وأهمل الوقوف على وصفه أو استطلاع ما فيه بنفسه ، ولم يكن يتصور أن دخول رجل في مكافة لوكهارت يحدث شنا من الضجة ، على أن جون ولسن كروكر ، وهو كاتب وسياسي ممروف ووكيل لوزارة الحرب (١) ، ومن أشهر الأدباء الساهمين في الحجلة ولكنه وجل حرون وذو روح شربرة ، أوكان ما كولي يقول: أنه يكره كروكر كا يكره مسلوق السجل وهو بارد) ، غضب غضبا شديداً عند ما علم بالشروعات التي مع مرى ، وهذا أثق اللام على وذرائيل واتهمه بأن ترثرته كشفت عن مشروعات كان يجب أن تكون سرا ، وفي اليوم نفسه تفرياً هبطت أسعار الأمهم الأمريكية في سوق الأوراق المالية هبوطا هائلا ، وكانت فكرة الشايين الأولى سلمية ، ولمائل وحاق الخرابي والآسار وعن انذول المسائل وحاق الخراب بياواز الشهير في بسمة أيام ، وخسر دزرائيلي وسديقه المائل وحاق الخراب بياواز الشهير في بسمة أيام ، وخسر دزرائيلي وسديقه إينات نسبة آلاف من الجنبهات.

على ذلك صار وزرائيلي التمس غير قادر على الاستعراك في إصدار الجريدة بسمنته من بموليها ، ووجد أنه في الشرين من عمره محمل بديون لا يملم كيف يضها ، تخسر في الوقت ذاته أصدفاه، وماله وسم كزه ، وكان من المستطاع أن يظل على صلة بالشروع ، وهو أصر طبيعي إذ هو محرك الفكرة ، ولكن كرو كر يمقته وكان يدهش لو علم حقيقة هي أن لوكهارت يقته كذلك ، فقد احتمله إذ رأى فيه النفع ، ولكنه اعتبره مجود مناس ، وعلى ذلك أخرج في بضمة أيام من هذه الشركة التي أنشأها وكانت حيرته شديدة ، فقد عاش شهرين في جو من النجاح والثناء ، وعامله مهرى وسكوت ولوكهارت وأبوه جيما على أنه غلام خارق للطبيمة وظن نفسه معبوداً ، وظن ذلك في سهولة بلاريب ، إذ نشأ في أسرة بحنو عليه وتعجب به ، ولكن نسى هذا الأمر، فجأة ، وصار الجليع ينظرون إليه في غضب وتعجب به ، ولكن نسى هذا الأمر، فجأة ، وصار الجليع ينظرون إليه في غضب

<sup>(</sup>١) كان كروكر في الحقيقة وزير البحرية .

واحتفار ، وكأن الكارثة الكبرى قد حلت على أثر الانتصار . فالمالم أصعب قياداً مما ظن فى بادىء الأمم .

\*\*\*

عاد الداره حزيناً فاقد الشجاعة ، وكأن الروابط التي تحرك عقلو قد الحلت ، على الدى الحبيه ، أكد الدى الحبيه ، أكد له أن والده الدى الم يعرف أسوأ ما في منامهانه وهو دين السبعة آلاف جنيه ، أكد له أن من المضحك بمن لازال في سنة أن يقلى علا غير التفكير في فشله ، ولكن بعد أسبوع قضاء في راحة وقفكير وعاولة أن يفهم أن أخطا ، دهش لفضه إذ شمر برغبة ملحة في الكتابة أو على الأصح كتابة رواية ، فهذه التجربة الأولى المالم ، وهذه الوقعة وهذا الفشل ؛ إن هي إلا مأسنة شعر عِقاة بالحاجة إلى تصويرها وأن يخاق بطلاجة إلى تصويرها

وهو غلام لا يتردد في التنفيذ ولا يقل في عجلته لا نها، الكتاب عن عجلته في بلوغ الجدال المسال من عجلته في معلم المسال عن أمور الحياة يقضى أوقاته بين الكتب ، وهو مثله ابن لكاتب ذاهل عن أمور الحياة يقضى أوقاته بين الكتب ، وهو مثله طرد من المدوسة ، ومثله يتملكه الطمع السياسى ، وهو كثير الحركة في غرف، قاني طرد من المدوسة ، ومثله يتملك الطمع السياسى ، وهو كثير الحركة في غرف، قان ما يأتى : « في هذه اللحظة كبين نبيل وفيع النشأة يباعد بينه وبين الوزارة عاجته كان شخصال يتم أحدهم الأخر على هذه اللسورة فم لا يتحدان ؟ أخذ يبعث كان شخصال يتم أحدهم الأخر على هذه اللسورة فم لا يتحدان ؟ أخذ يبعث عمداً عن فوى وغيى ، ثم عمل على التسلط عليه بالمداهنة ، ووجد هذا القوى الني فيضاف حزباله ويتولى ويشخص المركز دى كوالمس، وعكن يثينان من إقناعه بأن يؤلف حزباله ويتولى جراى أن كل شيء مكن ، نم . قد يفشل رجال في الحياة ولكن السبب في هذا الفري المم من المدجاعة الأدبية والجندية ، ولكن ثيقيان جراى يسلم أن

فى العالم شخصاً واحدا على الأقل لا يعرف الخوف فى جسده أو فى عقله، ولدلك وصل إلى نتيجة ارتاح لها ، عى أن حظه من الحياة ان يكون إلا عظيا » ، وبعد أن اتخذ لنفسه نموذجا لبطله جمله دررائيلى فى شى • من الشدة الرائحة بفشل نحية للدسائس والأخطاء ، ثم أرسله جريما إلى رحة فى الخارج محاولا النسيان .

انتهى الكتاب في أربعة أشهر قبل أن يبلغ الؤلف إحدى وعشر بن سنة من عمره ، وعلى غير علم من أهله ، ولم يكن الكتاب ثالياً مرت المبزات ، فكل ما استطاع مزرائيلي أن يلاحظه بنفسه كتيباب فيتهان وأبيه والمدرسة كان حياً وحقيقياً ، وقد اتخذ في كتابه لهجة السخرية ؛ ومجدالناقد الفاحص تأثير ثولتير وصويفت ، وقد صاغ الحوار مما سمه لدى مرى وسير ولتر سكوت . أما القسم الذي اخترعه الؤلف ففيه في ومن مناهم الطفولة .

كان لمائلة دزرائيلي بار عام اسمه مستر أوستين متروج من سيدة ظريفة وكله وجيلة جداً تحب التصور ، ولها خبرة بالوسيق ، واشتهرت بذوقها الأدبي وقد اهتمت من زمن بعيد لبنيامين ، وعب إذا مازارت مسر دزرائيلي أن تقابل ذلك الشاب الجيل الذي تراء وما وهو رافة على بساط مهو الاستقبال بوت أكرام الكب ، وتراء في اليوم التالي وقد ترا من غرفته وفي يديه تقازا اللاكة وما ينعليان أكم فيصه الصنوعة من الدنتلا ؟ وفيمت لأول وهمة أن مظهر والم ينعليان أكم فيصه الصنوعة من الدنتلا ؟ وفيمت لأول وهمة أن مظهر الحفظة فيه لم يكن إلا تصنى ، كانت تنق به وهو يشق بها ، ويخلع أمامها المنطقة الذي الحفظة عن مظهر علم الاكتراث ويمود بسيط وخطسا يوح عضاونه وضله ورغائه ، وعرف فيها الإخلاص ، وذلك ما يصبعه إذ هو يخشى الحل، ، قالإسكندو وقيمر لم يمكيا قطراً كمين أمام امرأة والعجيب أنه ظل في الوقت ذاته علمياً واستعربيصث (كا فعل في أحلام الطفولة) عن مامأة عيية يقدم لها إخلاسه ، وأوجدت اديه معيز أوستين الماطفة النبية عن منام عجبة النساء دون أن يتقيد بالنبود التي توجد من الملاقة من عجبة النساء دون أن يتقيد بالنبود التي توجد من العلاقة ما النساء وهذا حسن بعداً

أسر إليها أنه يعمل في تأليف رواية ضرضت عليه أن تقرأها وهي عنطوطة يجير دانهائه منها ، فإذا رأت فيها النجاح فدمها إلى صديقها كولين وهو في ذلك الوقت أكثر الناشرين إقداماً ، فأرسل دزرائيلي المسودة إلىجارة الجيلة ، وفي اليوم التالى وصلته منها رسالة حاسية ، وانتقا لكي يثيرا فضول كوليرن على أن تقدم إليه الرواية من غير اسمالؤلف ولا يعرف هذا الاسم غيرها ودزرائيلي ، وزيادة في الجيلة نقلت الكتاب من ثابة بخطها .

كان كولبرن أسناذاً فى فن الإعلان فرأى لساعته ما يمكن أن ينتفع به من مثل هذا الكتاب اللازع إذا نشر من غيراسم المؤلف، فظهوت فى جميع السحف والمجلات إعلانات سغيرة تنبى عن قرب نشر رواية عن حياة المجتمع وضعها مؤلف لا يربد أن يكشف عن نفسه لأسباب ظاهرة ، وذكر أن الكتاب يحتوى على نقد لازع وأنه مجموعة سور حية يتألف مها متحف أهلى ، وأنه عائل إقسيدة يورون عن عن دون جوان إلا أنها كتبت نثراً .

أعدت هذه الجلة الجمهور فكان يجل رواية فيثيان جراى عظها ، وبيمت نشرات قبل إنها مغتاح لأسماء الكبراء الذن أنخذوا نموذجا فى وسف شخصيات الرواية ، وذكر اسم عدد من الرجال الشهيرين على أنهم مؤلفو الكتاب ، وسار الكتاب موضوع حديث المجتمعات جمياً ، وسر دزرائيلي وشريكته الجملة سر ورا كميراً.

ولكن حدث فجأة أن اكتشف السر إذ ياج به أحد الأتباع ، فنضب رجال المجتمعات غضباً شديداً عندما علموا أن الؤلف المجهول الذي امتدحوا منذ شهر ذكاه ومعرفته بالحياة الاجماعية الإنجلزية لم يكن غير فتى في الشرين من عمره بسيد عن هسده الحياة الاجماعية – وانقن المجلح على أنه كان من السخافة عدم شكهم في صغر نشأة المؤلف لما يتبين من لهجة الكتاب نفسه ، وكل أولئك الذين ظنوا في أضبهم أمهم إحدى الصور التي اعتذاها الؤلف موضوعا لسخويته وجدوا سروراً في أن يردوا إليه السخرية مضاعفة ماتة مرة . أما الدين الخذم

المؤلف عاذج حقا قند المنتد سخطهم ، وقد رأى برى أن المركز دى كراباس فام في علاقته بيفيان جراى في الرواية بدور بشبه دوره فنسب وقاطع في قسوة عائلة وذرائيلي باجمها ؛ ولاحظ أحد النقاد أن «طبقة المؤلف نهم عليها طربقته في الاصراد على موشوعات ينبو عن ملاحظها وجل الأوساط الاجاعية » ؛ وتكام ناقد أخر عن «الخامقة الخيجة التي كان لها الفنط في انشاد الكتاب » ؛ واتهم بقد" كالت المؤلف بأنه حصل على جمهود بأحقر الطرق وأكثرها إبذاء النفس وسخر طويلا من ذلك الرحم المضحك الدى ينتحله للؤلف ليظهر في مركز ليس له . . .

لا قرأ دروائيل هــذا الحكم القاسى أفلت الجريدة من يده وغاب فى ذهول عزن ، فقد رأى نفسه موضوعا السخوية وهذا أشد ما كان يخشاه فى العالم ، السخوية ؟ . . . أ يق أمامه غير الموت . . . حاول أن بضحك فلم يستطم إلا الابتمام فى مراوة شديدة — ما أشد وقاحة هؤلاء الناس . . . أشخس عينيه ويذل بجهوداً كى يخترق وطأة العاطفة الحالية ويصل إلى منطقة التفكير العادل البيد عن التحيز ، هل هو حقا كما زعموا غير قادر على الكتابة وغير جدير بها ؟ فكان جوابه غلساً لا — حقيقة إن كتابه متوسط ولكن الغشائي الأدبى ضرورى لوجوده ، فخيالات طفولته من مؤك وحكام ونساء مؤثرات وجيلات فى منظاهر النوف والنور لا زالت وأماً تماثر نفسه وتريد أن تظهر فى الحياة ، وإلى جائم من سائر المقبات سيكون مؤلفا وأكبراء حقيرة الثان ، فأقدم لنفسه أنه على

ا عاش منذ سنة محت تأثير عواطف شديدة ، وهو رجل عسبى فناأرت محته وداّله عائلة أوستين مهموما فنصحوه بأن بحقق فى الحياة الفصول الأشيرة من دوايته فيشان جراى فورافقهم إلى إيطاليا ، وقبل ذلك فى سرور كبير .

لم عض شهر حتى كان قاربه يسير على ضوء القمر فى القناة الكبرى بفنيزيا بينا برسل القمر أمواجامن الضوء الفضى على تلك البيوت الشرقية المظهر ، وتتطابر فى الهواء الساخن تتف خافتة من أناشيد الغرام ، وتعزف الوسيق الخساوية فى المحادة اللهونة ؟ وسر ساحة سان مارك ، وتخفق ثلاث رايات كبيرة منصوبة على الأمحمدة الملونة ؟ وسر دزوائيلي لأن أرض غرفته من الرغام ، والستائر من الحرير الأحر ، والسكراسي مذهبة ، والأسقف منطاة بصور من رسم تشوريتو ، والتنملق نضمة كمالت فى الزمن الخال قصراً لمائلة بريبونى التي تولى عدة أفراد منها مركز الرابسة فى جمهورية فنيزيا .

#### العزلة

هدأت السياحة من نفسه ولكن الجسد ظل عليلا فهو يصاب بصداع مستمر يجمل العمل مستحيلا تليه ، وتكلم الأطباء من النهاب في أعصاب الملغ ، وقرر أبو. عندالد ترك لندن واشترى في باديهام وسط غابات با كنجها مشير يبتا ريفياً كبيراً ، فبحث الفتى الريض عن العزلة فيه ، وفى أبهائه المجمولة وهو جالس أمام المدخنة العالمية مين الألث وعدد لايحسى من دواليب الكتب أخذ هو وأخته سارة بتبين موقفة فى وشوح .

ُعَلِّ مُرتِينَ عَلِي أُمُوء ، والعالم الذي أراد أن يقبض عليه بكنتا بديه أفلت مرتين من بين أصابعه ، وقد أصاف « شبعاً آخر إلى مملكة الأهمياح التي تنشأ مر النضوج الخطر قبل الأوان » ، ولكن لماذا ؟ إنا كان قد قبل الهرعة فإنه أراد أن يستخلص العظة منها .

فاؤلا كان متصنا متكبراً عبا لنفسه كثير الخيلاه في الحياة وفي كتبه . أجل ! ولكن هل هذا خطأ حقا ؟ كل إنسان له الحق في أن يكون متصنا إلى أن ينجع في الحياة ، وكان يبرون متصنا أكر منه ، ثم تنف — ولكن بيرون هو بيرون ويتنفر التكبر في شاعر كبير نبيل للولد — على أن ذلك منطق ممكوس فالتكبر ضرورى كا كان للولد وضيا . وعلى الرغم من هزيته ظل يستقد أن خيالاته الجريئة خير من الكال لدى الكتاب المحدثين المادين والسادة أن خيالاته الجريئة خير من الكال لدى الكتاب المحدثين المادين والسادة المسندن كالاحتماب ، والتجعل الظاهر ظل لديه المسك الوحيد الجرى، في المؤتمة أكثر من أى وقت آخر ، على أن من المستطاع جعله أكثر إنقانا ، فعدم المبالاة المتعدد هو أحسن مظهراً من التصنع الخفن ، والسألة هي تغيير في درجة اللون انسه . خطأ أهم من ذلك : لقد أراد أن يتمجل الحياة ويقتطف النجاح اقتطافا ،
و صدّن أوه إذ قال له : إن المنظمة لا تنال في وم، ومهما كانت مواهبه عظيمة فهو
يمترف بأه ليس إلا غلاما في اللحظة التي أراد فيها أن يصل كفائد، وهو لم يكن
فادراً على أن بدر الأمور بنفسه فكان عليه أن يختار زملاد له ، وقد أخطأ في
اختيارهم فيجب عليه أن يتملم معرفة الرجال ، ولا سبا كيف يتخلص مهم ،
ولكن يجب لمذا الغرض الاتظار قالعبر هو أول فضيلة ينبني كنسابها ، ومن
طبيعته العبر في الأمور الصنيرة ، ولكن يجب عليه أن يحرل المقافق إلى سنوات،
قد يكون ذلك تقدلا عليه ولحكمت مرورى له . . . ثم ماذا ؟ إنه أطلق لماله كثيراً
قد يتناز خصومه قبل الأوان ، فيجب عليه أن يتما الملمو، والكنان والتجلد
وأن يكتسب نوعا من الترفع الجميل الهذب وهو أمر صعب ، ولكنه يفف في
طي أنه قتاع مؤقت ، وإلى أن يتيسر ذلك يستطيع أن يمتفظ لوقت ما عظهر الحفة
طي أنه قتاع مؤقت ، وإلى أن يتيسر ذلك يستطيع أن يمتفظ لوقت ما عظهر الحفة
الأمور ، وليتر أرتر وروشفو كول الذين هما من خير أسانذة همنده
الأحود ، وليتر الاستفرار تر وروشفو كول الذين هما من خير أسانذة همنده
الأحد حج ، لأخير الأشادق.

فإذا انتقل من هذا الحساب الأخلاق إلى الحساب المالي ظهرت حالة أسوأ من قبل، فقد رخ من قبقيان جراى ماتنى جنبه ولكنه استعملها في سداد ثمن فشيان المراق ولم بعد هذا قادراً على دفعها بعد أن أفلس، فشرس هذا المناخ وينا عليه ولكنه وهو خال من المال وجد لذة في أن يكون كرعاً وسدد بعض ديون البورصة بما اقتصده شريكه إشائس، ولكن أكثرها سدد بعض ديون البورصة بما اقتصده شريكه إشائس، ولكن أكثرها سدد كان الإيتشام، بل على المكس يحب أن يدخل عليهم وفي وجهه الذي الدي الله المنافق الدي نظرة البراة، ويجاذبهم الحديث بعبارات بدل على بساطة متناهية ثم ينجو منهم بحياة عجمية، والواقع أنه يسترف بفضل هذه الدين التي توجد نوما من الحركة في حياة راك تحدة الدين إلى آخر فلس منها،

ولكن كيف ؟ لا يعرف ذلك على أنه لا يشك فى النجاح ، وساعده سارة على الاحتفاظ بهذه الفقة فى نفسه ، وأمامها كان يجرؤ على النطق بعبارات لوسممها آخر لما احتمل ما تشطوى عليه من كبرياء صريحة وحشية ، أما سارة فتتلقاها فى هدو، وتقبلها على أنها عقائد .

وجد الدة في التجول معها في البلاد الجملة التي تحوط منزلهما الجديد ، أما حديقة برادنهام فهو ممحور بجملها ، وتعلل نوافد غرفته على أراض واسعة منطاة بالحشائش الناعمة تحدها أشجار الزان ، فهذا البيت الكبير وذلك الدخل الفخر برضيان طحة في نشسه .

李辛

كان فى ذلك الوقت إذا ما عاد إلى لندن رأى بعض الأصدةا ، فقد تمرن بالراسلة إلى أديب شاب فى مثل سنه ، هو ادوارد ليتون بلوار ، الدى نشر أول رواية له ، واسمها بلهام ، بعد ثيمًان جراى يرمن قليل ، ونال بجاما أكبر من مجاح زميله ، وكان بلوار يبيش كدزرائيلي عيشة المنزن المتجعل ، وقد تروج من امرأة جيلة جدا ، وعاش عيشة فخمة بلامال ، وجع الأصدةا، فى داره الجليلة بشارع هم تفورد .

دعا دزراثیل ، فذهب فی بنطلون من القطیفة الخضراء ، وسدار أمفر الله بادی. اللون ، وحذاء علیه حلیة ، وأ كام من الدنتلا ، وأثار منظهر، قلقاً فی بادی. الأمم ، ولكن ما انتهی الطمام حتی محدث الحاضرون ، بأن أحسن المتكامین وأذكام ، هو الرجل فد الصدار الأصفر ، وقد تقدم بنیلدین كثیرا فی الحدیث الاجهای منذ عهده عوائد السئاه لدی مری ، وكان بدون علی طریقته ملاحظاته « لا تشكام كثیرا فی مبدإ الأمر ، ولكن إذا عمدت إلی الكلام ، كن مالسكا لفضك . وتنكلم فی موت غیر موقع ، وأنت تنظر داعا إلی الشخص الذی مختاطبه ، وقبل أن تنجح فی الحدیث ، یثینی أن تلم بعض الا بار المتاهد والتداخلة ، ولا تنافس قط ، عمو بين اللاحاة ولا التافس قد ولا تنافس قط ، عمو بين اللاحافة ، ولا تنافس قط ،

أن لم يوافقك غاطبك على رأيك ، فلتنحن ، وتكلم في أمر آخر ، في الحياة الاجاعية . امتع عن التفكير ، وكر يقفا دأما ، وإلا ضاعت عليك فرص عديدة ، أو نطقت بما لا عمل له . وتكلم مع النساء ما وجدت إلى ذلك سبيلا ، فإن هذا خير مدرسة الدلاقة اللسان ، إذ تكون في غير طجة اللانباء إلى ما تقول . . . . ولا شيء أكثر فائدة الشاب الذي يدخل إلى الحياة ، من أن ينقده النساء شيئا ما . . . »

ق بيت بلحار تلق بعض دروس في حياة الأدبب الذروج ، فقد كان بلوار عندما خطب زوجته عاشقاً متها ، على أنه صار زوجا عنيدا ، بضب بمجرد أن تدخل زوجته منارة أوراقه ، والسيدة بلوار الجيلة امرأة فقيرة ، فالوجال بيستان من أرباح الروائى ، الذلك كان الروج يؤلف كنيرا ويسل أكثر بما تحصله قواه ، فصار عصيداً سريح النشب لا سيا مع امرأه ، ولكي بريح نفسه ، ولكي بيحد عقله ، صار في حاجة لأن برى زملاء وأصدقاه في الساء ، فهو يدع فله أو كان عاجر وكان مسر بلوار تقول : « من السجيب حقا أن المؤلفين يستون في نفسى اللل » ، وهي لا تحب غير الكلاب ، وتسمى زوجها « الجرو » ، وهو رجل خيال ولكنه منظم الفكر ، أن الزواج الناشئ عن الحب قد يصبح خلوا على الحب

 والما كولات الذنبة والعربات عملة بالبرتغال والأناءاس تصل من مرابى المحاد للدوق الصغير ، والسهان ﴿ لأسها السهان — فان ذلك العصفور الصغير النادر عمل (\*ن» على كتابة قصيدة من الثنر ( نملك الشكمة المعجية المقدسة — هذه أخرى ؟ فلتحتذون حذوى — أرجوك : إن الجنة نفتح أبواجها ! آمر لو أموت وأنا ؟ كل السهان على نفيات للوسيق الحلوة » — ومن اللائق أن يكون الشاب الأنيق المتجمل على شىء من الهم وهذا أيضا نوع من الخفة المتصنعة .

اشترى الناشر كولبرن هذا الكتاب بخسياته من الجنبهات ، فعدات من ناترة الرايين وتنا ما . ولم يكن مجاح الكتاب كبيرا ولكن سارة كتبت إليه تقول: « إن قراءة كتابك عوض على شهور الاتتظار وهذا كل ما أقوله ، وإنك لتم أن قلى معلق على شهرتك وأنيا فعب مجد كتابك في الأودى ويكبل له الناس المدائم ولكني أعل أنك لائم كثيرا للنجاح في المائلة ! . . . ، والراقع أن من عبل هذا الاكتفافات الحديثة لبنيابين أن النجاح العالي لاقيمة له معلقا ولكنه يقبل هذا النجاح إذا لم يحد غره .

كان أحيانا بذهب إلى البرلان ويصنى الخطاء ويصدر أحكاما في غير مفقة فيقول : ( إن بيل يتقدم في الخطاءة ولكنه من غير أسلوب ... ومحمت كانتج وهو خطيب عظيم دلكن يظهر في أقواله دائما شيء على، ؟ وفي بحلس الموردات أعجب بالموق فإن في كلامه نوعا من البساطة الخشنة على مثال لا منتائي بم با يجمله غربيا وجديدا ومؤثرا . . . . ويتضع في شيء واحد هو وجود اسلوبين غنافين في بحلس الموم وبجلس اللوردات ، وإن عازم لو امند في الأجل عي أن أضرب مثالا النوعين فق الجلس الأدني أيخذ قسيدة دون جوان توذجا لي، وفي الجلس الأعلى الكامل الكامل المخافية المهندة . »

وعندما بخرج من الشرقات متأثراً حالياً يحاول أن يتخيل كيف تكون يوما ما فصاحته وحجته التي لا تدفع ، وعرمنه الواضح الوقائع ولاسيا ننمه موية ، ننمة فعا من السخوية والخشوية مايزق كالأعاصير ، ومن أشواء مرعة اللسبة مايلم فجأة كالسيف القاطع : وفها موجات من النكات تغرق وتذب تلك الخطب الذجة السينة: التي يقتها السادة الريفيون – وأخيرا تأتى خاعة الجطبة التي لأتكف بين التصفيق الشديد من جميع الأحزاب .

ويمود إلى نفسه في شارع من الشوارع الناسة بالناس، فيه الجياد تسير في خيلام. على الأرسفة ، والمارة يحتكون به غير مكترتين ، فإن اسم دزرائيلي لدى كل مؤلام. الإنجليز الذين يكاون الطريق هو اسم غربيب لجهول

# الحج

ليست الدراة في الخامسة والمشرين من المعر مما يمكن الاستعرار فيه ، وتجب المودة بطريقة جذاة إلى الحياة الاجهاعية فياندن ، ولكن كيف ؟ فكر دذرا اليلي في ذلك كثيراً ، ثم تقرر لدمه أنه يجب أن تسبق هسفه المحاولة سياحة طويلة في خارج الملاد، وذلك لأسمال عدة :

إن الناس ينسون سريماً في المدن الكبرى ، فعدة شهور كافية لتمحو من المدا كرة فضل الجريدة أو فضيحة الرواية ، ومرى نفسه يكون قد هدأ ؟ وأوجد اللورد يرون في الناس ميلا القصائد التي تصف الرحلات ، وتقع حوادتها مطابقة لتنقلات المؤلف وهذا مثل يجب اتباعه ، ويستفيد الكاتب من شهرة البلاد التي يم بها ؟ ثم إنه شعر بلخاجة إلى الطواف بالبلاد التي رأت نشأة أسلافه ، ونشأته البهودية من المقبات الكبرى في طريقه ولكنها منبع قوة كذلك ، ومن الشرودي على أي حال أن يفهم معنى هذا الأحر ، لذلك رأى ألا يتبع الطريق المادي للسياحات الكبرى ، وهو طريق فرنسا وسويسرا وإيطاليا بل يذهب مائترة إلى أسبانيا التي عاش أجداده فيها طويلا ، ثم يسافر في البحر الأبيض المتوسط إلى اليونان وإلى تركيا ويجج إلى أورشايم .

كان وجه الصعوة فى الحسول على مواققة أيسه الذى ذعم لوحلة تستمر ستين ، ولكن الرجل الكهل هو جم من جميع النواحى ، وقد خطبت سارة إلى شاب إنجلنرى سديق لأخها هو وليم مربعيث ، فأراد أن يرافق بيليين ويقوم برحلته الكبري قبل الزواج ، على أن مستر وذرائيلي يؤثر السام داعًا على الانتصار فل بلبث أن سلم . وسافر الشابان فى آخر شهر بونيه من سسنة ١٨٥٠ ، وتأثر مذرائيل لسفره خويجب برادنهام وسيدها المجوز فى طاقيته من القطيفة ، ويجب ثرثرة أمه والأحاديث الطويلة التي يسرهما لسارة وإمجاب أخوبه الصغيرن «والف» و «جبم» به وكانا بحترمانه ، فلماذا يترك مأوى مثل هذا محبوبا ؟ وكيف يقابله العالم المتسع الأدجاء ، وإنجليز جبل طارق ومالطة التعصيون لجنسهم أكثر من إنجليز لندن أنفسهم ؟ وهو يعرف فى نفسه الحساسية وشدة الكبرياء ، ولكنه هز كتفيه وقال : « إن الغامرات من نصيب المنامرين » .

وصل إلى جبل طارق ومى للرحلة الأولى في سياحته ، فأدهس شبان الشباط لتنوع أزرار صداره ومبالنانه في الحديث عن عمد ، وهو أول سائح بفخر بأن له عماً في الصباح وعماً في المساء ، فإذا مادقت السباعة لاتصاف النهار غير عصاء ، بفعل ذلك عامداً وهو يسخر من نفسه ، وقد أنجيته أسبانيا وبيوتها البيضاء وتوافذها الخضراء ، وفي كل شارع مَشَلِ « النيجاو » ، وفي كل شرفة مَشَلُ لووزينا ، وعندما زار قصر الحمراء جلس عل عرش بني سريح واتحذ هيئة بشت الحارسة المجوز إلى أن تسأله : هل هو من نسل عرب أسبانيا ؟ فألباب قاللا: « هذا قصري » وكأنه يستند مايقول .

فى مالطة وهى المرحلة الثانية من الرحلة ، وجدله منافساً وهو إنجليزى اسمه جيمس كلاى غلب رجال الحاسبة فى لسبة الراكيت ، وغلب البرنس بفياتلى فى الدليارد ، ورجال المنوضية الروسية فى لسبة الإيكارتيه ، وكان رجلا يسترى النظر ولكن يمكن مقانلته بأسلحة أخرى . وكتب بنايين إلى أيد يقول : «لكي يسيطر الره على الرجال بجب عليه إما أن ينغلب عليهم فيا هم مهرة فيه أو يحقرهم ، يسيطر الره على الرجال بجب عليه إما أن ينغلب عليهم فيا هم مهرة فيه أو يحقرهم ، لدى المحالى، وقد تحجح التصنع أكثر من ذكاه البدسة ، فني أمس بينا أنفرج على لمب الراكيت إذا بالكرة تسقط لدى قدى الانتقام، ورأيت شاجئاً شابا في جلسته جود فسألته فى خضوع أن ينفضل با يسالما للاعين حيث أبى لم أقذف كرة فى حياتى ، فعار هذا العمل منى موضوع الحديث اليوم فى توادى الشباط » . وكان مستر دزدائلي مهز رأسه ويتساءل الذا يتخذ ابنه مظهر الخيلاء أمام الناس وهو طبيق وبسيط في الذل ؟ الواح أن ينيامين حمل الناس على كراهيته في مالملة حتى ان الضباط عدلواعن أن يدعوا إلى اديهم « ذلك الهمودى الصغير اللمين المتنجع ». أما هو فلم يهم لذلك ؟ وقام بزيارات عديدة للأكار وهو لابس سترة أندلسية مزدكشة وبنطاؤ أبيض ، وحزاما فيه جميع ألوان قوس الطر ، وتبعه نصف السكان ، وتوقف الأعمال في ذلك اليوم ، وجرة على أن يزور الحاكم المام في هذه الملابس وهو رجل جامد قليل الاختلاط ، فا إن رآء حتى أشذ في الضبحك وتعلق به ذلك أن أشدالا بجلز جداً هم الذين يجون الميالنات ، لأنها تبعده عن الملل الذي ينتلب على نفومهم .

ترك مالطة فى زى التوسان اليونانين ، وفى قميص أحر بلون الدم ، وأزرار من الفخه كبيرة كقطمة السلن ، وحزام حتى بالخناجر والمسدسات ، وطاقية حرام ، وسروال أزرق كالساء مزمان بالأشرطة ، وكان يرافقه حبيس كملاى الشهور، وهذا نصر له جديد ، ورافقهما كنادم تيتا الذى أد قارب اللورد بيرون فى فنزيا ، وهو رجل عجيب من أهلها ، قتل بالخنجر رجلين أو ثلاثة ، وكان يقنم الفتيات الجيلات ليمتسلن للشاعر، وبعد وفاة بيرون حارب فى صف اليونانيين على رأس فوقة ألبانية ، ثم وصل بعد ذلك إلى مالطة لسبب ما ، وهو فى شدد .

أحب دزرائيلي الأتراك حب السبادة ، فأخذ يلبس العهلة ، ويدخن في غليون طوله ستة أقدام ، وعضى أينا وهو عمد فوق الإيوان ، وكانت عاداتهم في مبلهم السكسل والنرف بما يتفق مع جانب التراخى والانتياض في طبيعته التي طني عليها النشاط النربي ، وإن لم يقض عليه مهائيا . وقد قال له محمد باشئا : إنه ليس انجازية حقيقيا ، لأنه يستطيح السبر في هدوه ، وأحب حركة المشوارع المشرقية ، وتنوع الملابس والأشغاص وبهجة الألوان ، ودعاء المؤدن المسلام: ، والطبل الوقور المزدن الذي يتممه إطار من الوحنى الذي يعلن وصول القافلة ، والجل الوقور الزدان الذي يتممه إطار من الأحماب ؛ وفي مثل هذا النظر تهما الطامع ، ويتخذ العالم فجأة مظهراً أكثر عمقاً وبعدا عن الحقيقة ، وكأننا نعيش فى قصة من قصص الجن ، أو إحدى قسص ألف لملة ولملة .

مار النظر جديا وعبوسا بعد أن اخترق سوريا متجها نحو بيت المقدس ،
وتلونت روحه دون عناء بما يوافق الأراضى القاحلة المحرقة ، وتعرف إلى بعض
التبائل الرحالة ، فرحب به شيوخها ، وأسافوه فى مضاربهم ، وصحر يبساطهم
التبلة ، وكال سلوكهم ورقهم الطبيعية ، ووجد لذة كبرى فى التذكير بأن
أسلافه مند ثلاثة الجاذية تستطيع أن تفخر بمثل هذا اللخى العربيق فى الدنية ؟
قطع واديا قحلا ليس فيه منابع ولا نبات ولا طبر ، وفى كل حين بتبين شبح
شجرة متمرجة من أشجار الزيتون أمام العاء الزراة المحرقة ، وعلى حين بناة موجد نفسه على حافة هاوية عميقة ، ورأى فى أعلى المضبة القابلة مدينة حجرية
جزداء محموطها أسوار مسننة ، وتشرف عليها بين مكان وأخر أبراج عالية ، وكان
هو جبل الذيتون شبح وطبيلة شديدا فى خدة الدينة عن أورشلم ، والمرتفع الذى وفت عليه
هو جبل الزيتون .

أمضى فى أورشليم أسبوعا ، هو أكثر أيام حياته تأثيراً فى نفسه ، وكان نائر، بالنا ، وذهب لبركم أمام القبر القديس ، وأحب أن يفكر فى السبع على أنه أمير إسرائيلي شاب ، ولم يفهم كيف لايكون الهودى مسيحيا ، واعتبر ذلك وقفة فى منتصف الطريق ، وتزولا عن عبد الجنس الذى أخرج رباً لهذا العالم . ووقف على قبور ملوك إسرائيل وهو فى حم ، وقد أحب وهو طفل قسة شاب يهودى ، هو دافيد ألوى الذى أراد فى القرن الشاك عشر أن ينقذ أبناء جلدة من تسلط الأتراك ، وكان البهود فى ذلك المصر ، على أنهم شعب خاضم ، يختارون زعا يلقب بلقب حزين ، هو أمير الأسر ، وألوى هو أحد مؤلاء الأمراء ، كما أن بنيامين وذرائيلي هو أحد أبناء هذا الشعب ، وهو منتى فى هدف الساحة الشيقة بلاد عبوبة لديه ، فهلا يكون هو أمير الأسر أيضا ؟ فى هدف الساحة الشيقة المحفورة في الصخر ، وأمام هذه القبور التي تكاد تكون مفتوحة ، قرر أن يكتب قصة ألروى ، وبدأها منذ الند .

ترك فلسطين إلى مصر حيث قابل خطلب أخته الذي سبقه إلها ، وما وسل إلى مصر حي أسيب مهديث بالمبدري وقوق بعد بنسقة أيام ، وأظل جو العودة بتفكيره فيا أصاب سارة من الحزن ، وأفقل الباب على نفسه في الباخرة وظل يكتب ، وعاد محملا عمودات كتابين أحدها قصة « ألروي » الهودية والأخرى « كو تتاريخي فلنج » وهود كثير فيان جراى عن الطمع السياسي وهي كثيرفان جراى عن الطمع السياسي المؤلفا ، أما « كو تتاريخي فلنج » فعي سورة الشاعي الشاب الذي و د وزرائيلي أكتاب كل يكتب يقول: « ساعتبر داعًا هذا الكتاب على أم مثال الكالي في التذير وأمه مؤلف فذ » .

على أن الكتاب ليس فذا فإ م كثيفيان جراى يبتدى. يدانه بديمة ثم يضيع بين الرسال ، وحيث أن درراليلي كثير النذكير في مفاحهانه فهو يفشل في روالجه في المكان الذي يفشل فيه في حيانه ، ولكن كو تتاريقي مثله يحتفظ بثقته في نفسه وهو يقول : « إنى أعتقد في القدر الذي تدحني أمامه القدماء ، فالفلسفة الحديثة با كنشافاتها السطحية خلقت في قلب الإنسان روح الشك ، ولكن يأ عتقداً له قبل زمن سيد سيمود الدلم حيالا ، وكما صرفاً أكثر عمقا نصبح أمهل تصديقا ، فالقدر مور دتمتا عي ودفيتنا عي الطبيعة ... كل شيء مسر ولكن لا يأبي النشال من أجل رفع الجحاب عن هذا السر إلا الدلم .» .

هده مى صورة العالمالين أن بها دزرائيل من سياحته فى الشرق، إذ رأى اختلاط الشعوب وتصارب العالم وضع المسلمة : كل شى، سر الشعوب وتصارب العالم وضع المسلمة المسلمة المسلمة المسلمة أن الله القوية تستطيع أن تتسلط وأن بنيامين دزرائيل بعد رحلة شاقة سيسير بقلكم إلى الشاطى، الذى يقصده بشرط أن يكون قويا شدند الراس .

وصل إلى براديهام في أكتوبر ؛ وقد سقطت أوراق أشجار الباوط ، وظهرت

الكهواة على مستر وذرائيلي ، و تعب بصره من التراءة فأخذ بتضاءل وكان عينيه المالتين قد أطلتا ، وسارة في شدة الحزن ومي تقول لأخيها إنها لن تقروج وستقف عليه حياتها . وخدف وجود تيتا المجيب شيئا من آلام هذه المودة ، وطر وذرائيلي الذي أي بم بمن الشيء في أمره ، ولكن أباء لم يكن الرجل الذي يترك بحسار اللورد يروف في فاقة ، قدال أوجد له عملا لد، هنج محدود ، ووجد هذا الرجل من أهل فنزيا ذو الشوارب الطويلة الذي بلل فم الشاعى وهو يموت ، وأسمى إلى كاله « أوجهتا . . . . أدا . . . » مأوى هادنًا ، وعاش هذا المملان الجنوبي في ظلال السابة ، الا محازية .

بداهب

 كان جديرا أن تصور مدخنة آلة بخارية بدلا من صورة اللك فيكتوريا على النقود الن ضربت في عصرها »

أوزبرت سيتويل

فكر دذرائيل ( وقد قرر أن يكتب اسمه على هـنـه الصورة من غير علامة تقصل بين الدال وبقية الاسم بما بجسل مظهرالاسم أجنبياً) أنتاء وحلته الطوبلة في الحياة وفي بحارية السياسي الحياة وفي بحارية السياسي الحياة التي بجد فيها سعادته الحقيقية . وكان فيا مضى إذا فكر في الطريق التي يسلكها ردد متسائلا : الكتابة ؟ أم العمل ؟ أما الآن نقد عرف أن المجد الادوى يسلكها ردد متسائلا : الكتابة ؟ أم العمل ؟ أما الآن نقد عرف أن المجد الأون في أن أعمل ما أكتبه » الدلك لم يكن من وجه التردد في الطريقة التي يتسمها ، وبجب في أن أعمل ما أكتبه » الدلك من وجه التردد في الطريقة التي يتسمها ، وبجب لذات خول البر المان وصفح في الماضي والمنافق اليرالان عنظام الانتخاب الذي وضع في الماضي من يوم بلوغة الرئمة ، الكرستقراطية يسمح المنتي العربي المولد بأن يسير عصوا في البرالان من جمه بالمؤمنة الرئمة ، الكن يظهر أنه وضع خصيصا لكي يحول دون أو لتك الدين الجداوا بداية غير نظامية أمال بقيامين در الهيل ، وإليك الموقف في شهر أكتور

يجب أولا التيز بين فواب للقاطمات ونواب المدن ،فنواب القاطمات ينتخيم واضو اليد التصرفون، وهم ملاك الأراضى التي يبلغ دخلها أو بيين شلنا على الأقمل، وذلك في دائرة التنخلب واحدة في كل مقاطمة ، فل يكن للرشع يشترى أصوات التاخيين فقط كما يفعل للرشحون في كل مكان ، بل يقوم بنقلهم وإطمامهم وإبوائهم ومن الملائم أيضا إرهاب الناخيين الممادين له بأن يحضر عصابات مسلحة تمنعهم من الاقتراب من النصة التي يعطى علمًا الناجية ن أصواتهم في هدوء ، وكل هذا يكلف نفقات كثيرة ، وقد بلت نفقات الانتخابات في سنة ١٨٢٧ لفعدين في البرلمان عن يوركفير خُسَانة ألِّف جُنيه. ودزرائيلي وهو ليس غنيا إلا بديونه لا يستطيع أن مدفع النفقات الواجبة لشرف النيامة عن مقاطعته ، فهذه المقاعد كانت كلها لسراة الملاك الذين يصير لهم الحق فى لبس المهماز فى قاعة الجلسات وزى الركوب الأنبيقالذي يوده ليس في متناوله ويا للأسف ويجب ألا يفكر فيه , أما أن يصير نائبا عن مدينة فليس أسهل منذلك كثيراً على الشاب البتدىء الذي لا يتمتع بصلات قوية ، وليست جميع المدن في البلاد ممشـلة ، والتي لها حق التمثيل اختيرت بطريقة غير نظامية قط ، فني عهـــد عائلة تبودور منح التاج حق الانتخاب للمدن التي يمرف فيها الإخلاص ، وفي عهد عائلة ستوارت ألني هذا الحقى، حتى إن قائمة هذه المدن وقفت فجأة، وهكذا صارت بعض الدن الكبرى التي ازدهرت أخرا غير ممثلة ، بينا انحطت مدن حتى تكادتمحي من الوجود، وهي التي عرفت باسم « القرى العفنة » كان لها حقالتمثيل ، وتوجد مدن حق الانتخاب فها قاصر على ملاك منازل معينة ، فإذا ما اشترى سيد الجهة هذه النازل ضم إليه لأولئك الذين يستطيعون أن يغلوا إناءهم على النـــار ؟ وفي أما كن أخرى نجد الناخب هو العمدة وطوائف الهن ، وهؤلاء لا زمدون على خسة عشر أو عشر من ناخبًا على الأكثر ؛ وفي أدنبرة المدينة الكبيرة لا نرىد عدد الناخبين على أحد وثلاثين اخبًا . وذكر شريدان في مذكراته ، وهو مرشح عن ستافورد بيان نفقانه: « ۲٤۸ ناخبا لكل منهم ٥ جنبهات و ٥ شلنات = ١٣٠٢ جنبها » ، وكان الرجل الذي يثرى في الهنــُد يحارب صاحب الأملاك الحلي ، ويضع الجنيه أمام الجنيه . وقال لورد لانسداون : « هل يكال اللوم لنحَّاس له سبعة أطفال ، ويعرض عليه في نظير صوته ستمائة جنيه ؟ » . وامتهن بعض محامي العقود مهنة إنشاء النقابات من الناخبين ، ثم يذهبون بهم إلى لندن ليبيعوا القعد إلى الحزب الذى يدفع أكثر من غيره . والمدن التي تعرف بالمدن « المفتوحة » لم تكن مفتوحة إلا النقود ، أما المدن « القفلة » فقاعدها قاصرة على القاطمة ، ولا أمل للنشال فيها ، وصاحب الملك يتصرف فيها لان أو قريب . و تحتفظ المائلات الكبيرة من المحافظين والأحواد يضمة « مدن في الجيب » تمتحها الشبان ذوى الذكاء من أعضاء الحزب الذين وي أن تمد لم البداية .

وأغير كان الوزارة عدد من الدوائر في أملاك الحكومة ، وحق الانتخاب فيها الناخبين بالنج والمنتخاب على حرال مشايعين لها ، ودوائر أخرى اشترت فيها الناخبين بالنج والمناسب ، فإذا أشغنا عدد الله التي عرف بعد الخرينة إلى مدن السادة المحافظين تبين لنا أن في الانتخابات العامة يكون ثقنا أعضاء بجلس العموم مميين دون نضال مجاسطة الوزارة ، فليس من المجيب إن ظل حزب المحافظين في الحكم أربين شنة ، وليس من المجل تصور إبعاده عن الحكم .

ولكن البلاد أخذت منذ سنة ١٨٥٨ تندس، عن السلم الذي فتح أبواب المسات المس

هؤلاء الأغبياء من بعد ، كما تتبدد دائمًا . . . . » .

فى اللحظة التى عاد فيها دزرائيلى من رحلته بلنت الحركة من أجل الإسلاح حد الاضطراب، وصار من السهل التنبؤ بالرنب المحكومة ستضطر إلى إجراء التخابات، وهذا هو الوقت الملائم للحصول على مقعد، ولكن كيّن؟ وأن ؟ إن قرية ويكومب مجاورة لبرادنها وفيها أصدنا. المنائلة ومحملاء لما ، ولكن ويكومب مدينة « جبب» الورد كارتجتون وهو لا ينتظر أن يميل كثيراً لهذا التخطى، ثم في أى لون سياسى يتقدم المرشح إلها ؟

\*\*\*

درس دزرائيلي دراسة طويلة أثناء قراءاته في شبابه أسل الحزيين الكبيرين الغذن يتنازعان الحكيم ، في سنة ١٩٦٨ سنة الثورة التي أسدت عائلة سنيو ارت عن الحكم أطلق اسم « الهوج» على أعداء العرش من كبار السادة الدين كافوا بنارون من العرش ومن الاسكنلاندين المتشددين في تطهير الدين من خصوم الكنيسة التأمة ، وهو المح جاعة الفلاحين الذين مأروا في غرب اسكنلاندا ، فكان معنى الاسم بدل على المداء الملك ، وأطاق هؤلاء على خصومهم من أنصار الملك اسم «قورى» وهو اسم يطاق على تطاع الطرق في الولندا ، وذلك لكي بدل على أن خصومهم ليسوا إلا أتبا البناء وأنهم المؤون وسارة ، عن الارلندين — وكما يمدث كثيراً قابل الذين أطلقت عليم هذا الأساء الغاتم عليم الأساء الغتر ، وسارت بداء حرب لحم .

انتهى ماكن يفسل حقيقة بين الحزين أنهاء حكم آل ستيوارت ، ولكن الأحزاب تبيش بعد موت البدأ الدى تخدم ، وطلت بعض المنالات الكبرى من نسل الثاثرين تتوارث تقاليد « الهوجيع » ، وهى تقاليد الاستقلال والناهمية لتتاج والتحالف مع رجال المذاهب الدينية المارضة ، وكذيراً ما لعننق هؤلاء مبادئ حرة خالصة ، وفى الوقت ذاه ظل السواد الأكبر من صناد السادة فى الغرى وأسماب الزراعات عافظين من « التورى » غلصين للمك والكنيسة الفائة . جادت الثورة الفرنسية وبعدها حروب بابيون ، فارتبطت فكرة الحرية المعلقة التواجاط وثيقاً في عقل الشعب الإعجلزى ، وأدى ذلك إلى أن تولى المحافظون السلطة مدة طويلة ، وظل الأحوار مكتسجين إلى سنة ١٨٦٥ . حى إذا أعاد السلطة مدة طويلة ، وظل الأحوار مكتسجين إلى سنة ١٨٦٥ . حى إذا أعاد السلط حب الانتقاد إلى النفوس وحدثت الأزمة الصناعية واشتد القلق عا المؤرب الذي يلاد صلاح ، ورعرعت قوة الأحوار إلى سنة ١٨٣٠ في انتظام ، وسارت على إلى الشعب في إعجلترا بعد مركم واتولو ، رأى النوعا في فيندن تففف بيئة بالأحجار إلى الشعب في إعجلترا بعد ممركم واتولو ، رأى النوعا في فيندن تففف بيئة بالأحجار في قبل نظام الحكم ، ورفع الم المثلث الأنوان في لندن وفي برمنجهام ؟ وأحوق في قبل نظام الحكم ، ورفع الم المثلث الأنوان في لندن وفي برمنجهام ؟ وأحوق المهال قصر سان جيمس ، وسغر الجمور في الشوارع استهزاء بالأساقفة الإعجلز الدن قارموا الإسلاح الانتخاق بأسواتهم في علمى اللوردات ، فصار الأساقفة الإعجاز الاعتراون على الغلهور في الشوارة على الغلهور في الشوارع .

صار الاورد چون رسل التنثيل الجسم ، ودعم الأحرار الإسلاحيين ، معبوداً للشعب، وكان الناس يعجبون بإحدى عباراته ويتناقلها ، وهي قوله : ﴿ إذا ما سئلت ، هل الشعب جدر بالحرية ؟ أجبيب سائلا ، هل هنسالك دجل جدر بأن يكون مستبدا؟ ا » ، وكان إذا من فى الطرق اسطف أهل القرى المناف له .

والجناة ، إذا حل الرء الأمور في سنة ١٨٣١ ، بداله أن من صالح من يتصدى المترسح أن ينفر للأحوار ، والحافظون المترسح أن ينفر للأحوار ، والحافظون في التاريخ من أنصار عائلة ستيوارت ، التي شغف بها مستر إسحق دزرائيلي ، وكان دانما يعلم ابنه أن الأحوار جاعة من الثوار انتقضوا على ملك شهيد ، ثم إن دزرائيل دفض أن يدى تحصا مناسبا لمبادى، الأحوار ورأى أن القانوات الانتخابي المبتدي ومنا بعناية لكي تنتخب طبقة من التجار ورجال الصناعة ،

وهم قوم قليلو الثائر ، يحسبون لكل شيء حمايا ، وهم يطبقيتهم مؤمدون للأحرار أمام الزراع المحافظين ، وليس الغرض قط هو سماع سوت الشعب الحقيق ؟ فهو لا يمب ذلك الحلف بيت أولئك السادة الكبار من أصحاب الأملاك الذين لا يقورعون وبين كبار رجال سناعة القطن الجشمين .

فالنظرية السائدة فى ذلك الوقت بين ( الهرج » وحلفائهم ، هى النفية التي ولدت نتيجة اندفاع مقاوم الروح الخيالية بين الطبقات المتوسطة ، فقسد رأى مؤلام إلى طريق يؤدى الشعر وتؤدى المواطف ، وأية انسطرابات نشأت فى فرنسا من تعالم روسو ، وأية فضائح تشأت عن قصائد بيرون ؛ وأدى بهم اكتفاف المحالمة المحالمة والآلات المحالمينيكية وتقدم السكك الحديدة تقدما عجيبا ، وغو الناج بالمجافرية ، إلى الثقة الشديدة فى التقدم اللدى ، ولفهم أدبية ، وليست واجبات ، وأيا محكما قوانين لا تقل تبائا واستمراراً عن قانون سقوط الأجبار أي فانون الرض والطاب إنجيلا لهم ، وسائر قانون الدرس والطاب إنجيلا لهم ،

ودزرائيلي واسف النابات الواسعة والحدائق الزهمية والدور الفخمة يكره رائحة الفحر هذه ، ويضايقه الاقتصاد السياسي ، ويأبي أن يصدق أن رجالا من لحم ذوى وجوه حبة ، وسهم الأبطال لديه من أمثال تركز وابليون ولو يولا ، محكوم عليهم بأن يتشار كوا كالدرات الحقيرة لكي ينتجوا أرخص أنواع النسوجات القطنية في عالم على أكبر مايكون من الذي .

ثم هل رحب ه « الحرجي ؟ إن آرام في الحربة لا تند إلى انتخاب أسدةا مم وحب الحربة للسيم قاصر على جماعهم ، وقد يعير المرء عند الحاجة محافظا ولكن يجب أن يوانه من «الحرج» ورأى دزرائيلي وهومشيم بقراءاة عن فيزيا أن الملكة إذا حكمها « الحوجي » انقلب الملك إلى « دوج » وإلى جانبه مجلس العشرة

إذن هل يجب أن يتقدم « للتورى » ؟ إن معنى ذلك أن يتبع وهو في سن

المشرى آدا، عتبقة ، وأن يكون نحت لوا، زعماء يسفر لهم الجمهود في الشواوع وأن يقبل الأخطاء التي ارتبكت في خسين طا، وأن يمكم على نفسه برفض أي يقبل الأحطاء التي ارتبكت في خسين طا، وأن يمكم على نفسه برفض أي نوع من الأصلح أن يمدو حذو بلوار وينفسم إلى « الراديكالين » فيكون مقاديا « الحوجي » وبحاربهم بسلاحهم ؟ وأمهل طريق أن يحسل على دائرة قروية لسيد كبير و كرم ، وهذا ليس مستحيلا، ولكن طريق أن يحسل على دائرة قروية لسيد كبير و كرم ، وهذا ليس مستحيلا، ولكن من الفرودي أن يعرف مين أوائك الذين في مقدوم هذه الحبية، ومن الفرودي قبل كل شيء أن يعنظ ما السياسة وكان عالم المسياسة في أيماترا سنة ١٩٨٣ من الأمل الاجتماعي ، ودخول البرانان مو حديث المجالى ، وفي هذه لا يختلف عن العالم الاجتماعي ، ودخول البرانان مو حديث المجالى ، وفي هذه سير دوبوت بيل وذعماء حزب « التورى » ومع لورد ملبورن ولورد جون رسل وفيرع من كبار « الهوجي » ، ومع اللورد درهام كبير الراديكاليين ، فول رسل وفيرع من كبار « الهوجي » ، ومع اللورد درهام كبير الراديكاليين ، فول المائذة بيلتورها الذي يمكن ضوء الأفواد وحولها النساء الجيلات يوزعن يين المناذات المتساملهن ، متالك يتقابل الذين في أيديهم قرزيم السلمان .

و المستمسك إلى حين عظهر الهزل كي يحصل على الحق في أن يكون جاداً

# فتح لندن

د وظهر أن لى ساقاً جيلة جداً ولم أكن أعرف ذلك من قبل »

من رسالة لعزرائيلٍ

كان لنيابه نتيجة منتظرة، فلم تمد لندن تموف شيئناً عن دورائلي الذي إلا أنه أديب من ودى المواهب، وفني جيل جداً يرندى ملابس تلفت النظر، وأنه عادمن الشرق وفى حقيبته عدد مر للقصص التي بلذ سماعها، وأنه لا ينتظر غير دعوة ليطرح ما جهم سماعه، وحيادت هذه اللمحوة بطبيعة الحال من أحوار بلحار .

ولبلوار مطامع كبيرة كدارائيل وهوأ كترحظاً من جهة المولاد ، المثالثة م على سديقه كثيراً في هاتين السنتين الأخيرتين ، وفي الزمن الدى نشر فيه وذرائيلي رواية « فيفيان جواى » نشر بلجار رواية « بلهام » . ومن المستطاع أن اقول إنهما ابتدا السباق من خط واحد ، وكن بلوار أحسن العمل تنهيرة في الشباب أكثر من وذرائيل ، وفي أريل سنة ١٨٣١ انتخب عضواً في البهان وجلس بن الراديكاليين المتطرفين وأوجبت له كتبه جهوراً وصار مديراً لمجاة معروفة . على أن هذا البناء الظاهم الفخامة بخي تحته مصوبات منزلية خطيرة ، فهذه

على إن هذا البناء المظاهر الفنخامة يمنى محته صعوبات منزلة فحليرة، فهاه النتأع الثمرة لم يصل إليها إلا بعمل متواسل شحى في سبيله كل شيء ، لانسيا بمسر بلوار، وشموت السكينة أمها فقدت زوجها للأبد ، وكانت إذا رأته هجا نفراد (وقلما بحدث ذلك) تشكو إليه حالها ، أما أمام الناس فيظهران عظهر الوالم النام تسلم دزرائيلي بعد أسبوعين من عودته رسالة من بلوار يقول فيها : « عزيزى دزرائيلي . . . إذا لم أكن بين أوائل الذين مهنتونك على عودتك سالماً فاسح لى بالاً أكون آخرهم ، وإنى لم أعلم بهذه المودة إلا من كوليون صديفنا والشراط

الشترك إذ قال لى : إن مستر دزرائيلي قد عاد ياسيدي إلى المدينة – أقصد مستر

وزرائيل الشاب، فهل لا يستطيع أنت يكتب لنا مقالا طريفًا عن رحلته ؟ وسأتكم ملك في دارك ... وقد وهبتني مسز بلحار في هذا السباح ولداً كما يقول الناس اللبقون وهذا عذر في قصر رسالتي، ولكن اكتب إلى وأخبرني كف حالك ... » .

بعد بضمة أساميح استأجر دزرائيلي شمة منفسلة في معزل بشارع دبوك ،
وكانت سارة نعرف أن أعاها يشعر بنيق إذا حرم من الأزهار فأرسات إليه
بضمة أصص من أزهار المعلم اعتقى بها اعتناء الحب ؛ وعلى أثر ذلك ذهب المشأه
عند آل بلجار ، وكان البيت والمائدة شميتين زيئة زائدة عن الحد ، وجلست مسنر
بلجار وهى في غاية الجمال والآفاقة وفي حجرها كلب « ليس أكبر من عصفور
الجنة ولا يقل عنه بريقاً »، وقدمت الشعبائيا في أكواب ولم ير دزرائيل مثل
ذلك من قبل ، فظهر له هذا العمل نهاية في الآفاقة ، وكان الحاضرون جديرين عا
واسترعت نظره وجه خاص مسن نورتون الجيلة وهى إحدى حفيدات شريدان
والسترعت نظره وجه خاص مسن نورتون الجيلة وهى إحدى حفيدات شريدان
والكونت الغريد دورسيه ، الذي وسل لندن أخيراً واستل من كن السدر بين
ذوى الآفاقة في تلك الماسمة وهو مالم يضله فرنسي من قبل .

طلب الكثير من النساء أن يتعرفن إلى مؤلف «فيفيان جراى» و «الدوق السند» ، وأصرت مسر ومدهام لويس ذوجة أحد أعضاء البراسان على ذلك وكتب دزدائلي في رسالة إلى أخته يصفها بقوله : « هي امرأة جيلة مشئيلة الجسم عجمة المنزل ، تشكم كثيراً ولها في السكام سرعة لا أعتقد لها مشيلا ولا أستطيع أن أعطيك فكرة عنها ، وقد ذاك في إنها نحب الرجال السموتين الميالين للتفكير الحزي وأبيها أنى لأأشك في ذلك ».

دعته مسر نورتون إلى منرلها فقد سرها ، على أنه لم يشكلم إلا قليلا ، ولكن كلامه استرعى الانظار وهى في حاجة لن يحسن الحديث ؛ وكان من عادة الإنجليز فى ذلك الزمن أن يستعيضوا عن ذكر اللفظ الدال على الفعل فى عباراتهم بحركة أو إشارة ، أما هذا الفتى صاحب العبارات القليلة التامة فقد قضى على هذه العادة السائرة في الحديث .

#### \* \* \*

ذهب إلى كارولين نورتون فى سترة من القطيفة السوداء وبنطلون أسفر مزيركش بالنهب ، وسدار أحمر ، وخواتم براقة لبسها فوق قفاز مر جلد الماعن الأبيض .

ويسكن آل نورتون شــقة في « ستورى جيت » بلغ من ضيقها أن الأريكة الكبيرة في غرفة الاستقبال ملأتها ، وغطيت النوافذ بستاتر من الوساين الأيض وهي تؤدي إلى شرفة غطيت بالأزهار ، ومن هــذه الشرفة كانت مسز نورتون تطل في كل صباح لتحيي صديقها الشهير اللورد ملبورن وهو مار في طريقه إلى البرلمان، وبروى أن وريون احتمل هذه الصداقة العاطفية لأنه وحد فما نفعًا . كانت هذه الغرفة الصغيرة غاصة بجمهور من رجال السياسة ومشاهير الأدباء ومزدانة فعلا بحِيل عائلة شريدان الباهر، وعلى مقعد حلست الأم التي قبل عنها إنها ظلت ذات جمال لا يضارعه جمال أية احراًة في العالم عدا بنائها الثلاث وهن مسرّ نورتون دة المنزل، ومسر بلاكوود، وأجل الثلاث جور جينا لادي سيمور، ويتضاءل جمال أخوانها أمام جمالها . ولسز نورتون شعر أسود تعقده في جدائل حول رأسها ولها ملامح و نانية جملة ، ويحمر وجهما أحيانا بطريقة بديعة جداً ، فإ ذا مسمها عبارة من عبارات الحديث اصطبغ وجهها فجأة بلون وردى متزج بلونها العادي الذي فيه شيُّ من خضرة الزيتون ، ويظل هذا الاحمرار لحظة ثم يختفي ، وفي عينها وفي فها من البريق ، حتى كأنها صنعت من الأحجار الكرعة موس الماس أو الزمرد أو الياقوت – أما لادي سيمور فتختلف عن ذلك كل الاختلاف فهي شاحبة اللون ، رقيقة ، بعينها ريق حلو يجعلهما مثل النوافير في ضوء القمر ، وإذا ما أشار أحد الناس في حديثه مع مسز نورتون إلى الماطفة التي نشأت عن مجموعة هذا الحسن الكثير نظرت إلى غرفتها الصغيرة ثم إلى عائلتها البديعة وقالت في ابتسامة الرضى: « أجل إننا لقوم على شي من الجمال » .

ما لبث أن سار للجميلات الثلاث حفيدات شريدان دور هام في حياة للؤلف الشاب ، فين الثلاث مزحات ، وسرت مسر نورتون للتخلص من زوج لإيحتمل وكانت محب أن يلازمها دزرائيلي في الدهاب إلى المسرح أو الرقص وهو يلذ له أن يظهر في حجمها .

كان الندن في تلك الأيام سحر مثل الذي مجدد في صور « واتو » في لا تمثل من حفلات الدشاء والزقم والنزمة المهرية ، واشترك وزرائيل في كل شيء فيو . مسل وهو يسحب بجيلات وقد عاد حديثا من رحمة في الخارج فكان اسحاب هذه . الحفلات يبحثون عنه ، وكتب يقول : ﴿ إِنني أَخْتَرَق طريق بسجولة إلى أعل المجتمدات حيث لا حمد ولا منفينة ولا غيرها ، وسين يسجون ويتسلول . » . وكان منطقة بدعوات الموجاء ، وكان يقبلوه ) منطاة بدعوات الوجهاء ، وكان يقبلوه ) منطاة بدعوات الوجهاء ، وكان يقبلوه ) منطاة بدعوات المجاء ، وكان يقبلوه المسرورا . وفي هذا الدالم الخلاب الذي الودود ، شهر أنه في الحيالة الدعوات الخيط الذي يلائمة أكثر من رجال الطبقة الوسطى الذين عراضم في طفولته ، وقد سحره الظرف الطان الجرى ، في هذه الفتيات وهؤلاء الفتيات الذيلاء ، ووجد

أميدة، أحلامه في أولئك الشبان ذوى الشمور الشقراء، ومؤلاء الإمجابز المرتبن الفنخية برف هذه المنازل الفنخية برف هذه المنازل وجالز المرتبن وماله الانجياز المنازل وجال الأقرار وربي النساء، وذاب تسكيره على الأقل سطحياً ، واكتسب ثقة في نفسه ، وجاش في حمى من اللذة ، فحكب إليه والده يقول : «أود لو أن طبيعتك تسمح لك بكتابة رسائة ورسائتك في هدوء أكثر مما تفعل » ولكن هن، كان غير قادر على كتابة رسانة هادئة مطلقاً فهو تمل بجال الحياة .

دفعه شغفه الكبير بالتاريخ إلى البحث عن الكهول فسار من أقرب سديقاته إليه لادى كورك السجوز ، وكان على الرغم من بلوغها سبما وتمانين سنة شعو السها شيوفاً فى كل مساء ، وهى أجل السجائز وأكثر من تسلية ، وقد اختنى أبطال وبطلات شبامها ونضوجها وكهولها من الأحجاء ورجال الجيش والشمراء ورأت الثورات فى كل بلد فى العالم ، وهى تنذكر برايتون عند ما كانت ميناء سيد ، ومانشستر عند ما كانت قرية ، ولكها ظلت على عادمها نشطة ومهرسة ومتعطشة التسلية ولما هو جديد ؛ ووجدت فى هذا الشاب ذكاء وجا للاستطلاع فوهبته حابها وهى حاية قوية فى عالم الاجماع .

كتب إلى سارة يقول: « من القصص الجيدة الطريفة أن قام لورد كارنجتون في موم الاثنين مزيارة للادي كورك (وجرى بينهما هذا الحديث):

لادى كورك : أتعرف دزرائيلي الشاب؟

لورد كارنجتون: آه ! أظن ! لماذا ! لادى كورك : ألس جاراً لك ؟

لورد کارنجتون : أنوه جاری .

لادى كورك : أعرف ذلك فإن أباه من أعر أصدقاً . وإنى شديدة التملق بعائلة دزرائيل . لوردكارمجتون : إن الشاب شخص شاذ ، أما الأب فأميل إليه لأنه شديد الهدو. ووقور

لادى كورك : لماذا ترى أن الشاب شخص شاذ ، إنى على كل حال لا أنتظ أن مثلك ستسفه .

لوردكارنجتون: إنه كثير الحركة ولكنه لايتعبنا الآن كثيراً ، فإنى أعتقد أنه سافر الآن إلى الخارج .

لاى كورك : (حرفا) إنك مجوز أبا ، اقد أرسل لى فى الصباح هذا الكتاب ولا حاجة بك إلى النظر فيه فا بنك لاتفهمه ، وهو خبر ما أخرج من الكتاب ولا حاجة بك إلى النظرج ! إنه فى أحسن المراكز فى لندن ولا تستغنى عنه حفاة من الحفلات ، وتقول الدوقة هاملتون إنه ليس له مثيل ، واللادى لونسنيل على استعداد انتقدىم رأسها وأكتافا من أجله ، وهو لن يتمشى لديك لو دعوة ، فهو لا بهم الناس الأنهم من اللوردات ، بل لا بدمن الأناقة أو الجال أو الذكاء أو ما ماثله ، وإنك لرجل طبيب جداً ولكنك لست أكثر من ذلك .

وقابل اللورد كلامها مقابلة حسنة وضحك منه . وقد قرأت لادى كورك كل سطر فى كتابى الجديد ، ولا أشك فى إخلاصها فى الإعجاب به ، لأنهما أنفقت سبمة عشر شلنًا فى شراء قطيفة حمراء وخارتها تقوم بينجليد. ... » .

وهى قصة لتسلية سارة بلا شك ومن عدم الحكمة تصديق كل كلة فيها . وكانت العائلة فيا يتعلق بنجاح بنيامين محتمل عادة الصورة القومة الألوان، وهو بعرف جيداً أن سارة وهى تقرأ هذه العبارات تحسب حساب « بن » في قوة تصوراة على أن تاكيد النحاح بطعثنه .

وكانجميع أفراد الأرستقراطية الإنجليزية يجتمهون ليلا في على «الملاك» وهو ناد خاص الرفص ترعاء أكبر السيدات مناماً وتنفذ فيه أدق القوانين ، فلا يدخل إليه أحد إلا في بتطلون قصير وجوادب من حربر ؛ وحاول الدوق أوف واستهتون مرة أن يدخل وهو في ذى آخر ولكن البواب تقدم إليسه وقال : « لا يمكن وصار دزرائيلي دائم الترداد على « الماك » الذي ترتب فيه الكثير من الزيجات وافترحت عليه عقود زواج مغربة فكتب يقول : « خبريني هل ترمين بلادى ز ... زوجة لأخيك هى ذكية جداً ومعها ٢٥ الف جنيه وهى من اللاقى بالفن البيت ، أما الحب فكل أسدقاًى الدن توجوا للحب أو الجال إما يضريون زوجاتههاً، ينفسلون عنهن، وهذا هو الواقع حرفياً ، إننى أرتكب أعمالا جنونية كثيرة في حياتى، ولكنى لاأتروج من أجل الحب فإنى أرى فيه ضاناً للتماسة » .

أدى رضاء النساء عن دزرائلي إلى رضاء الرجال ، ودماه البعض معهم إلى حفلات غذاء سياسية وذلك أقصى أمانيه . وفي ذات مساء في دار القورد اليوت وجد نفسه جائساً إلى جانب سير روبرت بيل الزعم المظلم لمؤب المحافظين ، وكأن جميع الجالسين على المائدة قد أصابهم الذعم، ، وتحصيدرا تبلي في فضول النهم ذلك الرجل الشديد القوى الذي أغدق عليه الحظ منذ صباء كل ما يطمع فيه دزرائلي .

فهو ابن لأحد كبار رجال السناعة وأحد السبعة الدين يمتلكون أكبر ثروة في إعجلترا، لذلك ربى منذ طفولته على أن يصير رئيس وزارة ، فق من الخامسة كان برفع ليقف فوق المسائدة ويكرر خطياً ، وعاد من جامعة أكسفورد وهو الأول مربتين فى الآداب القديمة وفى الراضيات ، وذلك مالا يحدث إلا فادراً — وفى الواحد والمشرين من عمره اشترى له أبوه مقمداً فى البرلمان ، وفى الثالثة والمشرين من عمره صار وزيراً ، وظل الناس وفتاً ما يلومونه على إنسكاره لجيل كانتج حيث حاربه بشدة حتى الموت بعد أن كان له صديقاً ، ولكن عالم السياسة نمى ذلك ، والآن وهو فى الثالثة والأربين من المعر صارت له مكانة عجيية حتى بين خصومه ، وسار دمن الأماة والمسائرة الإنجيلزية ، واستحسن الناس طول قامته والشدة الرومانية في ملاعمه ، وفيلوا تكبره و برود معاملته ؟ ولكن دزرائيلي فاجاً فيه حركات عصيية اشئة عن حساسية تبلغ حد المرض ولكنها طبيعية في رجلاعتاد الساطة ، ومحقق لدى دزرائيلي أنهن الصعب المبيشة مع هذا الوزير ، ولكن في ذلك المساء قرر بيل أنب ينظرف مع الناس وعامل الأديب الشاب ببساطة فها شيء من التنازل ، ولم يتصور أن هذا الجار الحقير كان يقيس الرجل النظم .

وأخذ درائيلي بفكر أحياناً : « هل من الضرورى حقيقة دخول البرامان؟ إن همـذه الحياة بين اللذة والكسل والسل الأدبى لهى حياة سارة ، وإنبى لني قرارة نفسى ميال للكسل كجميع الرجال من ذوى الحيال العالى . . . وأحب إن أكون كمولا ، وأن أتمتع بنفسى ، وأن أفكر فى المسافى العميب ، وأبتسم للحاضر الهسادى ، ولكننى ويا للأسف أناضل من أجل مالي من تكبر، أجل! إن الكبر هو الذى يدفعنى لا الطموح ، ولا يجب أن يقولوا إنى فشلت » .

وفى ذات مِم أعرب عن هذه الشاعر لبلوار ، فالتفت صديقه نحوه وتأبيط ذراعه وقال له غلساً : « هذا حقيق باصديق ؛ إننا نضيى شــبابنا وهو وقت السرور والموسم البهج التعتبع -- ولكننا مرغمون على النقدم — مرغمون لأن أعداها بنتصرون إذا انسحبنا من المسرح » .

نم بلا شك بجب أن يستمر ، ولكن أسيانًا وهو فى حفلة مسائية ساحرة وعند ما يرى برين لندن فى الليل من خلال الضباب وهو خارج من حفلة رافسة وعند ما تشكا أمرأة جيلة وهى تصنط على يده فى محية الوداع ، كان يخاطب نفسه بأن الطموح جنون باطل ، وأن ذلك الطيش الذي تظاهر، به هو طبيعته الحقيقية ، وهو من الحكمة أيضًا ، وأن مرت اللهة أن يعيش للأبد تحت أقدام الحفيدات الثلاث لشريدان وهو نابم لهن عب وكمول .

### مستقل

«إلى اللتق أيها السيدالعزيز ، لقد أريتني
 أجل منظر يشاهد في هذه الجزيرة منظر سيد
 عظيم بعيش في داره وبين أهله »

دزرائيلي

وافين مجلس الموردات في يونيه سنة ۱۸۳۳ على الإصلاح الانتخابي وذلك. بعد أن حاول المجلس إلى اللحظة الأخيرة أن يعارض هذا الشروع ، وأقدم في بعلولة على قلب وزارة « الهوجي » . ولكن ما حاول ولنجتون أن يؤلف وزارة حتى أدرت البلاد ، وقرعت الكنائس أجراس الثورة ، ووقف المعل في كل مكان ، وهب لورد ستائل أظهو الشبان من رجال «الهوجي» إلى منشدة وأعلن تأثلا : «إذا قاوم اللوردات فإن جلالة الملك يستطيع أن يضع تيجان النبل على رأس فرقة من جنوده » وعلقت على الحوائط إعلانات تدعو الإنجائز إلى سحب أموالهم من بنك أبجائزا .

كان بنك إنجلترا هو المهد الوطنى الوحيد الذي بحترمه الدون ، فتورة المودعين هى التي قضت على معارضة النبلاء ، ولم بين أمام دوق ولنجتون إلا أن يأسم اللوردات : « سادق اللوردات دوروا إلى الجين ثم سيروا » . وتتلب فريق الإسلاح ، ومن الطبيعى أن الانتخابات التي تسير على النظام الجديد تسجل مجاح هذا الغربي وسار فشل حزب « التورى » مؤكداً .

نستطيع أن تصور كيف تنبع دزرائيلي هذه الحوادث الخطيرة بالاهمام الكبير ، ورأى أن مثل هــذه الحركة الكبيرة هي الوقت المناسب للاستيلاء على مقمد في البرالان ، فا ان تحت الموافقة على الإصلاح حتى سافر إلى ويكومب وهي الدائرة المجاورة لأملاك أبيه ، وبدأ فيزيارة الناخبين ، ومذنالدائرة لموج، ولكن حزرائيلي انتظر ألب يتقدم إليها على أنه من الراديكاليين ، إلا أنه في أعماق قله أخذ زداد تعلقاً بالتورى إذ وجد أن الحزب القديم المؤلف من كبار القلاحين وأسحاب الزارع فيه من الجال ما لا يماناه نميره ، وهو على اتسال بسمض هؤلاء السادة ، فني مقاطمة بمكس كان على علاقة حسنة بدوق باكنجهام ، وسوع خاص بابته لورد شاندوس وكلاهما سبيد كبير يلائم نفسه ، وهما مشهوران بالسخاء الذي يبلغ حد السفه ، فإن الدوق السجوز جر إلى نفسه الخراب بأن احتق بالمناتلة الملاكة الفرندسية احتفاء عليا ، فاضطر المدين منذ سنين على

ظهر سفينته الخاصة كي يقتصد في نفقاته ، وهذه الصفات تسجب دزرائيلي . والواقع أنه كلــا وجد بين جماعة من السادة الزراع سر لدلك . وكان يقول بأنهم « حير فخبون » ، بردد مثل هذا القول دون أن يشوب قوله شائبة مر الاحتفار، وقد أعجب مومهم وهدوئهم ولكنه لم يجرؤ على أن يستند إليهم، فإن مبادئهم صارت خلقة ولم يعد الشعب برغب فيها ، فحاذا يفعل ؟ تقدم على العكس مسلحًا برسائل التأبيد من رجال عاملين على التقدم من أمثال : هيوم ، واوكونل الأرلندىالنميف ، وحصل على هذه الرسائل عن طريق بلوار ، ومذل بلوار جهوداً كى لارشح أحد أمام صديقه ، ولكنه فشل فذلك لأن كبار «الهويم» لابحبون هذا الشاب الغريب الأطوار الكثير الصخب ، الذي اشتهر بلون صداره أكثر مما اشهر بحب للإصلاح . أما « التورى » فأحسنوا استقباله في المقاطعة لأنهم أولا لم تكن لسيهم فرسة لاحتلال القمد، ففضاوا أن يكون العضو مستقلا، ثم لأن عواطف أبيه إسحق دزرائيلي نحو « التورى» معروفة حتى قال منافسو بنيامين : إنه ليس إلا رجلا مقنماً من « التورى » ، وكان يرد على هذا القول بأن ليسأقرب شبها إلى «التورى» القنع من رجل من «الهويج» بلغ مرتبة الحكم. وقدم موعد الانتخاب بضمة أسابيع بسبباستقالة غير منتظرة ، فأدىذلك إلى إجراء هذا الانتخاب على قواعد قانون الانتخاب القديم ، وفي هذه الحالة لم يمــــد فى الدائرة أكثر من بضع وثلاثين فاخباً ، وتقدمت الوزارة بمرشح رسمى

هو الكولونيل جراى ابن رئيس الوزراء . وكتب دزرائيلي إلى مسر أوسنين :
«أرسلت خزينة الحكومة الكولونيل جراى فى رهط من المأجورين ، وجوقة
موسيقية ، ولم تشهد الدائرة مثل هذا النشل الكبير فبمد أن مرّ موكيه فى
الدينة بين تصفيق المأجورين وقف فى عربته وخطب الناس فى تلمّ مدة عشر
دفائق ، واجتمع عليه أهل ويكوب جيماً فشعرت أن اللحظة عاممة ، وهم عت
إلى باب فندق الأسد الأحمر وخطيت الناس مدة ساعة وربع الساعة . ولا
أستطيع أن أصف لك ما كان لى من تأثير ، فقد لمبت يشقو لمم لمبا وبكي الكثير
ممهم ، وافضم إلى النساء وسرن فى سفى ، وهن يترين بشمارى من اللوئين الوردى
والأبيض ، فاحلى هذه الأولن أيضاً » .

لما رأى أهل ويكومب هذا الشاب ذا السحنة المتقدة، وخصائل الشعر السوداء والإكام الصنوعة من الدتله ينظهر فى فندق الأسعد الأجر وهو بحصل السوداء والإكام الصنوعة من الدتله ينظهر فى فندق الأسعد الأجر وهو بحصل عصا ذات قبضة من الدهب ، ويسوى خصائل شعره بسناية قبل أن يشكل ، اتنظروا أن يسمعوا خطبة فارغة ، ولكن عند ما ارتفع صوت ذو قوة عجية حتى فى ممارة شديدة ، استسلم أهل ويكوب واندفوا فى حاسة قلقة ، أما دوزائيل في ممارة شديدة ، استسلم أهل ويكوب واندفوا فى حاسة قلقة ، أما دوزائيل نفسه وعجب من عباراته المتناسقة القوية التي كان عليها على الخطيب إله واخل ، في من عباراته المتناسقة القوية التي كان عليها على الخطيب إله واخل ، شيجة الانتخاب سيكون خصمى هنا ، ينها أنا (وأشار إلى الرأس) ساكون هنا فى وم إلا أمن ويكوب فى حياتهم أسدم القديم رسم فى مثل هذه المبارة المجيبة . فى وم الانتخاب أتى دوزائيلي خطبة أخرى قال فيها إنه لا يحمل شعار أى حزب ، فإذا كان «التورى» قد كاروه فإن الشعب أزره من قبل وهو يسعل على عسين حال الفقواء (وهى عبارة نادرة فى التصريحات الانتخابة فى زمن لم يكن عال نعال قدون وم المكتفاية فى زمن لم يكن

للفقراء أصوات فيه ) لأنه خرج من الشعب وليس فى عروقه دم من أسرة تيودور أو من أسرة بلانتاجنيت .

ثم ارتق الاتنان وثلاثون ناخباً منصة الانتخاب واحداً بعد آخر ، وأعربوا عن أصواتهم علنا وأعلنت النتيجة ، فإذا الكولونيل الخيجول الدي يحرز عشرين صونا ، وإذا الخطيب المغو، فى فندق الأسد الأحر يحرز اثنى عشر صونا فهو لم يكين فى رأس الأسد .

وارتق المنصة ممة أخرى وقال : « ليكن ذلك ! غلبنى الهويج ولكنهم سيأسفون » ، على أنه كان حزيناً شاعراً بالخبية .

ما جاه شهر أكتوبر حتى أعلنت الانتخابات العامة بعد النوسع في حقوق الانتخاب وعاد دزرائيلي إلى ويكوب ، وفي هذه الرة أيضاً تقدم على أنه مستقل قائلا : إننى لسنابها لحزب ولا أشغار وتتى بالأحزاب ، أيها الإنجليز أنقذوا أنفسكم من هذه النجمة السياسية ومن لهجة المؤرية المستمجعة ، « فالهوجي » و «الثورى» هماميان ليس لهما إلا معنى واحد ، ولايستخدمان إلا للتضليل بكم ، ولتتحدواكى نفشتوا حزبا كبيراً وطنباً لايستطيع غيره أن يتقد البلاد من دمار عاجل ... » .

تفشتوا حزبا كبيراً وطنياً لايستعليع غيره أن يتقذ البلاد من دمار عاجل ... ٥ .

اتبع الحافظون نحوه نصيحة سديقه لورد شاندوس ، فازموا خطة الحياد
الشرب بالمطف ، وأخذ في الرشم الإسلامي موقف الحافظين نحوه فقال : « إنى
عافظ كي أتفف ما هو حسن في دستورنا ، وإني من الراديكال كي أقضى على ما هو
سيء فيه ٤ ، وأعلن أنه مسيد إذ برى في هذه الدائرة على الأقيا أن «التورى» عادوا
إلى تقاليد الحزب العظيمة التي عمرفها في اللغي حين حصل بقيادة رجال من أمثال
بولنجبروك على تأييد الشعب . وحلول البعض أن ينتزع منه تصريحات ثورية فيا
ينطل الموس م المفروية على القمع ، ولكنه حافظ على موقف معقول قائلا : « إننا
إذا لجانا إلى تغيير فإلى في النظام الحالى فسلام على مقاطمتنا الجية . . وقد تسالون على يظل إذن تمن الخيز مرتفع المنع على

آلا وجد خبز » . ولكن لم يجد هذا القول الحكيم مايستحقه من جائزة، والل جراى ١٤٠ سوتاً ، ولمال دزرائيل ١١٩ سوتاً ، وانتصر «الهوجي» انتصاراً عظيا في إيجلترا بالجمها ، وعادوا إلى البرلمان في أغلبية تنسمن لهم السلطة زمناً طويلاً . وحيث فائنه هذه الفرسة فلاند أن ينتظر فرسة أخرى بعد زمن طويل .

عندما اجتمع البران بعد ذلك ذهب ممء لمباع صديقه بلوار الدى أعيد انتخابه ، وفي ذلك المساء كتب إلى سارة يقول : « تكلم بلوار وهو لم يخاني لأن يكون خطياً ولن ينجع في الخطابة أبداً على الرغم من مجهوداته ... أما ما كولى يكون خطياً ولن ينجع في الخطابة أبداً على الرغم من مجهوداته ... أما ما كولى منا القول إلا الدى وحدك ، وإن لا أقول الدى فيا يبتنا إلى أرثم جيماً ... لا أقول أنتخاب على كن من ، و مقدا الجلس وسيأتى الزمن » . وكتب في مذكراته : « برى الناس أنى كثير الاعتداد بالنفس والناس على خطا ، فإن جميع الأغلاط التي المتقدون فيه أنى كثير الاعتداد بنفسى أراني شديد الانشطراب ولا أننى في نفسى إلا لا يخطى ، وأستطيع قراءة الأخلاق في نظمى الالا يخطى ، وأستطيع قراءة الأخلاق في نظمى أن الرجال من أخدى فيه ، طينا من الرجال من أخدى فيه ، في المول وسأبرهن على ذلك ، وأستطيع أن أسود مجلس النواب على الرغم من في المهل وسأبرهن على ذلك ، وأستطيع أن أسود مجلس النواب على الرغم من أنا الرجال من ألائم من في مبدأ الأمر بالكراهية »

\* \* \*

كما حدث أنه بعد فشله السحق شعر برغية فى كتابة قسة ، إذا به بعد فشله السياسي مرتين يشعر بالرغية في المسترك العالم وعاش في مرتين بالسير عمت أشجار الحديقة وهو يفكر وعاش فى عرفة عظم — فكو فيه لأول مرة أثناء سياحته فى السرق وهو يتأمل وادى طروادة ، إذ قال لنفسه : «هوميروس الماذا لا يكتب الناس الآن قشائد عظيمة

تبين له أن ابليون موضوع واضح ، وفي سبداً القسيدة تمثل روح النظام الانظام الدعقراطي بين مدى الله ، وكل مهما بداخ في ذلاقة عن المختلف وروح النظام الدعقراطي الله ويل المنافع في ذلاقة عن حقه في حكم الناس ، لأن وزرائيلي إذا أنجب بالنظام الانقطام الدعقراطي لا بدمنه في المستقبل ، فالنشيد الأول إذن هو حوار بين مزدائيلي ووزرائيل ، ولكن الصورة في حل الآليه على الاختيار بين الوحين ، ولكن الاقدر أبدى في حذر أن رجلاً خارقاً للمادة وله ، وأن النظام الذي يختاره هذا المبترى هو الذي يسود ، وهذا الرجل مو بالمبورة . ورأى أن تكون

حمة إيطاليا موضوع النشيد التانى ، وكتب إلى مسرّ أوستين يسألها « ما رأيك ؟ إن الفكرة تبدو لى عظيمة » . انتهى النشيد الأول فذهب ليترأه لها فى المساء ، وكان اسها بعض الأصدة.

السخة المستخدمة ولا تصحب يعرفه على السندة و 100 للهم بعض الاسلطة وقد رأوا أن مذا النظر مستحك جداً ، فهذا الشاب الطويل الستند إلى المدفأة وهوميتر عنه التي زين بها نعليه ، والذي يعلن عن نفسه بأنه شاعر زمانه مثل دانني وهوميروس ، أنار شحكا لا يكاد يكم ، ولم بلبث الشيدان أن نشرا واستقباها الجمور استقبالا فاتراً ، ولم يكن دزرا تمل شعب وبدأ يمل هـ نم القسيدة يكن دزرا تمل شعب وبدأ يمل هـ نم القسيدة بنا و أحد الأركان ولم بعد يفكر فها .

### النساء

تقدم الدنيا لذى الطامع التى لم تتحقق نمويشات أكيدة والدنة ، وكثيراً ما تمامله إذا ظل رحب الصدو خيراً من معاملة الفاتح الكبير أو من الوزر ، فغراً الرجل الذى لا يجدله عالا هو من السفات الستحبة لذى النساء ، لأن هذا الغراغ يضعه في خدمهن ؛ وخضع دزرائيل راضياً لهذه المبورية الجيلة ، وشعر بالسادة إذ رُدَّ إلى الأخوات الثلاث من آل شريدان ، واتسمت دائرة صديقاته من النساء الجيلات ، واصطحبته أختان من آل شريدان ، والديها وها اللارى شستر فيلد ومعرز أندون إلى أخم مماقص مقنع ؛ وكانت لادى شستر فيلد فى زى سلطانة ومسئر أفيد فى زى كيلوبتره يشيء عليها الماس والزمرد ، أن بقدم مركزه فو دد ددى ، وهى فى زى كيلوبتره يشىء عليها الماس والزمرد ، أن بقدم إليها دروائيلى .

شعر لحظة بالسعادة في هذا البيت الجيل الذي أضيئت جوانبه، وسبح في بحر من الجواهر الكرعة والوجوه الحسنة .

كانت له خلية بجمهـا وكتب فى سبيلها رواية غرام مى « هنريت تمبر » ، ثم ألحقها سريماً برواية عن حياة بيرون وشلمى اسمها «فينتيا» ، وكانت هنريت الحقيقية منزوجة ، ولكنها طليقة فى سيرها ، وهى من ضمن الجحاهة السغيرة البراقة النى يحبها فزرائلى ، فصار من السهل علمهما أن يجمعا خير الرفاق فى لندن .

فى كل يوم كان 'يدعوان إلى حفاة على الهر أو فى حديقة مها الادغال خطيقة بريشة المسور « فيرونيزى » وهى مائرى الازهار والنوافر والبيناء ، أو إلى عشاء لنبذ بعد الاوبرا ، وفى بعش الاحيان بركب وحوله كلاب السيد يتمعل مهراً عمرييا تمكم خليلته ويقفز به على الحواجز جميعا فيكسب احترام أمير الفرسان ، ولم يكن ميالا لهذا النوع من الرياضة ولكنه لا يرضى بأن يقف دونه حائل ، وهذا جزء من برنامجه .

قلمه بلوار فی منزل جدید هو منزل لادی بلسنجتون ، وقد سمع دزرانیل من قبل قصصاً عديدة عن حياة مضيفته ؛ ومرجريت لادي بلسنجنون هي ابنــة قاض أرلندي صغير الشأن أجبر ابنته وهي في الخامسة عشرة من عمرها على الزواج في سبيل المال من مجنون ، وكان لورد بلسنجتون سيدا كبيرا ومالكا كبيرا ، وهو رجل غريب الأطوار ، أرمل وأب لبنتين ، ويبلغ إبراده ثلاثين ألفًا من الجنمات ، وقد اكتشف هذا الجال الدفين ، وعرض عليها أن يحملها إلى انجلترا ، وأن يعمل على طلاقها من زوجها ثم ينزوجها . وقد سافر لورد ولادى بلسنجتون إلى إيطاليا في صحبة شاب فرنسي هو الكونت دورسمه نموذج في جماله وبريقه وثقافته ، ولم يكن أحد يرتاب في أنه خليــل لادى بلسنجتون ، ولا ريب في أن الحقيقة هي ذلك ، وكان لورد بلسنجتون قد أولع بالغريد دورسيه ، وتعلق به تعلقاً لا يصدق ، فكتب وصية يترك له فيها الجزء الأكبر من أمواله ، بشرط أن يتزوج من إحدى بنتى الموصى ، وكانت البنتان اللثان ربطتا مهذا المقد القانوني في الحادية عشرة والثانية عشرة من عمرها . وفي سنة ١٨٤٧ ، بعد أربع سنوات من الوصية ، تزوج الكونت دورسيه وفاء بتوقيعه من اللادي هاريت أصغر البنتين ، وهي عندنَّد فتاة ممتقعة اللون في الخامسة عشرة من عمرها ، انقطت عن المدرسة من أجل الزواج ، وتحدث الناس بأن ألفرىددورسيه وعد لادى بلسنجتون بألا يجمل من اللادي هاريت زوجة بمنى الكلمة ، وأنه بر توعده ؛ ثم مات لورد بلسنجتون فجأة ؛ وعاد دروسيه وزوجته المذراء لكي يستوليا على الميراث وفي سحبهما لادي بلسنجتون وقد كبرت التلميذة وصارت بارعة الجال ، وأخذت تتألم للاحتقار المؤدب من زوجها ولوجود امرأة أبها ، فتركت دارها في ساحة سيمور على ألا تمود . هذه هي القصة التي قبلها أهل لندن ، ولكن بلوار عند ما اصطحب دزرائيلي

لزيارة لادى بلسنجتون أضاف إلى الصورة لونا خاصا بقوله : «سترى أنهما جذابة وفها رحابة الأرلنديين ، وفها ظرف خاص لا تجده في غيرها ، وهي شفيقة وكريمة وتعلم صعوبة موقفها فلا تحاول أن تفرض نفسها على النساء ، وهي لا تخلو من العيوب ، على أن الكثير مما يقال عنها ليس صحيحا ، وقد انهمت بأنها هي التي عملت على زواج ابنة زوجها من الكونت دورسيه وهذا غير حقيقي وكانت مقاومة لهذا الزواج ولكن لورد بلسنجتون هو النبي أرغم الجيع ، وإذا اعتددًا بالظاهر، بحد أن الحب الذي تحمله لدورسيه هو حب الأم للطفل المدله ، واني لأعتقد أنه منذ زواجه لم يكن بينهما شيء ، وعلى كل فهي ليست من النوع المتقد العواطف بلهي صديقة ودودة مخلصة ، وقد فقدت الشيء الكثير ولا تزال لها وجه صبوح وعينان جميلتان ، وعكن أن ترى أنها ظلت ممتشقة القوام إلى أن مالت للبدانة » . سر دزرائيلي سروراً عظما مهذه الدار ، ويخترق زائروها مهوا فرش بالأثات الأحمر المحلى بالدهب ، وهو ملىء بأوانى جميلة من الكهرمان كانت للأمبراطورة جوزفين ، ثم يصل الزائرون إلى مكتبة ضيقة طويلة ذات حوائط بيضاء مذهبة صفت فيهما قماطر الكتب بين المرايا ، ومن خلال النافذة الطويلة في آخر الكتبة تلوح أشجار هامدبارك ، وحول الغرفة تجد سرراً ومقاعد ومناضد علمها التحف الصغيرة ، وعلى مقمد كبير من الحرير الأصفر تجلس لادى بلسنجتون في ثوب من الحرر الأزرق بكشف كثيراً عن صدرها ، وأعجب دزرائيلي بأكتافها الجيلة وبالانحناء الثابت الليء للهديها ، وأحب ذلك الشعر الصفف إلى خلف بعد أن مشط إلى الجانبين ، وتلك الحلية من الزبرجد على الجبين ، وما تكامت حتى صار لها أسراً.

لما زاد معرفة مذلك الروج الجميل الذى يتألف مها ومن دورسيه، وخبر ودهما المتبادل وذلك المرح الذى يشبه ممرح الأطفال يستخلصه الاتفان من تلك الشكات السغيرة التى يظهرانها من تقاليد تلك الدار، نسى إلى الأمد لادى هارت واللورد المجوز والكثير من القسص المظلمة، وتمتع دون تردد بصداقة هذين الشخصين الفريفين . أما لادى بلسنجنون قوجدة لابناً وفسيحاً وفطناً ، فهو في الواقع كبير الشه بفيفيان جراى في دوايته . وكان النساء لا يستقبلها فصارت تقابل الزائرين في كل اللسال ، وصاد من عادة ونزائيل أن يرورها في كل يوم ، وكثيراً ما بقى ماستاً يستع فقط بلغة الوجود في ذاك الهو الذي يجه وهو واقف بجانب النافذة بطل على المشرى الجراه في هامدبوك ، وقد لمت أشعة الشمس الأخيرة على الازهار المفحمة في صداوه وفي بده عصا يسناه وجيوبه مليئة بسلاسل الدهب ، فإذا كان المسهولة عباراته وقوة محكه ، وإذا تكلم كان شيها بجواد السباق وهو على مقربة بما لهذه فتتحرك جميع عشلاته ويشع في كل عبارة قوة عجيمية . ومن فنه في من المدن فتتحرك جميع عشلاته ويشع في كل عبارة قوة عجيمة . ومن فنه في الكلام أن بقارب بين السكات التباعدة فتكسها هسفه الجاورة قوة وحشية مثلة ، وفي الإصغاء إليه لذة ولكنها لذة مشنية . وفي منتصف البيل بعد حباسات البراسان يسل بؤلر فيصير الحواد بين الصديقين خلاباً .

ولكن دذرائيلي بحبأ كثر من ذالثان برى لادى بلسنجون وحبدة ، فقد صارت مستودع أسراره وصاحبة الرأى عنده في منامراته النرامية ، فهو بروى لها في ه و ، كيف أحب هنريت وكيف قدمها والله في براديها موها لبساطهما ألم ينم و . كيف أنه بالسافية المين وكيف قدمها والله في براديها موها لبساطهما ألم لتمثلها بالجنسات وحفلات السئاء ، وكيف أن هذه الملاقة كادت تهدد مستقبله ، وكيف أن الطموح له عاطفة أقوى من الحب ، وروى لها فيا بسد كيف قطع وأمه ، وكشف تقهم عالى في منظم المرافقة كانت تقهم على ذاك ، و كلها عن براديها مو مستر دذرائيلي السجوذ وأمه ، وكشف لها عافى نشعه من حزن يخفيه دراه مظهم الرح والطيش ، وكان في مثل هذه الأحارث الطليقة خلاباً ، فيقدر ما يبدو لمن لا يعرفه متصنماً مستهداً بيقدر ما يبدو لمستيقة مثل لادى بلسنجون طبيباً ورقيق القلب ، وكان يسالها الرأى أسيانا في مسائل مستهداً الرأى أسيانا في مسائل من ويستمل مها الرأى أسيانا في المرافق في مؤاك

وها هو خير من سو وجورج ساند دودينان ، وها هذان الأخيران أقل شأنا من هوجو ؟ » ، وكان يعترف لها بخجله وضعف أعصابه : « لست أعلم كيف حالى ، ولكن الواقع أنى لا أكون قوياً إلا وأنا في حركة ، وحينئذ أشعر أنى غلد . وإنى لأخجل من ضعف أعصابي والتخمة كثيراً ما تجملتي أرغب في حرب أهلية . . . وإنى لأ كاد أموت شوقا إلى الحركة ، واصدا كسيف من سبوف دمشتى في غمد رعدهد ... » .

وأحيانا في غرف استقبال صديقاته يقابل بعض الساسة الدين في المكم فيضط قناع المخدوقة ويشكلم في حاسة عن شئون الدولة ، وكم كان بجسده على مناصهم حيث تنقلب الأقوال إلى أضال . و وقد من الدائبين على زارتها حيث بجلس ملبورن الوزير الكبير من الأحرار ، وهو من الدائبين على زارتها حيث بجلس على مقصدها متعدداً في غير عناية ، ويشكلم فليلا ولكنه يسنى في سرور . وقد سحر ملبورن بآزاء الشاب الطريفة وفصاحته الجريقة ، وفجأة في طبيته الحشقة عرض عليه المساعدة سائلا : « قل لى ماذا تتمنى ؟ » ، فأجابه « أن أكون رئيس وزارة » فرفع ملبورن كنفيه وقال في لهجة الجد المعيق : « لا الا ! هذا ليس تمكناً في زمننا ، فإن كل ذلك مدير وسيكون الوزير القادم ستائلي ، وهو كالنسر والسغير بين منافسيه ... لا ا فاتمهن السياسة فإن لك الحق في ذلك لأنك ذكي وستصل بلا شك ، ولكن يجب أن تقلم عن هذه الأفكار السخيفة » .

الأقلاع كلة سهلة بالنسبة لن هو مثل لورد مليورن عرف كل عي. وذاق كل شيء ، ولكن دزرائيل هذا بريد أن يعيش ولايتصور الحياة بلابح، ، وأمامه . تتنافض الأخوات الثلاث الجيلات من عائلة شريدان باهمام في الخير الأعلى ويتسامل : «ما هي الحياة المرغوبة ؟» ، ويستولي الجد فجأة على ديرى الشاب ويجيب من أعماق مقمده بحاسته : «موكب عظم مستمو من العبا إلى القبر» .

## الانضام إلى حزب

و أفضل الحرية التي تنمتع بهما على مبادى.
 الأحرارالتي يعدوتنا بها ، وأفضل على حقوق الإنسان
 حقوق الانجاز » .

دزرائيلي

كان إنتصار حزب «الهوجيم» في سنة ١٨٣٣ هائلا حتى ظن أنهم سيحكون البلاد نصف قرن ، ولكن الطمأنينة تقفى على كل شىء حتى على المحالفات التي يظن أنها لا تفصم .

بين الأحرار النتصرين إذا كان هنالك أناس مبالون حقا إلى الإصلاح من أمثال لورد جون راسل ، أو من هم أكثر جرأة منه مثل لورد درهام ، فإن معهم عافظين بقطرتهم أمثال ستافل الدى رأى فيمه لورد ملبورن رئيس وزارة المستقبل ، ولم يلدنوا أن حدث شقاق فى صفوفهم وخرج ستافلى وأصدقاؤه على الحزب وارتفم فجأة ميزان الحافظين .

ومما يدعو التسلية أن سفوف المحافظين كانت تقاتل أيضاً بقيادة زعم دائم التطلم إلى خصومه ويفضل إرضاء هم في إرضاء أعواله ، فإن سير روبرت پيل يطمع في التسلط على جميع الأحزاب ، وهذا هو الطمع الوحيد الذى بتى لرجل تسلط على حزبه ، وتحت إدارة خلع الحزب اسم «التورى» القديم وانخذ اسم الخافظين ، واعتبرت هذه الكلمة مناقشة لكلمة الرجمين ، وهكذا تقارب ستائل الحر الخافظ من بيل الحافظ الحر ، حتى لم يعدمن السمل تمييز الواحد من الآخو . وعالم لا شاك فيه أن الحافظ كن أقرب إلى الحرة من زميله .

مثل هذه التغييرات جعلت من السهل جداً تطور دزرائيل في حيانه السياسية الشخصية ، فهذه المودة إلى التقاليد الجريثة والمجبوبة للتورى القدماء هي كل ماتمناه منذ بدء حيانه السياسية ، وقد رأى بوضوح أنه يجب عليه أن ينتهى إلى الاتصال بأحد الأحزاب القائمة بعد أن حاول أن يناضل مستقلا فهزم مرة بعد مرة .

فى البلد الذى تسود فيه تقاليد برلمانية قديمة لاسها بلد مثل أمجلترا فيه يحترم الإخلاص وتحقر النظر ، يكاد يكون من المستصيل الانزلاق بين الأحزاب. أما من داخل الحزب فا نه يمكن إنشاء خلية جديدة ، ولا يمكن فرض الآراء إلا يحت شعار معروف ، وقد عان الوقت لأن بختار دزرائيلي وأن يقدم طاعته .

وإذا ظل متردداً في التقدم إلى حزب المحافظين فذلك لأن السألة الده صارت مسألة أشخاص ، فإن دزرائلي الحب الشخصيات الخلاة والصفات الجيلة لم يجد ميلاً تحو سير روبرت بيل وبروده ، أجل إن الدوق حقاً أجل منظراً في صراحته الفاجئة ، ولكن الدوق اعترل السرح ، تقد أهين كثيراً في لمفلة الإسلاح ولم يكن يحب أن يشرض للجاهير ، فنصل أن يختار دوراً هو أكثر ملامة له وهو دور البطل الوطني القديم ؟ فق النوادى كان الشيان يطلبون منه أن يقص عليهم في تقسم مماركه فيقول : «كنت في سلامتكم راكماً وراء حافظ صغير عندما رأيت تقسم ممارك فيقول : «كنت في سلامتكم راكماً وراء حافظ صغير عندما رأيت الجانح الأبسر المجيئ المترفى ينتني ، فقلت والله إن هذا لكاف فلأهاجهم في ممارك لا تبود عله والجد ( الا يشتبك في معارك لا تبود عله والجد .

فى نحو ذلك الوقت تعشى دزرائيلي ليلة إلى جانب لورد لنده, ست رئيس القضاة من الهانظين ، و يروى أن والد لنده, ست قال له ذات يوم : ﴿ إِنَّكَ الْجَالُ سَيْنًا طُولًا صِينًا طُولُ صَائِعًا ﴾ ، وهى نبوءة تحققت فقد حافظ وهو فى الستين من عمره على جنوحه للخيال فى الأعمال البشرية ، وكان يتسلى بتقائص أسئاله أكثر مما ، واعتاد أن يحفظ القصائد عن ظهر قلب لتدريب ذا كرة ، وقد سحرت دزرائيل رحاة سدره التى تضايق مها الرجال التشددون ، ووجد فيسه أخيراً رجلا يشكم فى السياسة والأحزاب كما براها هو نفسه ، أى أنها ليست دينا

لم على قط من ماع الحوادث الكبيرة في ذلك القرن لاسيا تلك الفعميلات السنيرة الثينة الى تبث حياة في التاريخ ، فثلا أن في اللية السابقة لوغاة كانتيج كانت السابة زوغا، ولكن الربح باردة ، وأراد كانتيج أن يتمشى في الخلاج وداء لندهم سعت برتعد. وقد شما الوزير أيضا دزرا على الشاب بصدافته وكان بسدى إليه النسام . وفي ذات يوم دعاء المنداء مع وكيل الوزارة منير السن جدا المعه ولم المحدستون وأخذ يلق عليهما دروسا حكيمة : « لا ندافعا أبدا عن نسيحاً أمام المجالس الثيابية إلا بالرد على المجوم ، فإن السامين في اللذة التي يشمرون بها المجار المجدم المجدم ، وكان هذا الشاب جلادستون وجل جدمن نوع بيل ولا يكن أن يسر كتبراً أمثال دزرائيلي ولندهرست ، فيكان الساء عيز على المدح عشوة حشواً المناء حير دفيق .

بغضل لندهرست أخذ دزرائيل ينفذ إلى خيابا العالم السياسي ، وظل وتناما يتازل لورد درهام ومستقليه ، وأخذ الحزبان التطرفان بيحثان له عن دائرة فتركهما وشأتهها ، ولكن هذه النازلات عرفت في لندن فل برتم لها الناس وقالوا : «أمن درهام إلى ولنجتون ؟ عجباً إن دزرائيلي هذا يجب أن يكون ذا عقل غير متصرّ » ، وأساف جريفل الحروث : « إنه مثال الصديق الذي ينتظر من لندهرست » .

أدى فشله فى الانتخاب ممرة أخرى الى أن يبرأ من علته واكننى بالدوس الثلاثة القاسية ، ففكرة الاستقلال عن الأحواب مقفى عليها بالفشل . وعمل دزرائيل على أن ينتخب عضواً فى ادى كارلتون مسقل المحافظين ، وقرر أن يتقدم للانتخاب بعد ذلك على أنه من الحافظين ، وأخيراً ارندى الرى الرق الحربي .

إن الرجل محسن دائمًا تعلم به من و درائيلي على أنه كان مستقلا ثم صار عافظاً يفخر بثباته على عقيدته، على أن هذا التبات أقل وضوحا للملاحظ من الخارج . وعندما قضت ضرورات الحلة السياسية على المحافظ الجديد بأن جاجم أوكونيل بعد أن التمس من قبل خطاب توسية منه غضب الزميم الأدلندى غضباً شديداً . وبعد أيام تكام في اجياع بدبين عن هذا الهجوم وعن هـذا المخطاب ، واختم خطبته وسط الشحك والهناف بقوله : « إن اليهود كانوا في وقت ما شهب الله المختار على أنه كان بيهم جماعة من الاشرار ، ولابد أن دزرائيل من نسل هؤلاء ، وأن فيه حقاً صفات ذلك اللهس الشرير الذي مات على السليب ، وإني لأعتقد حقاً أن اسمه كان دزرائيل ، ولا يعد أن يكون دزرائيلي الحالى من أحفاد ذلك الشخص الذي ذكرت مقامه الرفيم ».

نشرت جميع صحف لندن هذه الخطبة الطريفة وتسلى بها كثير من الناس الذين يتضايقون من دزرائيلي . أما هو فتغلبت عليه عواطف نسمها منذ الصغر عندما قرأ هذه العبارات الثولة حقا ؛ أنه رغبة شعر مها لضرب هذا الرجل كما فعل فها مضى بالطالب الذي أهانه بالمدرسة! جرى إلى دورسيه وطلب إليه أن يتفق على الْبَارِزة . ولكن أوكونيل قتل من قبل رجلا في مبارزة فأقسم أن لا يبارز أحداً ، وحاول دزرائيلي أن يدفع ابنه مورجان أوكونيل للمبارزة ، ولكن هذا أجاب بأنه يقبل أن ينتقم للإهانات التي توجه لأبيه ، ولكنه لايتحمل مسئولية كل مايقوله هذا الأب ، وعندئذ كتب دزرائيلي إلى أوكونيل رسالة عنيفة يقول فيها : «على الرغم من أنك وضعت نفسك من زمن بعيد خارج العالم التمدين فإنى لا أرضى بأن أهان من أحد حتى ولوكان وحشًا في صورة آدمي دون أن أُوَّدِه » ، ثم حمل بشدة على رفض الأب ثم الابن مبارزته واختم الرسالة بقوله : «سنتقابل في فيليي ، وكن واثقاً من أني سأنهز الفرصة الأولى كي أؤدبك تأديباً يذ كرك الإهانات التي وجمها لى ويحملك على الأسف عليها » . بنيا. بن دزرائبلي . وبعد هذه الرسالة عاد إلى الهدوء وإلى رضاه عن نفسه ، وارتدى أظهر ملابسه وأكثر صداريه زخرفة ، وقصد دار الأوبرا وهنأه أكبر معارفه على شجاعته . وكتبت له سارة وكتب له إسحاق العجوز بأنهما لايحبان هــذه الضجة الكريهة حول اسمهما ، وأنهما لايوافقان على مثل هذه الشدة . فرد عليهما بنيا. ين ستنكراً وهو يقول : « إن من رأى جميع الأحزاب هنا أنى سحقته ، وأنه من السالة ولا يمكن السلم عليكماً أن نتنقدا مسلمكي ، ولكي لاكسف على هذه الرسالة ولا يمكن إرضاء الناس جميعاً ، وقد قال لى « و » إن رسالتي الأخيرة كانت أمدع ما كتب باللغة الإنجليزية ، ومعالك أناس لم يحبوا استمال كلة « الوحش » ووجدوا فها للمنتفزة ، وآخرون بجدوما خليقة بسويفت ، وعلى كل فالهم رأى المجمع ، وهذا الرأى هو أن الناس جميعاً رون أنى أغهرت شجاعة » .

وهذا حتميق فإن أصدقاء أوكونيل ورجال الهيئة الاجماعية لم يوافقوا على الستوى الدنيء لجلته ، واعتقدوا فعالاً أن دزراثيلي أظهر شجاعة ، ولكن هؤلاء الناس لايؤلفون الرأى العام . وفي إنجلترا الرأى ذو القيمة هو رأى التجار من وراء مكاتب حساباتهم ورأى القسس في قراهم ، ورأى ذلك المجموع المظم الشديد الحدر البعيد عن الحيال الذي هوالشعب الإنجليزي ، والصورة التي مدأت تتكون لدى هذا المجموع عن هذا المؤلف السياسي عن طريق الصحف هي صورة يكرهها العقل الا بحلدي أشد الكراهية ، وهي صورة شخص كثير الضجيج والتظاهر، خال من العقيدة السياسية مضحك ووقح . ومما لاشك فيه أن أوكونيل كان قاسياً ولكن كما قالت السبكتاتور مثلا : ﴿ إِن دِزرائيلي رغب في أَن يبدأ حرب الشتائم مع أكبر زعم للشتائم ، فلما جرح بدأ في الشكوى فهو بذكرنا بالكلب الصغير . الذي يضربه الجُواد بحافره بعد أن ظل أميالا ينبح ويمض حوافر هذا الجواد». وهذه الصورة السيئة لم تكن بعد إلا شبحاً ضميفاً غير واضح ، ولكن إذا أَضيفت إلى اسم يكاد بكون غير معروف ، فإنها تصير صورة خطيرة وهى « شخصية » لشخص خيالى ، ولكنما قد تثبت على أنما حقيقة أكثر من الرجل الحقيقي، وإذا ماتكونت حفظ الرأى العام مايتلام ممها من الوقائع وأهمل غيرها. ولو أن الشاب دزرائيلي قابل شخصيته كما يتوهمها الإنجابزي من رجال الأعمال لدهش وأطرحها بميداً عنه مستفظماً محتقراً ، وكان لايشك في أنه قابل ألد عدو . نجب علمه محاربته .

### عضو في البرلماري

عاد موسم الراقص وعادت مسر أنسون بشمورها المسترسلة كأجل الجوارى ومسر نورتون بجمالها اليونانى البديع ، وعاد بنيامين دزرائيلي الشاب التأنق الطائش الخلاب الدى يتبين شبحه المحمل بالسلاسل النهبية من خلال نوافذ لادى بلمنجتون ، ولكنه أحيانا يشتد به الضيق لهذا القناع ويتألم كثيراً لأن يكون دزرائيلى ، وزادت ادبه لحظات السمت وسارت أكثر وقوعا وهى مثقلة بالأفكار الحزيثة ، ثم يقطعها فجأة بالسخرة اللاذعة ، وتتابست السنوات ويلغ الثانية والثلاثين . من عمره وهو سن الكهولة – بالنسبة لتابع .

لم يكن يقارب بينه وبين السلطة قبللا إلا سداقة لورد لندهرست ، فهذا المجوز النفريف المستهد يسأله الشورة كأنه ندّ له . وقد انتفا في الأسم على الاتجاه المنحوف الذي يسبر فيه بيل بالحزب ، فسار حزب الحافظين تحت أوامريه سيبتا إبلا إعان لأن الزعيم نفسه من غير المؤمنين ، ورأى بيل أنه من الوسجة المعلية مطالب بالدفاع عن المنشئات التقليدة في البلاد ، وهي لللوكية وعجلس المهوردات والكنيسة الانجيلكافية ، بينا هو يميل من الوجهة النظرية إلى الاعتقاد بأنها بمما الإمافع عنه . وكان حزب المحافظين غنياً وبعد بين مناصريه أصحاب النابات والتصور الريفية والمصانع ولكن يس فيه النبوغ والبدأ ، وتكلم بيل كثيراً عن مذهب المخافظين ولكنه لم يكن يموف ما يريد أن يحتفظ به .

أما دزرائيلي فهو على السكس كما فكر في الحياة السياسية بابجلتراكما بداله من الواجب أن يواجه الأمور بشجاعة ، فالمحلفظ في نظره ليس معناه أن يؤود في إنساسة الاعتدار دستوراً خلقا ، وإنما هو موض شريف وسيال ، وهو الموقف الوحيد المقول والموقف الوحيد الذي يحسب حساب إنجلترا الحقيقية وثلث القرى القائمة حول قصر الدنيد ، وهذا الجنس النشط المنيد من صغار السادة الملائ ، وهذه الأرستقراطية القديمة المحتد ، وفى الوقت ذاته ميسرة للسكتيرين ، بل يحسب حساب التاريخ نفسه « فالاحترام للسوابق وهو ما تسخر به المقول المنوودة السطحية يبدولى أن أساسه فى الحيرة المسيقة الطبيعة البشرية ، وما يجب عمله هو أن يقام المبدأ الواقى فى وجه المبدأ النظرى للأحرار والنفسين » .

فكان الجدل السياسي الحديث عنده فائماً على الفرق بين المدرسة التاريخية والمدرسة الفلسفية ، واختار هو التاريخ ، فالبلد ليست كائناً فرضياً كمن استنتاج حقوقه بمجرد التفكير المقلى ، والأمة هي عمل فني ساغه الزمن ولهما عزاج كما للشخص عزاج ، وعظمة إنجلترا بوجه خاص ليست فاشئة عن مواردها الطبيمية وهي متوسطة ، ولكنها من أثر منشئاتها وحقوق الإنجليز سابقة لإعلان حقوق الإنسان بخمسة قرون .

هذه مى الآراء الى كانت ندور عادة فى خلد ساحب المذهب الشاب ، وفى
سنة ١٨٣٥ نشر كتابه فى «الدفاع من المستور الإعجليزى » فى شكل رسالة الى
لورد نبيل ، وهو كتاب فى الفلسفة السياسية رأى فيه خير النفاد كال الأسلوب
ونسوج الفكرة ، فقد يظهر عجس اللوردات سخيفاً لن لايعترف بالتمثيل من غير
انتخاب ، ولكن دزرائيل أوضح أن هناك ماهو أخطر من ذلك الانتخاب من
غير تمثيل ، فقد تستطيع عصبة من المهمينين السياسيين أن عمل الناس على
التخابها ثم يمكمون البلاد دون أن يكونوا صورة الإداديم . أما عجلس اللوردات
المتخابها ثم يمكمون البلاد دون أن يكونوا صورة الإداديم . أما عجلس اللوردات
الأساففة ، والقانون فى شخص « اللورد شانسلور » والقاطمات فى شخص
« اللورد لفتنات » والأرض فى شخص للالك الوارثين . أما عن عجلس النواب فهو
يود على المكس فو أنه أوسح تمثيلا بما جاء فى الإسلاح القيد الذى وضمه الأحواد
سنة ١٨٣٧ ، وقد تبين له أن واجب زعم الحافظين هو أن تنوفر لده الشجاعة فى

الحزب من جميع الأوهام والمبادئ التي صارت بالية ، ثم يسير به في جرأة نمحو سياسة كريمة مشربة بحب العامة من الشعب وفادرة على النسلط عليهم .

يمح الكتاب بجاحاً عظيا ، وهمم الدوق قائلا : ( بجب إيجاد مقد في البياد مقد في البيان لهذا الشاب » ، وكتب ييل إليه رسالة تكاد تكون وده . أما إسحاق دزرائيل الحافظ القديم تقد سركتبراً وكتب إليه : ( لقد حصلت الآن على مالم يكن لك منذ عشرة ألم ، اسم في عالم السياسة ، لم ينقسك الذكاء ولكنه بطني أحياناً لكتربه ، ولقد نبذت الأسلوب القصير الرائن الذي بدل على الجهد التواصل وأسلوبك الآن بين مال الجهد التواصل وأسلوبك التواسل وأسلوبك التواسل من الرجولة وفيه الرقة » ، وأسلوبك المناطق وكتب لندهرست : ( إنه ليكون من الخنجل لولم يجد له الحزب مركزاً يسمح وكتب لندهرست : ( إنه ليكون من الخنجل لولم يجد له الحزب مركزاً يسمح بالانتفاع بكامل مواهبه ونشاطه وحاسته » .

نسَجِت الفاكمة في ذلك الوقت ولا تلبث أن تتساقط ، والواقع أن الوقت حان إذ أخذ الداتنون بيشا يقومه أكثر من قبل ، وسار المحضرون بساون حتى أبواب برادنهام ، فإن تقدمه للانتخاب أربع ممات ، واتخاذه خليلة مسرفة ، وتأتفه بالباس الغالى زاد ديوه ثلاثة أمثالها ، وكان يقرض أمدقاء عن طلب خاطر نقوداً اقترضها لم ولا يردونها ، وفي مهمة واحدة فقط في ساعة ضيق طالب ددوسيه بدين عليه فأجاب : «أقسم بأله ليس لدى في المصرف فلس واحد » ، وقد قال المصرف فلس واحد » .

#### \*\*

مات الملك وليم الرابع في مساء ذكرى واترثوكم بحوت الأسد المجنوز ، وتولت العرش ملكة سنيرة في الثامنة عشرة من عمرها ، وفي الساعة الحادية عشرة صباحا جمت فيكتوريا عجلس وزرائها لأول مرة ، ورافق وزرائبل حتى القصر اللورد لندهزست الذى ذهب ليقدم الطاعة للمكته ، وعند الدورة وسف لندهرست وهو متأثر جداً هذا الاجتاع الذى شم أشهر رجال إنجلترا ، فوصف ذلك البحر من الريش الأميض والأوسمة والملابس المسكوية ، فإذا فتح الباب على مصراعيمساد سكون عميق كسكون النابة ، وتقدمت الفتاة إلى عرشها وسط ذلك الجم من كبراء الكنيسة والقواد ورجال السياسة ، وقد سحر دزراتيلي بهذا الوصف ووجد فيه كل مايمب من عظمة الحفلات وذلك الوقار البراق ، وروح الدروسية فى خضوع كل ما فى إعجلترا من قوة أمام إمرأة ، وكم ودلو أنه أيضاً أمام ملكته ليقبل يدها الفتية ، ولكنه ليس شيئاً مذكوراً. وتم السنون .

أدت تولية ملكة جديدة إلى حل البراان وإجراء انتخابات عامة ، وفي هذه المرة عرض على دزرائلي بتأليد لندهرست أن يرضح في دوائر عدة مضمونة ، ومن يين ما عرض عليه أن وبدهام لويس زوج تلك السيدة الشابة التراث الدزلة التراث التي عجب أن يكون له زميلا في مذا المرض المسز دائرة لها مقددان في البراان مضمو ان للمحافظين ، والفشل في هذا المرض المسز وبدهام ، وقد ظل وقتا طويلاً يستنقلها جداً وفي أحد الأمام حي إلى ولمية لدى آل دو تشيلا ، وسائته ربة البيت : « هل تصطحب يا مستر دزرائلي السيدة وبدهام لويس إلى المئة و أي شيء خير من تلك المرأة التي لا نطاق ، ومع لويس إلى المئة منه عرب أم وضع بدء في جيب صداره كدادة ومشي نحو المذاب .

لكن بعد مقابلات عدة عدل عن رأبه فيها ، فعي لم تك ذكية ولا مثقفة ، ولكنها تتكلم عن الأمور في حكمة ، وآزاؤها عن رجال السياسة ليست طائشة ، ورأي أكثر من ممهة أن نسائحها سليمة ، وانهي به الأمم إلى أن صار بدعي كثيراً السئاء فيالمذار الكبير الذي يلكه وندهام لويس في لندن أمام هامدبارك . ومن الواضح أن سنز وندهام كانت بهم له وتمجب به وقد تستطيع نفسه ، وهذا من يعالم السادةة ، وكان ينازلها منازلة فيها شيء من الجدوشي، من المزاح ، بما يسلي هذا الجال الذي نضج من زمن

ف أثناء للمركة قامت محوه مدور الأم فى التعميد ، وكتب دزرائيلي لهسا رسائل رقيقة يعبر بها عن سروره ، إذ برى اسمهما مقرونين فى إعلان واحد ، وقد نسى عاماً كراهيته الأولى ، ولم يعد أحد تمندحه — ولا سارة — كما تفعل هذه السيدة ؛ ومن كتاباتها عنه : « نذكر نبوءتى ، سيصبر مستر دزراتيلي بعد ستوات قليلة من أعظم رجال هذا الزمن ، لأن مواهبه وتأييد أصدفاء مثل لورد لندهميست ولورد شاندوس وقوة زوجى على إبقائه فى البرلمان سيضمن له النجاح ومدعوه الناس محسوبى البرلماني » .

ويشاركها فى رأمهــــا الحسن عن هذا المرشح على الأقل رجل واحد ، هو المرشح نفسه ، فقد قال لناخبيه فى مابدستون : « عند ما أعود هنا وأنا نائب عكم فلن ينظر إلى أحد منكم إلا بشىء من الارتباح وربحا بشىء من الفخر » .

تم الانتخاب في ٢٧ نوليه وانتخب لويس ودزرائيلي ، وهكذا حصل دون نضال لَذَكُو ، وفي بضعة أيام على القمد الذي رغب فيه طويلاً ، فالحياة عجيبة ، لقد هرم دائمًا في واَيكومب حيث اعتقد أنه معروف ومحترم ، وهو ينتصر فجأة في مايدستون التي لم يرها قط قبل أسبوع ، فأية طريق ملتوية سار فبهـــا الحظ إلى أنَّ وصل به إلى غايَّته ، والفضل في مقعده لعناية الأم التي حاطته بها احراأة ضئيلة الجسم ثرثارة ، والفضل في مقابلته لمسز وندهام لويس عائد إلى صداقته لبلوار ، وهذه الصداقة نشأت من فيفيان جراى ، ولم بكتب فيفيان جراى إلا لفشه في جريدة « مرى » وفي مضارباته على أسهم أمريكا الجنوبية ، ودخل هذه الضاربات على أثر إقامته في مكتب ساحة فردريك ، وأرسل لهذا الكتب ، لأن اضطهاداته في مدرسة كوجان دلت أباء على أنه من المستحيل أن يتربي تربية جامعية ، وهكذا انتقل خطوة بعد خطوة ، فإذا عاد إلى الطفولة وجد سلسلة متصلة من الظروف حيث الحادث السيء يصير سبباً في حوادث سعيدة ، والحوادث السعيدة تسبب الكوارث والفشل. وإنه لن الصعب أن يستخلص المرء في هذا الترتيب الكامل الخني قاعدة أو قانونًا ، فكل هذا من الأسرار . صار يعتقد الحياة معجزة مستمرة وفي داخل تلك الغامة المظلمة خيط « أريانه » اللامع وهو إرادة بنيامين دزرائيلي ، فقد يخطئ في طرائق أعمالها ونتأنجها ، بل هو أخطأ دائمًا ، ولكنه لم يفقد قط الغاية الواضحة ولا المزيمة الصادقة للوصول إليها . رعا هذا يكنى ... بل هو يكفى

بلا شك لأن قدميه وضعنا في الركاب ، فهو بنيامين دزرائيلي عضو البرلمان ؟ عنوان جميل ومفاص، جميلة ، وبعمد بضعة أشهر تصنى هذه الجماعة في إعجاب إلى جمله الرنامة وعباراته المليئة والتراوج السجيب فها بين السفة النادرة والاسم القوى، وبعد بضع صنوات يصل العضو المحترم بنيامين دزرائيلي إلى حكم للستمموات أو الأمور للمالية في تلك الامبراطورة المظيمة ، ثم بعد ذلك ...

رسالة إلى سارة دزرائيلي مامدستون في ٢٧ نونيه سنة ١٨٣٧ الساعة ١١ .

« غريزتى : الل لويس ٧٠٧ أسوات ، ونلت ٢١٦ سوتًا ، والل الكولونيل "ومسون ٤١٤ سوتًا ، وكاد يَم الانتخاب فأرسلت هذه الكامة على مجل » .

> دیری والی مسز و ندهام لویس

براديهام في ٣٠ يونيه

« نرجو جمياً ألت تزورينا أنت ومستر وندهام هنا بين أحراش الزان ، ولا نستطيح أن نقدم لكما نمير ملفات بسيطة : مناظر طبيمية برية وقاب ودود ! درً

من مسز وندهام لويس إلى ماجور إلىمانز (شقيق زوجها)

« زرت تاثة ستر دزرائيل وهم يسكنون داراً كبيرة على مقربة من وايكوهب وأكبر عنى مقربة من وايكوهب وأكبر من وأكبر من المختر غرف هذه الهاد طوف المختر من المختر من المختر عنه المختر المخت

ومن دزرائیلی إلی مسز ادوارد باوار لیتون

« من العجيب أن أختم نضالي في الانتخابات بأن أسير نائباً عن مايدستون

إننا أطفـــال الآلحــه ولا نــكون عبيداً لقظروف أكثر منا فى الساعه التى نستند فيها أننا سادة لمـــا ، فماذا يكون النظر التالى فى سهزلة الحياة الحلامة ؛ الإقدار وحدما تعلم ذلك » .

ومن دورسيه إلى دزرائيلي

« ولتجنف الحب والدسائس ولك مقعدك الآن فلا تخاطر بشيء ،
 وإذا وجدت أرملة فتروج » .

\* \* \*

أمنى فى براديها الآدم الثالاة بين الانتخاب وانتقاد البرلمان وهو فى عاجة التنخاب فى براديها الآدم الشعبة بالمستقبل ، وكثيراً ما قام بغرهة طوية سبراً على الانتمام فى تلك الحقول البدينة إما منفرداً وإما مع سارة . وقد ظل الفسل جيلاً مشمساً ، والهواء معطراً بسبيق الأزهار برن بأزير النحل وجهزه طيران الفراش المشمساً ، والمهواء معالماً بسبيق الأزهار برن بأزير النحل وجهزه طيران الفراش المبلك فى ضوء النسس ، ومجموعة من الأشجار النخطة وبيئاً ربشاً قدماً بالمبلك فى ضوء النسس ، ومجموعة من الأشجار النخطة وبيئاً ربشاً قدماً المناظر ، وفى كل من هذه البيوت سيد ضخم ذو وجه أجر وابن له عينان رائتمان الناظر وفى كل من هذه البيوت سيد ضخم ذو وجه أجر وابن له عينان رائتمان بأق الربال الذي يصوفون للملكة امبراطوريها ، وهذه النظمة وذلك الجال ها يأق الربال الذي يصوفون للملكة امبراطوريها ، وهذه النظمة وذلك الجال ها المبلك بين يصوفون للملكة امبراطوريها ، وهذه اللهد . وكان بنيامين دزدائيل ما منطقاً المبلك والمبلك بين بين المبرا والزهار وقول كما يستطيون أن بحيوا أنضهم . مقاساة أحب مؤلاء الإنجاز أكثر قبل كا عي ستطيون أن بحيوا أنضهم . مقاساة أحب مؤلاء الإنجاز أكثر قبل كا عي ستطيون أن بحيوا أنضهم . ولكنه بطره وفي يتأم إذ بينام إلى المنتم الذي المناسة المبرا أن بنام ين هذا اللهداء في أن بكشف عز نفسه ، ومعا قاأه أه وأمنته بأنه بلغ منهم القورة وله الجزرة في أن بكشف عز نفسه ، ومعا قاأه أه وأمنته بأنه بلغ منهم القورة وله الجزرة في أن بكشف عز نفسه ، ومعا قاأه

أهله وأخته بأنه بلغ منهمي القوة وله الحق في أن يكشف عن نفسه ، ومهما قال يقابل قوله بالإعجاب ولا يصابقه عقل مثليل ولاسنافس حسود ؛ وقد احتفظ منذ عهد المدرسة بشىء من الخوف لابتداء موسم جديد ، ظلوسم الجديد يقترن بفكرة ممركة ننشب ودور يمثل وخطر بقابله ، وكان جسده النصبي يطلب الرحمة ، فقد دفعه التغلب على العقبات بغمز الهماز ، وهو لايخاو من قلق أو تعب . وهذه الرة خاصة وهو يسهر على أسلحته البرلمائية سادل نفسه : ماذا تسكون عليه هذه المدرسة الجديدة وهؤلاء الرفقاء المهابون ، وأى بحر يواجهه بعد الخووج من هذه المناء الهادة ؟

# القسم الثاني

لأن يصبح الرجل ملكا أو سائلا فستكون له دائمًا تلك السيان السوداوان أو الراديتان، وذلك النم الحفر أوالفضاح، وتلك اليد نفسها، فين هذا الإسراد من الطبيعة فى كل منا، وين هذه الصادفات المتلفة فى غير ما تناسب، عمر تاريخنا كائم صفحة بين أسطوائتي مطبعة تتلق الحروف فى كل لحظة من الجافيين . . . .

وهكذا ولو أننا لا نستطيع تغيير الطبائع كما لا نستطيع تقويم الشمور المجمدة ، إلا أنه يكدننا الاعاد على الطبائع ؛ بل نذهب إلى أبعد من هذا فنقول : بما أننا لا نستطيع تغيير الطبائع فإ نا نستطيع الوثوق بها ، ومن يشحد إلى عمقها يلمس الصخر ، فقوة قيصر أو الاسكندر مثلا قامت بلا شك خاصة من ميلهما للاختلافات ، وأمهما لم يلوما شجرة الكثرى أن لم تخرج برقوق .



### خطبة الاستهلال

من المحتمل أن يستدأهل برادنهام أن إنجلترا بأسرها تشكلم في دخول بنيلدين دزرائيل إلى البرانان ، وأما لندن فالحديث فيها بدور عادة حول اللكنة النتية وحذتها في التصرف وذكائها ، والود الذي تحبو به لورد ملبورن رئيس وزرائها ويتحدث الكثير من الناس عند عوديهم من أجازاتهم عن سغرهم الأول في السكك الحديدة وشمورهم بحاسة الخطر ، ثم تناسهم هذا الشعور .

عاد دزرائيلي على الأثر إلى آل وندهام لويس « زملائه » ، ودعته مسنر وندهام الفخورة بحمايتها له إلى شرفة دافئة فى السرح لرؤية كين ، ودهب إلى لندهمست ليتلتى تهنئته ثم لهنئته بدوره ، فإن هذا السجوز الذين تروج من فناة سنيرة وسار لا يتكلم إلا عن رغبتة فى وله ، ثم أخذ، وندهام لويس إلى البرلان .

لما كان قصر وستعندتر القديم قد احترق جزئياً عقد الدوردات والنواب المجالميم في قامات مؤقتة وهي تصنيق بهم شيئاً ما ، ولكن دورائيل استطاع أن يجمز لنفسه مقعداً خلف زعيمه سير روبرت بيل مباشرة ، والخفر له سير روبرت الورب منير بوم الحميس التال بنادى كارتون « وهو غذا، قاصر على أعضاء مجلس النواب وحده ، و لا تنعيم منه حتى نكون عن قد عمضا شيئاً عن نفسية هذا الجلس » ، ولاتت « يمن » هذه بولا ، وقال وندهام لريس تروجته عند عودته : « لقد أمسك بيل بيد دزرائيلي في أوضع مظاهم الور» .

سار من الواضح إذ أخفت الأصوات لأول مرة أن وزارة لورد ملبورن من «الهوج» ستبق في الحكم بتأييد الأرلنديين لها ، وظل در راثيلي أسبو عين يتفرج على . المناقضات ولا ينطق ، وبه رفية شديدة إلى الكلام إلاأن الخوف الشديد استولى عليه وحوله رجال عظاء ، فني مواجهته على مقمد الوزراء وأمام الصندوق الأحمر الرسمي يجلس لورد جون رسل زعيم «الهويج» ، وهو يبدو ضئيلا جداً في ثوب الرمدنجوت الأسود القديم الزي ، وقد اختنى نصف وجهه محت قبعة ذات إطار عريض ، وله مظهر حزين ، ولورد جون هو الرمز الحقيقي لحزبه ، وهو يقدم أجرأ الآراء في أسلوب من أقدم الأساليب ، ويلفظ كلة الدعقر اطية بصوت فيه نفمة الأرستقراطية . وعلى مقربة من لورد جون يجلس لورد بلمرستون وزير الخارجية وقد غطى جانب خدنه بشعر فودنه بعد أن صبغه ومشطه بمنانة ، وهو بلمرستون الذي وصفه جرائفيل بقوله : « إنه يشبه جارف النقود وقد هرم واعتزل العمل من أماكن القار بيادن» ، ويرى « الهويج» أنه غير مهذب لأنه لايظهر الاحترام للتاج وهو مظهر حافظ عليه « الهويج » دأمًا حتى وهم يعزلون ملوكاعن عرشهم . وأقرب إليه بمد المنضدة الضخمة التي تفصل بين الوزراء والممارضة يرى سير روبرت پيل بجنته العظيمة ، وبرى جانباً من وجه لورد ستانلي بأنفه الدقيق المقوس وفمه الحساس وشعره المجعد المنتفش بعض الشيء ، وهو ذلك اللورد الأبي الذك الذي يلبس ثبانه في إهمال متعمد يصح أن يتلفن منه ديزي درسًا ؟ وعند مدحل الباب بين المستقلين بجلس صديقه بلوار ، وفي وسط عصبة الأرلنديين بجلس عدوه اللدود أوكونيل .

بث فيه الاضطراب أيضاً ذلك المزيج في صدة الجمية بين عظمة طقوسها وإممال قواعد اللياقة فيها، فلا أحد فيها يصفى واللنط كثير أتناء الخطب، ويدخل النواب ويخرجون بلا انقطاع، ولكن رئيس المجلس بلبس الرداء والمدر المستمار والحجاب يدخلون وهم يرفعون عما السلطة، ولايشير أحد إلى زميل إلا بقوله السيد المجتم، كل هذه التفصيلات الصنية "سر" لها كثيراً هذا الحددث الذي ظل طويلا يلاحظها من الخارج، وكان على ثقة بأنه في اليوم الذي يبدأ فيه الكلام لن يرتكب خطأ، يوجه السكلام المثبي المجلس وحده حسب الاصطلاح المتبع في ذاك المسكان وبدء حسب الاصطلاح المتبع في ذاك المسكان ويدعو كل المب من الهامين «السيد الحترم المالين «السيد الحترم المالي»، وكل نائب

من الضاط ( السيد المحترم الجرى " » ، وسير رورت بيل ( البارونيت المحترم » ، وفود جون «الله سبت أفكاره في قالب الشهدرات البرائانية ، وإذا ما سار وزيراً قرع الصندوق الأحمر بقيضته في عظمة التميزات البرائانية ، وإذا ما سار وزيراً قرع الصندوق الأحمر بقيضته في عظمة وفي آخر الخطبة مرت خطبه التي تقابل بالتصفيق بتهاك في غير عناية على مقمد الخرينة وعسح شفتيه بحنديل من التيل الفاخر ، ولكن منذ قاس عن قرب ذلك الكود القوى في هذا الجلسد الكبير امترج تسجه بشيء من القلق .

#### \* \* \*

فى معرض إثبات سحة نيابة أعشاء الجلس ارت منافشة فى شأن اكتتاب افتتحه رجل بدى مستر سبوتسوود يرى به إلى إمداد الرشعين البروتستانت بالأدوال اللازمة لمقاومة الكانوليك فى ارلندا ، لم يقتصر الاستياء من همذا الاكتتاب على الارلنديين وحدثم بل شاركهم فى ذلك الأحراد الدين رأوا أنه يتمارض مع حربة الناخيين ؛ تكلم أوكونيل فى حاسة عن هذا الوضوع فنا اتنهى حتى وقف درواليلى فى مكانه ، كان من التنق عليه أن برد لوردستانلى نيابة عن الحافظين ، ولكن درواليل ذهب إليه وسأله أن يسمع له بالكلام قبله ، دهش ستانلى ولكنه لم بهتم كذيراً وتجمله مذلك.

تطلع الأرائدون والأحرارق فضول للخطيب الجديد الدى وقف أمامهم ، وقد سمح الكنيرون منهم أنه أقباق ، وأنه من الستقاين ، ثم تحول محافظا ، وأنه ملفق روايات وخطيب مزخوف الدبارة ، ومن المروف أنه حشت يينه وبين أو كونيل مشادة عنيفة من قبل ، فتجمعت عصبة قوية من أصدةا ، أو كونيل بمجرد أن وقف دزوائيل ، وفي مقاعد المحافظاين فحص السادة الريفيون بشئ من القلق هذا الرجه الذى هو بلا شك غير إنجلزى السحنة ، وتشايقو المنظر لفائف شعر ، وملابسه وقد ارتدى سترة خضراء قاضة وسداراً أيض منطى بالسلاسل الذهبية ، (وقال له بلوار ذات ممهة لم تكثر من السلاسل با دترى مع تنصرن على أن تكون عافظا لدينة لندن أم ماذا ؟) ، وفي عنقه وبلط كيراسود تردد في امتقاع لونه ، وكان شديد

الانفعال ، فهي لحظة خطيرة وهو يلعب دوراً كبيراً ، وعليه أن يظهر للأحرار خسارتهم له ، ويظهر للمحافظين أنب بينهم زعماً من زعماء المستقبل ، ويظهر لأوكونيل أنه حل وقت التكفير عن خطيئته ، ولديه ما ببعثه على الثقة في نفسه، فان خطبته أعدت بمنامة ، وهي تحتوي على عدد من العبارات ذات تأثير مؤكد ومن نقاليد البرلمان أن تقابل خطب المبتدئين بالرفق ، وبقال عادة للمبتدى ُ إن خطبته « هي خير خطبة استملالية منذ خطبة يبت » ؛ فثلا جلادستون الشاب الذي وجده دزرائيلي في مقاعد النواب عند ما تكلم لأول مهة منذ خمس سنوات بين العطف العام كتب في مذكرته اليومية : « تكامت لأول مرة مدة خسين دقيقة وأسنى إلى الحِلس في عطف شديد ، ورضى أصدقائي عني ، ثم أخذت للشاي في ادی کارلتون » ، لکن جلادستون خریج اینون وأ کسفورد ، له وجه حمیل إنجلنري السحنة ، ذو ملامح بارزة ومألوفة وثياب داكنه وحركات وقورة . أحدث صوت دزرائلي المتصنع دهشة مشوبة بعدم الارتياح ، حاول دزرائيلي أن يثبت أنالأرلنديين وأوكونيل بوجه خاص استفادوا هم أنفسهم من اكتتابات مماثلة ، أو على قوله : « من هذه الشحاذة الفخمة » . كان المجلس عقت العبارات الرَّانة ، ومُعمَّع نحك مَكتوم ، فاستمر في خطبته قائلا : « لا أزعم بأنى غير شاعر، بصُّوبة موقني (يتجدد الضحك) ، ولكني واثق من السادة المحترمين (ضحك وأصوات نقول إلى الموضوع !) أؤكد لهم أنهم إذا لم يريدوا سماعى فإنى سأجلس من غير تململ » ، (تصفيق وضحك) . وبعد لحظة من هدوء نسى جاءت في خطبته عبارة جمت فيها الألفاظ جماً بيمث على الدهشة ، فثارت الماصفة وارتفع الصفير من جماعة الأرلنديين ، وأخذوا يضربون الأرض بأقدامهم ، ويقلدون أصوات الحيوانات . حافظ دزرائيلي على هدوئه واستمر ، « إنى أريد حقا أن أحمل المجلس على أن يمنحني خس دقائق أخرى ( نحك شديد ) ، فإني أقف الليلة هنا يا سيدى لا بصفة رسمية ، وإما بصفة واقعية لحد ما ، ممثلا لعدد كبير من أعضاء البرالان

(نحك جنوبى وعام) ، لم تبتسمون ؟ (نحك ) لمساذا محسدوننى ؟ (نحك صاخب وعام) » .

من هذه اللحظة بلنت الضجة حداً كبيراً حتى لم تسمع غير بضع عبارات « سيدى . في اللحظة التي أعلن فنها نافوس كنيستنا الكبرى خبر وفاة الملك ، (سياح .. أوه ! أوه ؟ ونحك كثير) ، قرأنا عندمد يا سيدى (ضجيج وصيحات . أوه ! أُوه ..!) إذا كان السادة المحترمون برون من العدالة مقاطعتي فإني أسلم لهم (نعاث شدىد حدا) ، إنى لن أسلك مثل هذا السلك نحو أحد ، هذا كل ما أستطيع قوله ، (نجك) ولكني أريد ببساطة أن أسأل .. (فحك) ليس شيء أمهل من الضحك ( نحك شديد ) عند ما مذكر أناشيد الغرام ( نحك شديد ) ذلك الغرام القديم والجدمد الذي تبادله اللورد النبيل «تيتروس» مقاعد الوزراء ... (نجك شدىد)، وعند ما نذكر في الوقت ذاته أنه بين أرلندة المتحررة وإنجلترا الستعبدة يجلس هــذا اللورد النبيل في هدوئه فوق منصة السلطة وهو يستطيع أن يمسك في أحد يديه مفاتيح القديس بطرس ويحرك في الأخرى . . . (هنا قوطع النائب المحترم بضحك شدند مستمر حتى صار من الستحيل معرفة كيف أتم هذه البيارة). عند ما سكت الضحك استمر قائلا . . نرى هنا يا سيدى الرئيس التعصيات الفلسفية للناس (نحك وتصفيق) إني أحترم التصفيق حتى ولو جاء من الخصوم (نحك) وإني لأعتقد يا سيدي (صياح إلى الموضوع) إني لا أعجب يا سيدي للمقابلة التي قوبلت مها ( ضحك ) فكثيراً ما أعدتُ من جدمد أشياء ( ضمك ) وكثيراً ما أنهيت إلى النجاح (صياح . حقا ! .) ، ثم في صوت شديد وهو ينظر في غضب بحو مقاطعيه ، وقد رفع بده وفتح فاه على سعته ، وصاح وقد انقلب مرعبا وتغلب فجأة على الضحيج « إنَّى أُجلس الآن وسيأتي الزمن الذي تصغون فيه إلىَّ » . سكت وخصومه لا نزالون يضحكون وأصدقاؤه ينظرون إليه في دهشة وحزن

سكت وخصومه لا يزالون يضحكون وأسدقاؤه ينظرون إليه فى دهشة وحزن وفى أثناء هذا الدفاب كله أبده رجل واحد فى ثبات ، وهو البارونيت المحترم سير روبرت بيل ، وليس من عادة سير روبرت أن يجمر بتأليد خطاء حزبه ، فعو يسنى إليهم فى سكوت يكاد يكون عدائياً . ولكنه فى هذه النوسة تلفت عدة ممات نحو الخطيب الشاب وهو يقول : اسموا ! اسموا ! فى صوت قوى ، وعند ما النفت نحو القاعة لم يستطع إلا أن يبتسم قليلا .

وقد لوردستانل عتقراً ما حدث ، ولم يقل كلة واحدة عن هذه القابلة النوبية الني يقوبل بها زميل له بل تناول الكلام عن الوضوع في جد وأصني إليه الجلس في احترام ، وأسند دزرائيل رأسه إلى يده وهو صامت وحزين ، فهذا هو الفشل مرة أخرى ، وهذا هو الجمع ، لم يحدث قط منذ تتبع مناقشات مجلس النواب أن رأى مثل هدذا النظر غير الشرف ، هل يبتدئ من جديد في البرالان حياة مثل حياته في مدرسة كوجان ؟ وهل يجب عليه هنا أن يناضل أيضا ويمادى وهو يرخب كثيراً في أن يُحيب ويُحيب ؟ لماذا تتمقد له الأمور أكثر بما تتمقد للآخوين ؟ ولكن الماذا تحدى في خطبته الأولى أو كوئيل وعصابته ! يصمب عليه الآن أن يسبح مقاوماً التيار ، ولكن هل يستطيح ذلك أبداً ؟ لقد فقد مكانته عنها في هذا الجلس ؛ استماد في مهارة الصورة التي رسمها عن هذه البداية ، فقد كله عن هذه البداية ، فقد عليه عليه المنا أمر بمباراته وسحر يخيالاته وخلب بلوانح نكاته ثم التصفيق الستمر والنجاح التام لساعته . . . . وهذه الصبحات الهينة . . . . والفشل . . . . آه لو يلجأ إلى أشجار بوادنها م .

اضطره إعطاء الأسوات لأن يقف ولم يسخ إلى المناقشة ، وسمى إليه لورد شاندوس الطيب القلب بحمل النهائي ، فأجابه أن ليس هنالك موضع المبنئة ، وتحم ثائلا : « إنه لفشل » ، ولكن لورد شاندوس قال : «كلا ! مطلقا ! إنك غطى "، لقد رأيت بيل الآن وسألته : أصدقى الآن ما رأيك فى دزرائيلى . فأجابنى ، إن بعض أصدقائي شعروا بخيية وهم يتكامون فى فشله ، ولكنى أقول كل عكس ذلك تماما فإنه فعل كل ما يمكن فعله فى مثل هذه القاروف ، فأما أقول كل شيء إلا أنه فعل ، ويجب أن يشق طريقه » .

استوقفه النائب العام من الأحرار في طرقات البرلمان وسأله في ود .. والآن

يا مستر دزراثيل هل تستطيع أن تجرى كيف أتمت إحدى عباراتك في خطبتك فا نا ود أن نعرف تكلة قولك . في بد مفاتيح القديس بطرس وفي الأخرى .. ؟ » ظالم : «وفي الأخرى قبعة الحرية ياسير جون ... » فابشم محدثه وقال «سورة جيلة » ، فأجاب دزراثيلي في من المراوة « نعم : ولكن أصدقاءك لايسمحون في با عام صورى » ، فقال الثانب العام « ولكنني أو كد لك أن دغبتنا في الإصغاء إليك كانت شديدة جدا ، و إنحا عي ضجة فئة سنيرة عند الحاجز لا سلطان لنا علما ، ولكن ليس هنالك ما تختاه » .

ما هذا : إذن أثر الفشل الذى لا مرد له لم يكن قويا كما هو له. ؟ ومثلُ الكثيرين من الرجال الخاضين لأحصابهم استرد دزرائيل ثقته بنفسه في السرعة الني تقديها هذه الثقة ، وأخذت سحابة اليأس تقشع عن نفسه ، وفي اليوم التالي وهو يكتب إلى سارة عن الكارثة أخذ بحد شن انساعها 9 حيث أرد أن أعطيك فكرة سادقة عما حدث ، فأقول لأول وهلة إن بدايتي كانت فشلا عنى أنح لم أنحج في أن أجد فرصة لقول ما أردت قوله ، لم يتسبب هذا الفشل عن المهارى أو عجزى ، وإنحاعن عجر القوة السلة غمسوى ، لا أستطيع أن أسف لك الحد الذى وسلوا إليسه ، كانوا شديدى الوطأة متحزين وظالين ، أسف لك الحد الذى وسلوا إليسه ، كانوا شديدى الوطأة متحزين وظالين ، وغلت طول الوقت في قوة لا تفنى وهدوء لا يترغزع ، وأترك بهم ضريات جيدة هنا وهناك عندما يسود اللسمة ؛ وأنتها بمين في أنه لم يق ما أنفله » .

\* \* \*

فى اليوم ذاه عندما دخل بلوار إلى ادى أثينيوم رأى « شــيل » الــكهل والنائب الأرلندى الشهير ومساعد أو كونيل يحيط به جاعة .رـــ الشــبان الرادكاليين ، وهم مسرورون لمــا حدث لدزرائيل ، وافترب منهم بلوار وظل صامتاً ، وعلى حين فجأة رى « شيل » جريدة وقال لهم فى صوة النافذ : « الآن أيها السادة سمت كل ما قلتموه ، وفوق ذلك حمت خطبة دزرائيل ، وأقول لكم هذا: إنه إذا كانت روح الخطاة موجودة فى دجل فهى فى هذا الرجل ، وليس
هناك ما يحول دون أن يكون من خيرة الخطياء فى جملس النواب ، إني أعمرف
الكثير من أمر هذا المجلس ، وأقول لكم أيضاً إنه من غير هـنـد الفاطمة قد
يفشل مستر دزدائيلى ، وإنى لا أشمى حادث الأمس فشلا ، وإنحا هو صدمة .
وإن خطبتى الأولى تعتبر فشلا ، لأن الأعضاء أصغوا إليها ، ولكننى عوملت
بإذدراء فى حين أنه قوطع مقاطمة شريرة ، ويجب أن تكون خطبة البداية مملة ،
فجلس النواب لا يسمح للرجل أن يظهر الدكاء وقوة الخطابة فى آن واحد دون
أن يترك للعجلس فشل أكتشاف هذا الأمرى » .

أحدث هذه الخطبة القسيرة من خصم دهشة ، وتفرق الشبان في شيء من الخسل ، واقترب بلوار وقال لشيل : « سيتمشى دزرائيلي مي في هذا الساء ، في حيث أن تقابله ؟ » ، فقال شيل : « إني شديد الرغبة في رؤيته بالرغم من أسبق بالنقرس لكي أخيره وأن في » ، وكان شيل في وقت المشاء ساحراً وانتحى بدزرائيلي جانباً وأخيره أن هذه القابلة الساخية هي فرصة عظيمة له وقائم أسنوا إليك ف هي النتيجة ؟ إنك تلق أحسن خطبة في حياتك وتقابل ببرود فتيأس من نفسك ، ولكنك على المكمى أظهرت للجاس أن الله من اجبلا ، وذلاقة في القول ، وشجاعة وشخصية وحياة ، والآن عليك أن تتخلص مدة دورة برائية من نبوغك ، وتشكم في فرص كيرة ، إذ يجب ألا أن تكون مملا ، ونقش الأمور مناقشة غير كافية ، لأنك إذا ناقشها بدقة ظنوا أن كون مملا ، ونقش الأمور مناقشة غير كافية ، لأنك إذا ناقشها بدقة ظنوا أنك عاد كار إنظهار الذكاء ، واعمل على إنارة دهشهم بأن تشكل في المسائل النقساطة التي يعرفون أنك عماكها ويضجعونك على استمالها ، وحينتذ النصاب كذان هذا الجلس وحياناك تشاكل ادنان هذا الجلس وحياناك م

هذا الحديث الذكر الذي بدل على معرفة عميقة بالإنجليز أضاء الستقبل

لەزرائىلى ، وليس هنالك من يقدر مثله على فهم هذه النصيحة واتباعها ، فعو يكيف نفسه كالتحفة الفنية ، وهو دائمــا على استعداد لأن يعدل من مســورة نفسه ، وقد ارتـكب مرة أخرى الخطأ الذى أنبه أود عليه ، وهو التعجل والرغبة فى الشهرة السريعة ، ولـكن يجب أن يعرف كيف يتقدم فى بطء .

بعد ثمانية أيام من ذلك الروم ، وقف وسط مناقشة عن حقوق المؤلفين ، وقد استمد جميع الأعضاء اتمابته مقابلة حسنة ، وانق الحافظون والأحوار على وكرة واحدة ، هى أن ذلك الرجل عومل معاملة ظالمة ، وليس ذلك مما يوق لنجم ، فهم رجال صيد وقنص ، ويحبون أن تتاح الفرصة للخطيب كا تتاح الفرسة ، وظل عالقاً في أذهامهم من تلك الجلسة الفنظية شعود الحجل ، وسادوا مياداته المفالة المناقبة شعود الحجل ، وسادوا مي عاراته المنافقة جما وخيلاه السجية . ولكن مما أكر المهشة العامة أنه في قل غير الدي والمساحب الشروع بأنه سيحسب حسابا كبيراً للاحظات الشهية جما التي أماما ناب ما المستون الحجرم ، وهو من خيرة الألهرخظات الشهية جما التي أماما ناب ما المستون الحجرم ، وهو من خيرة الألهرخظات الشهية جما الأدب الحديث ، وأبدى سير دوبوت بيل رضاء الشديد بقوله : «اسموا اسموا » ، والله ي ، وجاء كوفيل يل عليه على كبيراً للطبل بين التصفيق الشديد ، وكتب دزرائيل إلى سادة على كباك ، والأن تستعلي إلى سادة عن إلى المداد ، وقول الدر القارمة ساحيل بين التصفيق الشديد » .

بدلا من أن تكون تك البدارة الحزية مضرة به ، فإمها جملت له مكانة النصية ، وفي ثلاثة أسابيع حصل في ذلك المجلس الصعب غلى فوع من النهورة ؛ فهو شجاع حسن الحديث ، ويظهر أنه على معرفة للمة بالوضوعات التي يسالجها ، وكان السادة الانجاز يفكرون « ولم لا ؟ »

### زبجات

صار نجاح دزرائيل مؤكداً في المجلس منذ يناير ، وقد أمذى فترة الانتظار والمحافظة على الجد الممل التي وصفها شيل ، وكما تنبأ هذا ود الجميع لويمود خلاباً ، وروى أخوه هيم عند عودة إلى برادنهام ، بعد أن حضر إحدى جلسات المجلس كيف أنه بمجرد وقوف « بن » عاد النواب مسرعين إلى مقاعدهم وكيف ساد العمت العميق لسباعه ، وأسنى إسحق المجوز إلى هذه القصة في تأثر ، وتتمت سارة : « لياركك الله أيها العزز » ، فإنها اعتقدت داعاً أن أخاها رجل عظيم.

حملت السياسة دزرائيلي على تخليض قسطه من الحياة الاجباعية ، ولقد تغيرت على كل حال حياة الكتيرين من أصدقائه ؛ فعائلة بلوار البرامة والهشة تكسرت ؛ إذ ذهب بلوار بروجته إلى إيطاليا عاولا التقارب يسهما ، ولكن في المولى فكر في موضوع دواية هى : « آخر أيام بومي » ، وأخذ في كتابتها ، وأهمل روزينا كما كان يفعل في لندن ، ووجدت المكينة تفسيها مهجورة في هذه البلية الغربية ، وعرومة حتى من كلابها الهبوية ، فسمحت لأمير إيطالي بالتودد إليها ، وهمبة بلوار من أحلامه إلى النضب لهذه الحقيقة ، وبعد حادثين مؤليل أو تلاقة انسلم للانفسال ، ولم تعد روزينا الممكينة المتألمة ترى أصدقاء زوجها إلا الممكوى منه ، وشعر بلوار بتأنيب الضعير ولم يعد سعيداً ، ووجد ذرائيلى فذلك حججا لتأبيد عدم إياله بالزواج من حب .

وفقدت كارواين نورتون الجميلة مرسحها أيضاً ، فإن زوجها البنبض بعد أن استفاد من صداقة لورد ملبورن لزوجته ، أقام عالمهما فضية منهما لهما بالوثا واستفاعت زوجته أن تثبت أنه قادها بنفسه مئات المرات حتى باب الوزبر ، وبرأها الحلفون ، ولكن نورتون مع ذلك هجر زوجته وأخذ معه أطناله ، ولا يسمح القانون الإنجليزى لمسر نورتون بحضائهم ، فأخذت ترجو صديقهما بلوار ودزرائيلى في أن يسملا على تعديل القانون ؛ وفيالشقة السغيرة في «ستورى جيت » لم تعد الشرفة ذات الأزهار والستائر من الموسلين تسمع غير الشكوى والرجاء ، فقل عدد الزائرين .

ولا زال دزرائيلي يتردد على لادى بلسنجتون فى بعض الليالى التى لا يجتمع فيها البرانان، وفى ذلك البيت أيضا أظلت الصورة ، فإن دورسيه زاد فى الترف والغ فى الارتفاق والغار حق أعوزته النقود ، وكثيراً ما يقابل الزائرون دائنيه أمام الباب ، والبيت الوحيد الذى ظل هادناً برحب بضيوفه ، هو بيت وندهام لويس مد المرتفى المرتفى المرتفى عندات شريدان وذكاؤهن ، ولكن رعب أن عضواً شابا فى البرلمان كبير للطامع شديد المساسية يكون فى طبحة أكبر إلى المطف منه إلى الرقة ، فهذه الصديقة تميتة لدورائيلي .

\* \* \*

في ذات صباح بعد محوستة أشهر من دخوله إلى البراسان ، جاءه الخبر موفاة زميله فجأة فأسرع إلى الأرملة ووجدها في أشد التأثر .

رسالة من دزراليلي إلى مسر وبدهام لويس :

« من الطبيعى بعد الامتحان القاسي الذى مردت به أخبراً ، أن تستسلمى للواطف الوحدة والحزن ، هذا طبيعى ولا بد منه ، ولكن يجب ألا ترضخى لهذاء العواطف ، ويجب أن تحاول الابتماد عن التذكير دائما في المسامى ؛ فقد يكون المستقبل مليناً لك بالسمادة والأمل ... ... أما من جهتى فإ في أقول إن الالالم التي مرت بك والصفات المنتازة التي احتمات بها هذه الآلام ، وأعترف الك بأتى لم أكن أتوقعها ، وثباتك وطب خلقك ، سنجعل منى سديقاً وفيا لك بأتى لم أكن تستمدى على بقدد ما تنفع نصائحى وتأبيدى وسجبق لك في تعريبات ك . .

والواتع أنه استمر على التردد عليها فى إخلاص ، وأخذت روزينا بلوار صديقة همــنما البيت تتبع فى احتقار وقلق تلك الزيارات المتكررة من صديق الزوج السابق ، واعترفت مارى آن لها بأن دزرائيلي عمل إليها ميلا أكبر من عجرد الصداقة ، وقد تملت روزينا الارتياب فى رجال الأدب ، فنصحت لهــا بأن تكون على أشد الحذر . وعند تتوجج اللكة أهدى كل ثائب نوطا من الذهب على سبيل التذكار ، فأهدى دزرائيلي نوطه لمستر وندهام لا لسارة .

أخنت المبارات التي يحتم جا وسائله ترداد اشتمالا فمن «صديقك الودود» اتتقل إلى ﴿ استودعك الله وإلى لسميد لو تكوين كذاك » ، ومما هو جدر بالاعتبار أنه بدأ يشركها مع سازة فى تلك القصص ذات الفخر المكشوف عن مجاحه ، وأسام او بغ النقاب ويلق الترس «جميع سحف المحافظانين والأحرار فى لثمن تكلمت عن خطبتى الأخيرة واستدحها كثيرا » ... « يقيم لورد شاندوس ولمجة كبيرة لموق أوف وانجنون وجميع المدعون هم على الأقل وزواء ، وأطانك تتمجين عندما تعلين أنى دعيت معهم ، لكن شاندوس صديق وفى ، وهو يفخر بنجاسى فى البران ... »

« تقيم عائلة لندندرى ولمعة دعت إليها مائة وخسين من تحبة أهل لندن . وكانت «فاقي» ( ا وفية فدعتنى ولدك تربن اسمى فى « المورنتيج بوست » . . . . وهذا عمل من أرق ما يكون ، لأنه لم يك منظوراً بأى حال . . » وأرسل وسف النرف المزداة بأشجار البرتقال والموائد المنطاة بالبلور الفاخر ، وسمك السلمون المتد والبطارخ والكيد السمين ، لكل من سارة وسيز وندهام لويس ، وقد بدأت تؤلف جزءاً من المائلة .

هل بدأ يفكرف الزواج؟ إنه لميفس نصيحة الكونت دورسيه : ﴿إذَا وَجَدَتُ أَرْمَةَ فَنُرُوجٍ ... ﴾ ولكن لم يكرّ ليتجاهل الاعتراضات ، فهو فى الخاسمة والثلاثين من عمره ، وهى ف الخامسة والأربين ، وليس لهــا ممكرٌ فى الهيئة

 <sup>(</sup>۱) فرنسیس آن لیدی لوندندری

الاحباعية كبير كمركزه ، وربات البيوت اللاتى تتنازغن دزرائيلي لا يتحمسن لمارى آن ، وفيا يتعلق بالثروة ؟

و لا و و ندهام لويس لامرأته حق استمال منزله في لا جرو فترجيت ٧ لدة الحياة ، و و خلا يبلغ نحو أربعة آلاف جنيه ، و هو كاف الميشة والقيام بواجبات الضيافة و لكنه ليس بالثروة الكبيرة ، و إلى نم هناك رأس مال آخر بني بدون دررا شيل و مدف التروة فو ذلك لا تورث ، و بما أن سمن و ندهام مي أكبر الاتين سنا ، فإن دروا أليلي مرض جداً لان يجد نفسه في منتصف بحرى حياله منسطراً لهجر بيته وطريقة ميشته ، ثم إن مارى أن ليست بالرأة اللقفة ، والناس رومها مستحكة شيئة ما ، ثم إن مارى أن ليست بالرأة اللقفة ، والناس رومها مستحكة شيئة ما ، و مال التذكر و هلا أمها ظهر قبل الآخر : اليونان أم الرومان ، وبعد حديث أمامها عن « سويفت ٤ ، مالت عن عنوانه كي تدعوه الدشاء ، وبرى النستهاع و دوخها فيا يتعلق بالألك و اللابس عجيب و كربه ، و من المستعلاع دلية أحب شاو روز من وزراء المستقبل أن بحد أصله مها .

لكن دذرائيل لا برى هـ نا ، فهو على غير ما براه أهل المجتمدات لا براها عدة ، حقيقة هى جاهلة ولكن ماذا بهم ذلك ال تدراها وهى تعمل أثناء انتخابات عدة ، وهى تفهم الرجال وحكمها سليم ، وتسعل عملها كاملاوعلى خير وجه ، فهى رفيق ناسح ، وأساديثها الطائشة تسلى دزرائيل وتربحه . فله صديقات كثيرات من البارذات ، ولا برغب في أن يرى نفسه في بيته منسطرا التحمل هجمة من هجات الذكاء ، ومارى آن تعجب به ، وقد شعر بأنها لا تعيش إلا من أجله ، وفي خاطات الانتقباض وهى كثيرة لهيه يكون في حاجة إلى من يعزه فقد تألم من بداية حياه الصعبة أكثر مما يتم عليه مسلكه وبوده شيئا ما . وقد رغب منذ أحد بعيد في أن يجد سارة أخرى تكون له زوجة فضلاعن أخت ، ويشعر بعض الرجال بالحاجة إلى الالاحتفاظ باستقلالهم من أجل الخاصات الخيالية ، أما دزرائيل

فحاول الغرام ووجد للحال أنه يتعارض مع الطموح وأن ملجأ العاطفة المستمرة أكثر إغماء .

كان دائمًا سريع الاندفاع ، فيمجرد أن وجد فى مارى آن الزوجة التي يرغب فيها ، قال لها ذلك ولم يقابل هذا الإعلان منه مقابلة سيئة ، فعى محترم مواهبه أكير الاحترام ، ولها كل الثقة فى مستقبل حياته ، ولكنها رفيت إليه فى هدو ، وفى اعتدال أن تتاح لها فرسة الثفكير ، وطلبت منه سنة لثدرس أخلاته .

كان البرامان فى عطلة ، وبرادنهام هادئة مزدهرة ، ودزرائيلي عاشقاً ، فأخذ فى تأليف مأساة ، وصار يخبر مارى آن يوماً فيوما بنا يتم فى أمر، مؤلفه وفى أمر حبه : « إنى أتقدم تقدماً سريعاً ظاهراً ، وإنك لتملين أنى لا أطمئن لنفسى فى سهولة ، وليسمن عادتى أن أتكام عن مؤلفاتى فى رضا ، فقستطيمين أن تصدقينى بأن عملى الحالى يتجاوز كتيراً ما كنت أنتظره . . . لم يق هنا إلا القليل من الأزهار ، ولسكى أرسل لك بعض أزهار البسلة » .

كتب بعد أربعة ألم : ﴿ أَكتب إليك وأنا في حمة جيدة ونفس راضية ، والسمل يسير سيراً حسناً ، وإنى مراقح لما قت به أنظر إلى ما ألفته فأجده جيداً ، فالسحة والمقل الرائق وحبك النالى لدى — إنى لأشمر بأنى أستطيع افتتام العالم » .

بعد سنة ألم: « لا أستطيع الجع بين فكرة الحبوفكرة الفراق، فقكرتى عن الحب هى أن أنم دائمًا بسجعة الرأة الساحرة التي أما غلص لها ، وأن أشاطرها أفكارى وخيالاتى وسادتى ومتاعى جيمًا . . . فكيل ماأريده أن أكون ممك وأعيش ممك ، وألاً أنفصل عنك أبداً ، ثم لايه عى إن كنت فى الساء أدق الأرض أو ربا فى قاع المياه » .

لكن ما لبث أن قلت الردود على رسائل دزرائيلي ، وصار في لهجتما شيء

من الجفاء، وعقب ذلك صمت طويل وغريب أقلقه على عواطف مارى آن، فاذا عر بخاطرها ؟ لقد طلبت منه سنة كى تدوس أخلاقه، ورعما أن المسكم الهائى 
لا يوضيه ؟ طلب منها المقابلة ومنحته إياها ، وحيرى يقهما حديث مؤلم ، فحول 
مسر وندهام الأصدقاء لا يوافقون على زواجهما ، ومن المبروف أن دزرائيلي 
سنة ؟ فعوازن لم يتقدم إليها إلا لهدى من ثورة الدائين بنيا هذا الزواج . وتكامت 
سنة ؟ فعوازن لم يتقدم إليها إلا لهدى من ثورة الدائين بنيا هذا الزواج . وتكامت 
ودونينا بلوار كثيراً عن حب ديزى للأربعة آلاف جنيه ، وهى دخل مارى آن، 
الأحزاب ليحسل على مقعد في البراان ، وهو ينتهى إلى الزواج من امراة تجيو 
ليحسل على دارها ودخلها . ووسلت هذه الإشاعات إلى مارى آن نقسها ، 
ليحسل على دارها ودخلها . ووسلت هذه الإشاعات إلى مارى آن نقسها ، 
وفقت لها ، فعى امرأة تحيل إلى النظام وتحسب حسابها حبيداً ، وهى تحب ، 
بقول بعد خروجه من منزلها :

« ... أضم لك فيا يتملق بالسالح المسادة أن هذا الزواج لن يكون له أنه فائدة ، فإنى حاصل على كل ما يستطيح العالم أن جهيه ، وليس تماك دخل ظاهري هو الذي يزيد في حمركز الرجل ، لأنى ستطيح أن أعيني في أعيس من غير ما يحس الشرف ، إلى أن يؤوى سير الحوادث الطبيبي إلى الاستعلال الذي أرغب فيه ، وإنى لا أخوض في هذه التفصيلات الكريهة إلا لأنك عمروت إلى أن لي سالحا ، لا ، إنى لا أتنازل بأن أكون خليل أميرة ، ولا يمكن لكل خصب « أوفير » أن بدفعي إلى الذيج ، وإن السمات التي أرغب في أن تكون للشخص المحبوب الذي يقاسمي الحياة لهي صفات مختلف عن ذلك كل الاختلاف وتطلب طبيعي أن تكون حياني حياداً على ... »

 وداعا ... إنى لا أزعم بأنى أنمن لك السعادة ، فليس من طبيمتك أن تحصلي عليها ، وقد تمضين سنوات قليلة وأنت تجولين في دائرة واهية ، ولكن سيأتى الوقت الذى تفهدين فيه رغبةً فى قلب عب ، وتياسين من أن تجدى وفيا وهذه ساعة المقاب ، حينتذ تفكرين فى مع الندم والإعجاب واليأس ، وتذكرين القلب المدله الذى فقدة والنبوغ الذى خنته »

### من مسز وندهام لويس إلى دزرائيلي :

« بحق الله ، احضر فا في مريضة وأ كاد أسل إلى الجنون ، وسأجيب على كل أستلتك ، وإنى لم أرغب قط في كل أستلتك ، وإنى لم أرغب قط في الكلام في مسائل المسال . . . لم يمض عام على ترملي ، وكثيراً ما يحدث لى أن أخد بعدم اللياقة الظاهرة في مسلكي، وإنى لك لخلصة » .

ف ۲۸ أغسطس سنة ۱۸۲۹ ، عقد زواجهما فى كنيسة سان چورج ، وكتبت مارى آن فى دفتر حسامها : ﴿ وَقَالَ بَمِلْمَ شَلْئِنُ وَنَسَفَ شَلْنَ ، وَفَى السندوق ۳۰۰ جنيه ، تروجت فى ۲۸ أغسطس سنة ۱۸۳۹ ، وسار دېزى العززومـــا لى » .

كتب إليها قبل ذلك يعضمة أيام : « إنى لأهم أنه لم يتيح لشخصين ما أتبح لنا من فرصة السمادة الدائمة الكاملة ، وإنى أنطلع إلى يوم إجهاعنا على أنه المهد من حياتى الدى يتقرر فيه مستقبلي ، وليس مايحدث بعد ذلك على ما أعتقد يحرك من فضى ؛ إذ أجدلى دائمًا ملجاً في قبلك من أحزاني أو من خيبة الآمال ، وقوتك الحكيمة والسريمة تقودني في السمادة وفي النصر » .

وذلك فعلا ما ينتظره من الزواج .

泰安者

ف السنة ناتها تروج عشو آخر من أعشاء البرلمان أسغر سنا ، وإن لم يكن أقل بروزاً ، هو وليم جلامستون ، الذي تسفى ممه دزرائيلي عند لندهرست عندما قدمت بجمة عمشوة ، والزواج في هذه الحالة يختلف كل الاختلاف ، وليس من السبت أن نذكر الظرف في اختصار ؛ فقد فابل جلامستون خطبيته أشناء سياحته فى إيطاليا ، ومى ابنة لادى جلين ، وقد سافرت بصحية أمها وأختها وحشية فى صركة سفر كبيرة ، وفى فلورنس حياهن شاب ذو ملامع منتظمة . وقوية ، وسألت كاترين جلين : «من يكون هذا؟ ، فأجيبت : ألا تعرفينه ؟ إنه الشاب جلادستون ، الرجل الدى يعتقد جميع الناس أنه يجب أن يصير رئيس وزارة انجلترا » .

توتفت علاقة السياسي الشاب الذي يقضى أجازته بهذه الفتاة الجيلة النقية ،
وتحادث معها طويلا في كنيسة سانتا ماريا ماچورى ، وتدكما في الغرق بين
بخل الانجيلز في زخرفة كنائسهم وترفيم في حياتهم الخاصة ، وسألته : « هل
تمتقد بأنا على حق في أن نعيش مكذا ؟ » ، وكتب في مذكراته اليومية : « إنى
أحبيتها من أجل هذا السؤال ، ما أجل التفكير في أن قلها وإرادتها ها في مدى
أحبيتها من أجل هذا السؤال ، ما أجل التفكير في أن قلها وإرادتها ها في مدى
الحد ليزيم محت شوء القمر كما يسطى و وما فترددت ، ولكنه رآما في الجائزا
من كانية ونتره معها في حديقة على مقربة من أحد الأنهر ، وقس علمها قسة
نفسه وكيف رغب في أن يكون قما ، وكيف اعترض والله ، ثم كيف استسل
السياسة ، وفهم أن السياسي قد يستمعل سلطته في سييل بحد الكنيسة ، وقبات.
السياسة ، وفهم أن السياسي قد يستمعل سلطته في سييل بحد الكنيسة ، وقبات.

قال لها عندئد سنتخذ شماراً لحياتنا قول دافق : ﴿ فَي إِدَادَهُ سلام انا ﴾ وتروجا في قرية مزداة بالأزهار نسقها أهل القرية الدين يحترمومهما ، وقد القوا بطنافسهم البسيطة في طريق الوكب . وفي نحو الساعة الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم قرآ في التوراة مماً : ﴿ وهذا العمل اليومي آمل أن يدوم ما دامت. حياتنا مشتركة ﴾ .

أدخلت مسز جلادستون شيئًا من الخيال فى حياة زوجها الجافة ، فهو مثال النظام والدقة ، أما هى فحسيفة بالفطرة وميالة للمكامة ، وهو يرتب كل شى، ويوبه ، وهى تضبع كل شى، وهى تداعبه قائلة : إنه من الخير أن تكون زوجته بعيدة عن النظام ، لأن ذلك يجمله أقرب للإنسان ، وهو من سجمته علمها كيف محلل عواطقها ، وتسهر على نفسها ، ومدون مذكرات يومية ، نقرأ فيها على سبيل المثال : « استخدمنا طاهية بعد حديث طويل فى السائل الدبنية ، لاسها يذها وين وليم » .

نانت كاترين جلادستون ظريفة حقاً ...

## ماری آن

«كان كما بجب أن يكون الرجل دائما من
 الرأة: رقيقا جدا ، وإنما هو لهما دليل »
 دزرائيلي

صار رجلا متروبا يسكن بيئا جيلا في بارك اين ، وبدعو زملاء إلى مائدة عشاء عليها أربعون صفحة ، وقصت السلاسل قليلا ، وقصت الدنتل بمض الشيء . تنير دزرائيلي كثيراً في بضمة أشهر ، وقد برى الآخرون في مارى آن آلات السيوب ، ولكنها الرأة التي يحتاج إليها هذا الرجل التكبر الحساس ؛ فقد جعلته يعيش في جنة من المبادة مضحكة بعض الشيء ، ولكن ما فيها من أمن جهدئ الفلق الطويل المؤلم .

مسلكه جدى يكاد يكون حزينا مرحة وسعيدة عندما يتكلم قلما يغضب سريعة النضب ضيق النفس دانسية النفس حار في الحدودة في العداقة ولاسلاقة

صبور جداً لا صبر لمــا مكب على العمل كسولة جداً كريم جداً كرية فقط لبر نحمه

كثيراً ما يقول ما لا يستقد لا تقول قط إلا ما نستقد من المستحيل أن تعرف ما يحب تختلف كل الاختمالان وتظهر

 غير راضية عن نفسها أنانية جداً لابجدتسلية إلا فيالقليل من الأشياء تنسلي بكل شيء هو كنية وسيمند علمه إلى حد لا يستند علمها

يقف نفسه على السياسة والطموح ليست طموحة وتكره السياسة

تقول روزينا بلوار أحيانا فى حدة وحسد إذ تم تمد بمدخسارة زوجها تحتمل أن ترى فيرها من النساء بجدن زورائيلي » إن ترى فيرها من النساء بجدن زوجا: « إنى قبيحة وغبية مثل مسر دزرائيلي » على أن مقارة صورتهما تنبي " عن ذكاء في مسرّ ديرى أكثر مما تمترف به روزينا، ا فعى وحسدها التي فيصت فى ذلك الحين الحزن المعيق المحتقى وراء السخرة الدزائيلية ، وعدم وجود المرح المحقيق ، والتضاد بين مسلك الطيش والسخرة لذلك الرجل التجمل قدماً ، وبين المواطف الشيفة الحزينة التى تنظى تحت هذه التشرة الرقيقة .

مارت تراقته فى كل مكان ، وعبدتها عائلته فى برادبهام ؛ فعى تحمل الرح إلى دار هاجمها الشيخوخة ، وقد صار مستر دزرائيل كفيفاً ، وهذا أمر، شديد على دجل يجد فى القواءة حياته ، وأخذت سارة تقيد له المذكرات فى كل يوم قلسمته له بالاستهرار فى عمسله ، وقد انفقت الأخت وزوجة الأخ فى الإعجاب بمواهب « ديزى » .

كثيراً ما يذهب هزوائيلي وزوجته لقضاء بعض الأيام فى الربف فى دور النبلاء حيث تلق بساطة مسز دزرائيلي نجياحاً كبيراً ؛ فني ذات مهمة قالت لسيدات يتناقشن فى جال بعض التماثيل اليونانية : «أنّه لو رأيتن زوجى ديزى وهو فى الحجام ! » ، وقالت لسيدة أخرى : « إن دارك مليئة بالسور غير اللائقة ، ولدينا صورة فظيمة فى خمافتنا يقول ديزى إنها صورة « فينيس وأدونيس » وقد ظلت ممة مستيقظة حتى نصف اللية كى أمنعه من النظر إليها » . وفى ذات صباح بعد أناً أمضى الروجان ليلهما في عمرفة مجاورة الوردهادرمج قالت الدورد عند النطور: « إنى بالوردهادرمج أعد نفسى أسعد النساء، فقد قلل لنفسى عندما استيقظت في مدا السباح ما أسعد حظى ، نحت بين أكبر الخطباء وأكبر المقاتلين في هذا المسرى » بيضحك الناس كثيراً ، ولكنهم يشحكون في حذر إذا ما أدار الرجع ظهره ، لأن دوراثيل على شدة شعوره ما هومضحك بدافع عن اسمأته ولاء شديد ولا يلومها على شي مطلقاً .

فى ذات يوم وهما فى زيارة البدار الذى سكن عندتُه على صَفة التساميز ، ركب الزوبان فى قارب يقوده البرنس الويس بالبلون الطالب بعرش الإمبراطورية الفرنسية ، وأحد المهاجرين الحبوبين فى انجلترا ، وفى وسط الهر مجز الأمير عن القيادة فى موقف الخطر ، وغضبت مارى أن لذلك وعاملت بالبلون معاملة البحار الذى لا يحسن عمله لا معاملة إمبراطور فرنسا فى الستقبل ، وصاحت به : « يجب ألا متولى أعمالا لا تقدر عليها ، إنك لمناصرة أكثر مما يجب» ، وضحك الأمير ضحكا عالماً ، أما وزرائيل فقد ثرم الصمت وعليه علائم الجد وإن تسلى بذلك .

#### \*\*\*

عند ما ينجع عضو البرلمان لا يفكر إلا في أن يكون وزيراً ، وله يزى كل الحضالات الحق في أن يظن ذلك قريباً ؛ فقد فشل الأحرار إذ قبل الشعب إن الامسلاح الانتخابي هو بهاية كل الآلام ، ففرض الشعب هذا الإسلاح على جلس اللوردات ومع ذلك سارت الحمال إلى أسواً بما كانت ؛ فني كل مكان حلت الآلات عمل العالم الفزائر اليدويون عمومون جوعا ، وزاد عدد الموزين ، وصارت المجاهر التي تأثرت بالبطالة تلتي اللوم على النظام السياسي ، وقبل لهم إن الإسلاح ليس كافياً ، وإنه لم يزد على أن ألم اسادة الأرض بسادة الأتحالان والحوافيت ، وإن منح الأسوات المجمعين هو وحده الذي يضمن السامدة الفقراء ، وتكون حزب كامل يطالب وقيقة الانتخاب العام ، وكان هؤلاء المطالبون (الشارقت) فظيين حقاً إذ لم يقتصروا على المطالبة بحق الانتخاب العام ، بل طالبوا الإفتار

السرى ودفع الرتبات النواب وتساوى الدوائر ، وبدأ الكثيرون من الوسرين يتخوفون ، وفكر البمض الآخو ( ان يحدث شيء ، في هذه السلاد لا يحدث شيء ، في هذه السلاد لا يحدث شيء مطلقاً ». والخمس الفريق الأول من الوزراء أن يتخدوا تداير لقاومة الطالبين جهند الوثيقة ؛ والخمس الفريق الآخو اتخاذ مثل هذه التدايير لقاومة وجال الصناعة وسارت وزارة الأحراد في أحرج المواقف ، فهي قد تولت السلطة بفشل الثلاث أصحاب النظريات وأرباب الصناعة ورجال الأحراد التقليديين ؛ فل تمكن تستطيع إرضاء الفقواء دون أن تغضب حلفاءها . وكانت فكرتها الوحيد لتتخفيذ وطأة الفاقة هي قانون الفقراء الجديد الذي يندئ الملاجئ ( بيوت الممل ) حيث يطم الموزون ، ولكنم يحجزون ويتبمون نظاما شديداً ، وصارت هذه السجون الذي يفصلونها بين الزيج وزوجة ، ولا يستطيع الأبأن يضم أطفاله إلى صدوم مكرومة جداً للحال لدى الجمهور ، ورسم لها ديكثر في رواية أولينر تو يست صورة فظيمة وحقيقية ؛ وقد بلنت كراهية الناس لهذه الملاجئ "مبلماً عظها حتى كانوا يغسلون علمها النوث والمقاتير قطيها أن يغسلون فالح الم الباستيل » المفتراء .

وأمام ذلك استفاد حزب المحافظين من كراهية الشعب لخصومه ، وقد يصعب على يسل وهو ابن أحد أسحاب المسانع ، وهو الذى وافق على قانون الفقراء أن يستل هذا الموقف في البران ، ولحن وزرائيلي لم يتسور ما هو أكثر ملاممة لآدابه ، فهذا المحرن على أن حل لآدابه ، فهذا الأرس على النامى الذى يشعر به التحساء ، وهذا المحرن على أن حل الإحافات الودية السكنيسة أو القصر ليس إلا حسان الإحادى الشديد على الإحافات الودية السكنيسة أو القصر ليس إلا حسان على التحديم التي ملاى جها أبداً ، وقد تحول إلى عاطفة يسيطة ؛ في أن يأن الشر في وأبد أن من أن قولى السلطة الوضيون الذين ألقوا على عانق الحكومة الانجازية برغم كل التقاليد الانجازية تلك الواجبات التي هى واجبات طبقهم ، فعندما جاء الشارقسة علمها من التي همندا أحد الشارقسة ما أموان وضع علمها من التي عصر ألف امر ، وغند ما رفض الحزبان أن ينظرا فها ، وعند ما أسال لورد جون

رسل أبو الإسلاح أولئك الرجال من أبنساء الإسلاح إلى الحاكة تكلم وذرائيلي وحده تقريباً مدافعاً عنهم ، ولم يتناطرهم الرأى في نشائل السلام بحق الانتخاب السام ، ولكنه يستقد أن الداء الاجهامي لا يعالج إلا يعلج اجهام ، وأعلن عن عطفه على تماسم واستغرابه لمهجم فورد جون رسل علهم بعد أن كان مثلا لهم، وقال في مهارة : « سيمين الوقت الذي يكتفف فيه الشارتست أنه في السلاد الأرسنقراطية مثل الجلتر الا تتنجح الخيانة فضها إلا من النبلاء ، سيكشفون الأرسنقراطية مثل الجلتر الا تتنجح الخيانة فضها إلا من النبلاء ، سيكشفون إلى غرضهم ؟ فحيث فشل وات تيز تمكن هنرى ولتجروك من أن يقط أسرة عاكمة ، وحيث منتو وزيراً للبولة » . عادت العالم . « هدنه على حيد الناس . « هدنه على حيد كاناس . « عدن حيد كاناس . « هدنه على عرب عدن حيد كاناس . « هدنه على عدن كاناس . « هدنه على عدن ستور وزيراً للبولة » .

تحدث الناس: «هـ فد خطبة جيله ، ولكن ماذا ربد؟ » - « أظن أنه 
ينقلب مستقلا » - « ولكن الخطبة جيله ، ولكن ماذا ربد؟ » - « إذن ماذا 
سيسير من الأحرار » - « إنه متطرف في كراهيته الأحرار » - « إذن ماذا 
يكون ؟ » - « إنه بجنون » - « ماذا ربد بقوله يصلون بنير العريشة إلى 
ما رغبون فيه ؟ » - « أظنه برد أن يقول إننا إذا وغينا في الاحتفاظ بالسلطة 
لا نستطيع ذلك إلا إذا ضمنا السلمة الأمة » - « فاذا قلت لك إذن ؟ أليس 
ذلك من مبادئ المستقين السرفة ؟ » - « الزعم بأن الشعب يكون أسعد مما هو 
الآن ايس إلا من آراء المستقين لا غيرهم » .

شمر الأحرار بأنهم مهدون غاولوا إحياط هذا الهديد، ووجد المافظون في الصناعة التسمة للدى موضماً لنضهم ، وفي قانون الفقراء مارداً غيفاً لم ، ففكر الأحرار في الانتقام من كبار الزاريين بمناهشة قانون النميع ، وقدزاد في الأسمار تتابع أربعة عصولات سيئة ؛ فلماذا لا يفترض أن البطالة نشئة عن ارتفاع أسمار للميشة ؟ وإذا اتبت سياسة التعامل الحرفان ذلك وضي العال وأسحاب الأعمال معاً . نم إن الزراع يتضايقون ، ولكن بنا أنهم جيماً على وجه التغريب من الحافظين فليس لذلك أهمية في الانتخاب . أما دزرائيل فأمد في تبات نظرة (الحابة » ؟ فن الذى يستفيد من إلناء الرسوم؟ الفقراء ؟ لا ، بل أرباب السناهات لأن الأجور تنخفض مع هبوط أسمار المبيشة ، إذن لمماذا نفسحى با مجلترا الزراعية من أجل إنجلترا السناعية ؟ لمماذا 'يسمل على عدم تشجيع الزراع وعلى خرابهم؟ يقول أصحاب نظرة حربة التمامل : « نستورد طعامنا ونسير مصناً للعالم » ، ولكن منذا الذى يستقليع التنبؤ بالمستقبل ؟ وإذا تنبر العالم وصار جميعه مسناً فمر يغذي إعملترا عدد، " ؟ .

ترعم الاحرار على أنهم ظلوا أقواء في صفهم ، وإن سارت هريمهم عققة ورفض الدوق السلطة وسار صمونا جداً ، بذهب إلى الأندية فيقابل كالموك ، ولكنه عربها من غير أن يغوء بكلمة ، وإذا وجه إليه الحديث لايجيب إلا بقوله : « ها ! » . إذن فالرزارة يؤلفها بيسل ، ومن الطبيعي أن يكون لأفسيح خطباء الحزب مكان فيها ، وإذا ما قبل هذا القول لمسز ديرى احمر وجهها كاتبها مئاة صفدة .

## السيدالمحترم

ق ٣٠ أغسطس سنة ١٨٤١ ذهب سبر روبرت بيل إلى قصر ونسور ليتبل 
بد اللكمة ، الني كانت في بداية أمرها وطيشها تكره هذا الرجل الجدى الخجول 
أختلف كل الاختلاف عن فرود ملبورن الساحر الدى جملها سيش كملكم من 
ملوك القون الشامن عشر ، ولكنها الآن تروجت من الأمير الجيل البرت دى 
ساكس — كوبورج ، والبرت رجل ذو خلن جدى ، فهو بحب سبر دوبرت 
ويحترمه ، وكل ما يحبه البرت عبوب لدى اللكمة . وقابلت اللكمة هذه المرة زعم 
جما اسم دزرائيل ، ولكن بيل لم يدعه لمقابلته بعد . و

ما لبد دزرائيل أن علم بأن صديقه لندهرست سيعين رئيساً للقضاة، ولورد ستائل للمستعمرات، ودوق أوف بكنجها مطمل الخام الحاس، وجلادستون الشاب المنجوزة، ثم ملثت جميع الناصب شيئاً فضيئاً فلا برى في فادى كاولتون غير جاعات يهى، بعضها البدض، وظل دزرائيل وحده لا بأنيه نبا من رئيس الوزارة، فهل يهم سير وو برت رجلا من خيرة أعواه ؟ إن ذلك يكاد يكون مستحيلا، ولكن إذا حدث لموه حظه فاية خيية وأية كارثة ! سيظل الحافظون مدة طوية في الحك م وإذا ما أهل همذه المرة فإن ذلك معناه البقاء بعيداً قدة حياة البمان أو مدة فترتين ! فالمعل الذي قام به في صبر مدة أربع سنوات في البمان يهاو، وصفه الياس في النظرات سخوة مسلية ، وأن بعض الأحاديث تنقطع عند اقتراه ، ودفعه الياس في آخر الأسبوع إلى الكتابة ليبل: -

۵ عزیزی سیر روبرت

روع ... لقد آليت على نفسي في مثل هذه اللحظة ألا أثقل عليك بشخصي ، وكنت

أستمر على ذلك لو وجدت أحداً يعبر عرف مناعري ، فأنا لا أود أن أرهقك بمطالب لا بد أنك أرهقت بمثلها ، ولا أقول إنى منذسنة ١٨١٤ ناسلت في أدبع مواقع من أجل حزبك وأنفقت مبالغ كبيرة ، واستمعلت ذكائى بقدر ما أستطيع للمعابتك السياسية ، ولكن في حالتي مظهر خاص يحول دون السكوت عليا فأنى قاومت عامنة من الكراهية والمداء السياسي لم يقابل بمثلها غير القليل من الرجال منذ اللحظة التي تطوعت فيها محت لوائك بتحريض أحد رجال وزارتك، ولم أكن مؤدداً في تلك التجارب إلا بعقيدتي في أنه سياتي اليوم الذي يعترف فيه علانية أشهر رجل في بلادى بأنه يشمر يعمض الاحترام لكغاياني وطلق .

وأنى لأعترف بأن إهمالك لى فى هذه اللحظة فيه القضاء على ، وإنى لأنوجه إلى ظبك وإلى عدالتك وإلى كرم سيجيتك وهى الصفات التى أشعر بهـما فيك لتنجينى من تحقير لا يحتمل ، وأعقد أن يا سير روبرت خارمك الأمين \

ب. دزرائیلی»

وفى الليلة السابقة لم تعــد مسز دزرائيلي تستطيع احبّال أحزان زوجها ، فكتبت إلى رئيس الوزراء من غير علمه .

« عزیزی سیر دوبرت

أرجو ألاً تستاه من مدخلي ، ولكنى شديدة الفاق لأن مستقبل زوجى السياسي يهار للأمد ، إذا كنت لا بدعوه . . قلا تحطم كل آماله ، ولا تدعه يشعر بأن حياته كلها كانت خطأ .

ماری آن دررائیل »

رد" پيل على دزرائيلى فى رسالة جافة أسر فيها بوجه خاص على عبداد من رسالته لا أهمية لها ، وهى قوله : « وقد تطوعت تحت لوائك بتحريض أحدا عشاء وزارتك » ، فلاحظ پيل فى غضب أنه لم يكف أحداً من أعشاء وزارته عثل هذه الهمة ( ولم بذكر دزرائيلي شيئاً عن مهمة ، وكل ما أراد فقط أن يقوله هو أنه إنسل بحزب الحافظين بنغوذ لندهرست عشو وزارة بيل ) . وأصاف بيل إلى ذلك أن الناسب للديه قليلة ، حتى إنها لا تكنى لمن خدموا من قبل عت لوائه ، وقد طن أن قلة الوسائل لديه مفهومة لذى رجال كان يفخر باشترا كهم معه وهو لا ينافن فى سزانهم .

الحقيقة أن بيل ود أن يعلى وزرائيل منصباً ، ولكن حوله زملاء لا برغيون فى هذا « المناس » مثل كروكر ذلك الرجل الكربه الدىع،ف دزرائيلى فى زمن إنشاء الجريدة وسبب فشله ، ومثل لوردستانلى التكبر والتواضع معاً وقد أعلن أنه « إذا دخلها هذا الأفاق فهو بنسح » .

على أن بيل لم بدافع عن درداليل في حمية ، والرجلان يحتفان كل الاختلاف فقد جمع بيل حول مهمه البداني الثروة والاختلاق والاحترام ، في حين أنه تحوم بلا شك حول مهمه البداني الثروة والاختلاق والاحترام ، في حين أنه تحوم والاستمتار ومشاورة الخيال . وأسرة بيل ممروفة بالنوق السلم ، ودارهم في لندن ساحرة نقل شرفاتها المزدانة بالازهاد على العهر ، وجهوها الجميل عمل بسود من أسائدة الفن الهولنديين ، ووقد قال لهم بعض زائريهم من الفرنسيين : « إن السام الفرنسين : « إن السام ودارة التي رسمها المشاء عند كم المؤيد في العرود التي وحلوة الشهائل ، والسودة التي رسمها السئلة عنج مسود الرسام ، وكل ما يحوط بيل عمل عشل حكم المنافذ المؤاهر إذا ما ازدات بها لادى يبل في دار مظافة ، أما مسر « دذى » وتغين الجواهم إذا ما ازدات بها لادى يبل في دار مظافة ، أما مسر « دذى » فتبده علها أجل الاحجاد الكركة كا بها من الزجلج . ومذل مادى آن في ماحة فيديد علها أجل الاحجاد الكركة كا بها من الزجلج . ومذل مادى آن في ماحة فيديد علها أجل الاحجاد الكركة كا بها من الزجلج . ومذل مادى آن في ماحة فيديد علها أجل الاحجاد الكركة كا بها من الزجلج . ومذل مادى آن في ماحة

جروفنر مزدان في ذوق سيء وصارخ، وأثاث النزل نحيف وثيابها مضحكة، وهذه تفصيلات ضئيلة ، ولكنها تضيف إلى عدم ثقة رئيس الوزراء . ثم إن الرئيس لا يحب مبدأ الرجل كما لا يحب الرجل نفسه ، فإن بيل بحكم نشأته أقرب إلى المصنع منه إلى القصر أو الكوخ الريقي، وأقرب إلى متشددي البروتستانت منه إلى الفرسان، فهو فى الواقع رجل من كبار الطبقة المتوسطة، وهو بقلبه وعقله مع كوبدن ومع برايت أي مع خصومه ، وهو يتأثر بنظريات الاقتصاديين وبمظهر . الأمانة ، وبخشونة رايت في حذائه الغليظ أكثر مما يتأثر بلواذع الحطيب ، فهو يميل بمجامع قلبه لمثل جلادستون ، وهو مثله عليه مسحة أكسفورد في الظاهر وأهل ليقربول في الباطن ، وهو مثله صار عضواً في البرلمان في الواحد والعشرين من عمره ، ووكيل وزارة في الخامسة والعشرين ، وهو يحب جلادستون الذي يتلو الصلاة قبل أن يبتــدى الكلام ، ويعرف كيف يضع على السألة البسيطة غلافا من العبارات الطويلة الغامضة ، وقد نزل دزرائيلي بنفسه إلى درجة التماس المنصب ، أما جلادستون فمند ما عرضت عليه الوزارة سأل نفسه في قاق عما إذا كانت السياسة الدينية للوزارة تسمح بقبوله النصب . وإنه لما ترتاح إليه نفس بسيطة وخجولة كنفس بيلأن يجد الطامع مقنعة تحت آراء مناسبة ، وعند ما قبل جلادستون النصب أخيراً ، هز پيل يد الوزير الشاب بقوة وقال : «ليباركاكالله» فكيف يستطيع أن يعامل دزرائيلي المستهتر هــذه الماملة ؟ إن ستانلي لعلى حق فهذا الرجل لا يطاق .

\*\*\*

ما تألفت الوزارة حتى اجتمع البرلسان وذهب إليه دزرائيلي وهو خاتف جداً فقد صار موقفه مسباً ، كان الحزب وهو في المارضة سميداً بأن يستمعه ضد الخصوم ، لكن منذ الآن سيصير هذا المحافظ التمس الذى لم يشتل منصباً حيواناً منفرداً ، فشروعات القوانين يدافع عها الوزراء ، ولا يراد، نه إلا أن يعظى صوقه ، وهو دور مؤلم للمقل المنكز ؛ وقد سر أعداؤه لما حل به وأخذوا يترقبون مسلكه فى فضول الشالة ، وصاروا ينتظرون أن ينقلب على الزعيم الذى أهمه ، وشجعه على ذلك الكثيرون من نصحاء الدوء، وتودد إليه المستقلون .

فهم الخطر ونفسه تحييس بمواطف عنيفة نحو بيل ، وليس فى رفض متحه منصه منصه ما ماسك ، ولكن نقمة الرفض غير حكيمة ، وإذا ما نظر دزرائملي إلى مقاعد الوزراء ، وإذا ما شاهد الوجوه الراسية لمؤلاء الرجال التوسيلي الذكاء الذين احتقروه ، شعر برغبة قوية إلى الهجوم ، ولكنه كان بليتم هذه النفس الثائرة ، وإنه لي حاجة إلى الصبر أكثر منه في أي وقت آخر ، وهذا رأى مارى آن أينناً ، وكانت بديمة في شفقتها في هذه الظروف السيئة .

ده من الجلس إدرأى دزرائيلي بحافظ على حضور الجلسات ، ويعطى سونه عن رضاء كامل فى صف الحكومة . وكان بيل شديد الرغبة فى إرضاء أصحاب مذهب حربة التعامل فالني رسوم الجارك على أكثر من سبعاته مادة ، وعوض خسارة المزانية من هذا الاراد بطريقة عجيبة مبتكرة هى ضرية الدخل ، لكن دزرائيلي الدى يعتقد فى الحابة لم تحر عزيته ، بل اكتنى بأن ألق خطبة هامة فى موضوع فنى وغير مثير للمناقشة عن موظنى القنصليات ، وهى خطبة دقيقة مليئة بالارقام والنوادر ، لكنها شيقة إلى حد حل الجلس على الإسناء إليه فى سكون مدة ثلاث ساعات ، مع أن الجلس كان فى مبدأ الأمر، ثائراً ، شك الكتيرون فى ذكائه من قبل عند ما رأوا إمال بيل له ، فكانت عودة باهمة تسترعى النظر لاسيا أن الموضوع ذاته لا يساعده .

كان من أشــد المتحسين في نهنئته جاعة من الشبان تخرجوا حديثاً في كبردج وأرسلهم الانتخابات الأخيرة إلى البرلسان ، سحرمهم هذه الفصاحة الحديثة الخالية من السارات المالوفة ، وقال له الشاب سميت . « إنك تنكام كا تك في ندى كارلتون ، أو على مائدتك ، فالسوت غير متصنع ، وإلقاؤك تماز مع شيء من عدم المبالاة ، وصبغة بسيطة من الدخرية ، وأظهرت هذه الجافة المؤلفة من هذا الشاب سميث ولورد جون مارز ومن يحوطهم تلطفا كبراً معه ، وتم ينتمون إلى عائلات قديمة جداً وشهيرة جداً ، ويمتلكون القصور الشبهة بقصور الأحلام معلقة فوق الربي في الضباب ، أو عنبأة بين الحدائق الواسمة في وسط الأشجار ، وقد تثقفوا في أيتون وكبردج حيث نشأت ينهم صداقة وعواطف نبية ، وألفوا مما نظرة سياسية تقوم على إحياء النظم القديمة ، وعلى الوكام بين علمة الشمب وبين أرستمراطية عارفة فواجباكها ، وتلك هي مبادئ " « دزى » في أجيل مظاهرها .

فالحركة السناعية التي جذبت إليها الرجال الناصيبين لم ترض هؤلاء الشبان الناشيين ولم يستطيعوا اتخادها ديناً ، فهم في حاجة دائمة إلى الحاسة التي لابيدو بها في دين تجار الأقشة التعلنية حين يقولون : هاشتروا في أرحن الأسواق وبيموا في اعلاما » ، ولم يقنموا عمل ملت الانجيل . وبعد انتشار الآراء الجردة من الحيال في سنة ١٨٦٠ عاد الناس فاستولى عليهم الخيال . فكر هؤلاء الشبان من الانجيلز تفكيراً جديا في إحياء الغروسية وقائونها القائم على الشرف واحترامها الديني للمرأة ورعا فات زمن النظام الإقطاعي ، ولكن الوح الإقطاعية التي تستير الناس منبطين فيا يشهم مواجبات متبادلة ظلت أكبر ما يرجي، وأسفوا على الومن الذي المنطاع .

فى سنة ١٨٣٩ نظم الدورد إجلنتون مباراة فى الدروسية على أراسيه ، فضر إليها جميع أشراف انجلترا ، وهم يلبسون دروع أجدادهم ، ونسبت اللادى سيمور إحدى صديقات « دزى » ملكة للجال فها ، ولكن لسوء الحفظ مطلت الامطار بشدمها المروفة فى مانشستر ، فأغميقت الحاسة وفتحت فوق ثباب الدون الوسطى آلاف من الظلات ، وصار فارس الأحد وفارس البرج الابيض وفارس المراتة جمياً فرسان الوجه الحزين ، كان الآلحة انقلبت مؤيدة لعصر فيكتوره ، على أن القباب يقاوم الآلحة . وانحذت الحركة مظاهم أخرى من غير أن تحوت ، فني عجيب » يخلب الدفوس ، وحاول بعض الشبان من رجال الدين أن يقار جا يه الكنيسة الإعجازية وبين الكاثولكية ، وقد ظل الكنيسة مدة أربين سنة عندى من الإعان أكثر مما مخنى من عدم الاهام الدن ؛ ومل مؤلاء الشبان زلك الكنائس المنقة والصاوات الباردة ، وتحول البعض مهم حتى انصل بروما ، وحاول البعض الاخران بدخلوا إلى كنيسهم طقوساً أكثر حرادة ؛ وفي كبردج اتفق أصدةاء دزرائيل الحديثون وهم : لورد جون مانوذ ، وجورج محيث ، وكوكران على أن يتمر فوا الام الشعب ويحاولوا علاجها .

كانوا كشأن جميع الأصدقاء الحقيقيين لا يتشابهون فيا بينهم إلا قللا ، فلورد جون ماترز رجل جدمتدين ونفس طاهرة ، وهو كالغارس (الانسلوت» ، إلا أنه قد سنل الطريق في عالم الآلات ، وهو يأسف بمجامع قلبه على الزمن الذي كان فيه الملك بركم أمام القديس وبرى الشعب في ملكهم أنه المختار من الرب ، وبرى في الشريف زعيا وسلمياً ، ونظم في هذه الموضوعات شسعراً رديناً لا يخطر من البساطة :

فليذهب المال والتجار والنُـظُم لكن ليبق لنا الإعماق في النسب

أما جورج سميث فشاب بانتي ذكر و أسماه فاجر ولكنه ذو عاطفة ، مستهتر ولكنه غيالى ، فل استمادا في استمادا في استمادا في المحتوارات دنيوة ، وعلى استمادا في الوقت ذاته لأن يهجر الدنيا فجاة السبر وراء ترعة موقية . وجورج رجل جميب حقا، فهو فيسن المشرين قد جرب الحياة وكشف خداهها كالحكيم الكهل ، وفي الخاصة والمشرين جن بالحياة أكثر من الطفل ، وهو شاعم من غير زهد الشاعر، وباحث عن المروس فات الهو الغال من غير حب لمال ، وقد كتب في مذكراته : « إذا أردت أن تتذوق الحياة فيجب أن تشربها في جرعة واحده . أعجب وذرائيل إعجاباً شديداً بجورج سميث وهو الرجل الوحيد الذي لم عمل ما وزن في سياحة تعميث لما ترز، وعقيدة ما زن ومواحم معيث ما ترز، في مواحب سميث ، وواضع سميث وإن بدا متصبرة إذا قورن عائرة ، وكتاب

إذا ما رَاهَا واقفين على عتبة الحيــاة تخيل فارسين يسيران وأساحتهما تضي. في الشمس .

خدع بيل هذه الشبيبة المتحمسة إذ ينقصه النبوغ ، وهم يملون أقواله المألوفة حتى يكاد يدفع بهم اللل إلى الموت ، بينها هم يسكرون بفصاحة دزرائيلي ، ووجد سميث في « دزي » عقلا ملائمًا لعقله ، أما لورد جون فكان أكثر تحفظاً ، وقال بعد المقابلة الأولى : « لقد أجاد دزرائيلي في القول ولكنه أجاد فيه أكثر مما يجب » ، وكان ينزعج من دزى في لحظات صراحت. ، فهو يدهش ويتألم من دزى الذي تمم عند خروجه من جلسة دافع فيما عن الكنيسة : « من العجب يا والبول أننا أعطينا أنا وأنت أصواتنا فيصف عقيدةميتة» . ويندهش بمضالشي. عندما أعلن دزرائيلي لهؤلاء الأشراف أنه لا يوجد أشراف إنجليز وقال لهم : « إن أشراف الانجليز نشأوا من أصول ثلاثة : نهب الكنيسة ، وبيع الرتب بواسطة اللوك الأول من أسرة ستيورات ، وبيع الدوائر الانتخابية في الأزمنة الحديثة ، فجميع أشرافكم من أصل حديث . وعندما جمع هنري السابع برالمانه لم يبق غير خس » ، وشرح لهم بعد ذلك أن الأصل الوحيد الذي ظل محافظاً على الثقافة القديمة هو بيت إسرائيل ، وأن أسرته هي أقدم من أسرهم ، فضحك سميث وأصني جون مانرز في جدكِد الملائكة .

\*\*

من اللغية أن يكون عوطا بتلامية ، ولكن الوقت يمر ولا يعوض ، وبيل متربع فى السلطة وهو أقوى بمــاكان فى أى وقت ، وظل كل طريق إلى العمل النافع منلقاً أمامه . قال دزرائيل ثروجه : « أعتقــد أنه يجب تقليد تابيران المجوز فى هذه اللحظة ، إذ كان يلازم الفراش إذا لم يتبين ما يفعله » ، وقور أن يذهب لقضاه فصل شتاء فى باريس ، وزار ناخبيه قبل سفره وفسر لهم مسلكه ، فهو سيستمر على تأييد بيل بصوته مماعاة للنظام الحزبي إلا إذا أقدم رئيس الوزداء على خيانة الرارعين .

ترل مع مارى آن فى فندق أوروبا بشارع ريفولى ، وقد أوسى دورسيه به أخته دوقة جراءوت خيراً ، فقابلت هو وزوجه خير مقابلة ، وكانت تستقبل سيوفها ثلاث مرات فى الأسبوع فى دار صغيرة بفومورسان أوتريه غاسة بالأثماث القديم والسور ، وقابلا لنهبها أوجين سو الذى ذكر دورائلي أنه : « الكاتب الرحيد الذى يقبل فى الأوساط الاجاعية » ، وأمضى الأنسات دى جرامونت الجيلات أوائل السهرة مع المنيوف ، ولكنهم فى الساعة الماشرة مقالمة أمرة ، والكنهم فى الساعة الماشرة مقالمة ، أمين وانصوفى لفراشهن ،

دي دزرائيلي وزوجه على أثر ذلك لمدى مدام بودران زوجة الجنرال بودران ياور الملك ، ومى إنجليزية بديمة الجال ، وصنيرة السن حتى لتسح أن تكون ابنة لزوجها ، وقابلا هنالك المائلات التى قامت على التزاوج بين الفرنسيين والانجليز . مثل مائلات لاسميتين وأوديلون – بارو ، وتو كفيل . وتعهد الجنرال بودران بأن يخبر الملك أن مستر دزرائيلي عضو البرلسان بود أن يعرض على جلائت بسض الآراء عن حالة الأحزاب في إنجلته بعض تأثير هام في سياسة البلدين .

قابله اللك في سان كلو ، ولم فسوله لهذا الرجه الروماني الحزن الذكي الهاط بالجدائل السوداء ، واهم لدزرائيلي ومال إليه ، ودعاء إلى المودة ، وساد من المعروفين في القصر ، وكانت الملكة ومدام أدليد والموقة دى نيمور بجلس حول مائدة ومن يشتغلن ، ييما الخدم بدورون بالثلجات ؟ ويأخذ الملك دزرائيلي إلى غرفة بحاورة المتحدث إليه كارة عن السياسة وكارة عن شباه ومناصراته المجينة وسياقة المثقلة التي عاشها ، ويقول له بالإنجليزة : « أجل ياستر دذرائيلي ! إن في حياتي تقلبات كبيرة » ، وهو يحب كثيراً أن يشكل الإنجليزة ، وكانت لنته مشورة بلهجة خفيفة أمريكيه . وقال لذرائيلي إنه هو وحده الذي يعرف كيف يمكم الغرنسيين ، وإن السبيل الوحيد لقيادة هذا الشعب هو أن تطاقي مدك له كلية ، وتعرف جيداً متى براد إيقافه . وطرب وذرائيلي لهذه الملاقة الوثيقة مع ملك له هذا الذكام الكامل ، فقد تحقق أحد أحلام صباء ، وشاطر فوق ذلك الجنرال بودران في الرأى بأن الملك أكثر بساطة نما يجب ؛ فقي حفارت المشاه المجرى في قاعة دياه كان لويس فيلب يأتى بقطمة من لحم الخمز و يقطمها قطما رفيقة كالورق، ورسلها لضيوفه الذين اصطفاع ، ويفخر بهذه القدوة ، وقد أخبر ويتشفى عدائيل المبادئ من طريد من بلاده من خاده في مطم إنجايزى كان يتمشى وذرائيل أنه تعلمها وهو طريد من بلاده من خاده في مطم إنجايزى كان يتمشى وغيه بنسمة بنسات؛ والملوك في روايات ذرائيلي عيلون إلى الأجهة أكثر من ذلك .

## إنجلترا الشباب

ه وماذا تعمل بالقدح للقدس إذا وجدَّه! ،

في مارز وسميت المرقف السياسي فحماً دقيقاً ؛ فتين لها أن الوسيلة الوحيدة البقاء غلمين لانفعهها هي تاليف حزب مهما كان صنيراً ، ولكن يجب أن يكون لهذا الحزب زعم عجرب ، والذا لا يكون وزوائلي وهو أمامهم ؟ سافر سميت وصديقه كو كران (المروف بيهم بلهم كوك إلى إلى بارس القابة ديزى فوجدا، فها بارزاً يتمتع كالطفل بنجاحه ، وبغرفة انتظاره الليته بالوزراء ؛ فهو قد أشرف على الاربين من عجره ، ولكنه ظل عتفظاً عوهبة المتم بعظسته . وكتب سميت إلى مارز يقول : « إنه وهو على انفراد مع لويس فيليب في سانكلو ، يتخيل نفسه مؤسساً لأمرة مالكة جديدة ، وقد نقشت جدائل شعره التي تشبه جدائل منفريد على نقود المعاكمة » .

قابلهما في حاسة ، فإن الاتفاق السرى بين هؤلاء إذ تعهدوا بأن يكونوا على رأى واحد عند إعطاء الأسوات وأن يقبلها قرارات الأغلبية منهم ، لما يوافق هواء فى الدسانس ، رأى على أثر ذلك انساع هذه الجاعة وبلوغها خسين أو ستين عشواً ، وبيل وقد نوهض وقلق وغلب على أمره .

تمشى الجماعة مماً فى مطم روشيه دى كنكال بوادى مونسو تم عادوا إلى باريس ، وظلوا يتناقشون طويلا وهم يتمشون حول ساحة فالدوم ، وتم الاتفاق بينهم .

كان كوك أقل ارتباحا إلى دنرى من سمت ، فقد رأى أنه كثير الحيطة كبير المطام ، وأخذ عليه حدة الدكاء ، وضعف حلسة الشكاعة التى هى استمال الدكاء فى نقد النفس ، وعند ما الحلع مانرز كذلك على بحرى الأمور قلق بعض القلق ؟ فهل هم جميعاً يقصدون غرضاً واحداً ؟ إن دزرائيلي بفكر بوجه خاص فى مناهشة الحكومة ، والتلامية لا يفكرون إلا فى ربط أصدقاء برباط عاطفى ، ويرون فى مشروعات ديرى نوعا من الجنون . وهل يحكن إسقاط يسل ؟ إن ذلك أمر، مستحيل ، فإن وراء رئيس الوزارة أغلية عظيمة ، وهل ذلك مرغوب فيه ؟ فى اللحظة التى تصل فيها هذه الجاعة إلى أن تكون حزباً حقيقياً مشطراً إلى تضحية مئه العليا فى سبيل العسائس السياسية لا بدأن يفرق الحسد ييمم ، وتتحتام تلك الألموة الجيلة ، وقد كتب ما رز يقول : هو كنت على يقين من أن تلك الألموة الجيلة ، وقد كتب ما رز يقول : هو كنت على يقين من أن درائيل يستقد فيا يقوله لشعرت بالسعادة أكثر ، في الآن ، فآزاؤه التاريخية هى درائيل يستقد فيا يقوله لشعرت بالسعادة أكثر ، في الآن ، فآزاؤه التاريخية هى اكرائي ، ولكن هل يستقد فيها ؟ » .

كان مارز فها يتعلق بالدين متشدداً ؟ فهو ، ومن بدينه ، ولكن تبين بمد بضع عادات مع دوراثيل أن دوراثيل ميال ميلا كبيراً إلى مبادى أ كسفورد المستلة التي تسبع على كنيسة الجاترا روحا خيالية من غير أن تسير كالكنيسة الرومانية . وكان مميث المسهتر يجد تسلية في الإسناء إلى الأحاديث الدينية لمذن الصديعين ، وقد اختلفت وجهة نظرها إلى حد أمهما عجزا عن رؤية هذا الخلاف فكنيسة إنجلترا بالنسبة لديرى هي قوة تاريخية كبرى يجب احترامها وتأييدها ، ولكن لم تحر بخلاء لحظة فكرة تعليق أية أهمية على نصوص آرائها ، أما بالنسبة لجون مانرز فالإ بمان ضرورة واضحة حتى إنه لا يتصور أنه من المستطاع أن يعيش جداً : « إن ميل دوراثيل إلى مذهب أكفورد في اعتدال ، لهو مشال ميل ميل ميل ميل الرارت إلى الإسلام في اعتدال » .

\*\*

ما عاد دیزی إلی لندن حتی أخذت الجماعة فی العمل وجلس الزحماء الأربعة مما خلف پیل ، وأخذوا بتبادلون آراءهم عن الجلسات ، ولا يترددون فی إعطاء أصواتهم شد الوزارة ، إذا كان موقفها معارضاً لذهب انجلترا الشباب ، وهكذا أعطوا أصواتهم فى صف المستعلين تأييداً لقمانون الخاص بحياة الأطفال (الدين كانوا عندمذ يشتغلون فى المصانع أحياناً التنقى عشرة ساعة فى اليوم) ، ورفضوا أن يعطوا أصواتهم بالوافقة على إجراءات القدع فى أرائده ، وفى همده الحالات كانوا يبدون فى جد عدم موافقهم الحزب ، ويأخذ أحدهم فى شرح مذهمهم كمحافظين يخدمون سالح الشعب

كتب السير جيمس جراهام أحد الوزراء إلى كروكر يقول : ﴿ أَمَا عَنَ شباب إنجلترا فإن دَرَاثيلي هو أقدره وهو الذي بحرك العرائس ، وف رأبي أنه رجل لامبدأ له ، وأنه ليأسه عمد إلى الارهاب ، واعتقد ممك أنهم سيرجمون جيماً إلى مطمعهم بعد أن بجروا قليلا ، وبعد أن يقدّوا قنزات الخراف ، ولكن فرقعة أو فرقعتين من سوط إذا ما وضت في علها كافية للإسراع بهم وتا كيد عودتهم ، ودزرائيلي وحده هو الشرع ومعه لا أرضب في أي نوع من الانتقاق ، وإذا طرد إلى صف أعداثنا السافرين فإن ذلك من سالح الحزب » . كتبت اللكة نفسها إلى عمها ملك البلجيك وقد سارت كبيرة الميل إلى سير روبرت: إنه " بسبب جاعة من الشبان المهوسين " كادت تحرم من وزيرها . وقد انفتم بيل إلى رأى جراهام وكروكر ، وقرر أن يخرج دزرائيلي من الحزب فا ذا فصل منه خسر مقعده فى الانتخابات القائمة وتخلص منه الحزب ، فل بدع فى الاجهاعات العامة للمحافظين ؛ وسأل دزرائيلي الوزير عما إذا كان ذلك نسيانا أو حرماناً ، فأجيب أن إهماله كان متعمداً ، وأن السبب هو موقفه فى بضمة الشهور الأخرة .

بدأ الجمهور يعترف وجود شباب انجانوا ، فتلك المصبة من مسنار السادة في صداريهم البيضاء الذين يكتبون الأشعار الزديئة ويتكامون عن فرسان العصور الماشية وأشرافها ، ورغمون أنهم يتسلطون على العال بالواكب على مثال ما كان في زمن الإقطاعيات ، كانت موضع تسلية جون بول كثيراً ، ونشرت جريدة « بنش » أشعارا موجهة إلى فاض من عكوم عليه من شباب إنجانزا وهو يطلب أن يربط خلف عمية نقل ويجلد كي يحيى عقوبة إنجليزية مفيدة . يطلب أن كل كل الناس لا يشحكون ، فقد قام الأصدة الأربعة بسياحة إلى مانشستر ليل كل كل الناس لا يشحكون ، فقد قام الأصدة الأربعة بسياحة إلى مانشستر إلى جاعة من أحماب المسانع ، واعترفوا بأنه إذا كان مهم القساة والجشمون ، فإن الكتيرين منهم وقبقو القلوب ، وفي ذلك عناصر نظام الاقطاع المجدد لو عمف المسانع ، والمس من الحكة مناهمة الصناعة ، ويجبوا كتساب الصناع ، واجبوا كتساب الصناع ، وليس من الحكة مناهمة الصناعة ، ويجبوا كتساب الصناع الى من الحافظين التسبين .

في أثناء المطلة كانوا يجتمعون جيماً في ييت من اليبوت النظيمة لأحدم ، ويحب وذرائيلي هذه الاجماعات ويصير فهمه لمؤلاء الشبان أمنن منه في أى وقت آخر ، فإن يينه وينهم وابطة قوية هو الحب الشترك لكل ما يصدر عن الخيال واعتقادهم أن الحياة ليست مجرد نشال منحط على المعالح والحاجيات ، بل فيها عجال للسداقات المتاجعة ، والإخلاص المنخيف والنبيل منا ، وللمصور بالجال ، وقد صار جون مانرز بعد أن عمرف في دزرائيلي هذه المواطف وشمر بعنائها أكثر تملقاً به من الاتنين الآخرين ، وسار الثلاثة يكتبون إليه قائلين : 9 أيها السيد والقائد العزيز » ، أما هو فيشمر بعودة شباه بينهم ، ويشمر بحرية ناشئة عن مركزهم الاجهاى لم يعرفها قط من قبل ، وسقط عنه ذلك الاستهتار السطحى الذي فرضته عليه صعوبة الحياة ، ويشعر بغضل أسدقائه إذ يراهم ممائلين لأحلامه . وفعته الماطفة القوية مرة أخرى الرغبة في الكتابة ، وأخذ يفكر في رواية أبطالها سميث ومانرز وأسدفاؤها ، وتحرب في الوقت ذاته عن إعانه السياسي ، وقد تكلم في دواية في هذه الموضوعات محت ظلال أشجار الحدائق المنظيمة مع حلفائه ، ومجمح في في هذه الموضوعات محت ظلال أشجار الحدائق المنظيمة مع حلفائه ، ومجمح في أن يتصور وجود محالف بين الأقسام الثلاثة لانجلترا الحديثة : الأرستقراطية والشعب والكنيسة . وغلب عليه الخيال ، وابتعدت السياسة الحقيقية ، فلام براحنهام ، وأخذ في العمل ، وقد صار الآن على علم بتردد طبيعته فقال : « أريد المعلى مكتبي من الأوراق في ينابر إذا كان ذلك مستطاعا ، لأن العمل مكتبي من الأوراق في ينابر إذا كان ذلك مستطاعا ، لأن العمل مكتبي من الأوراق في ينابر إذا كان ذلك مستطاعا ، لأن العمل

\*\*\*

نشر دزرائيلي في مرتبن منتابستين في سني ١٨٤٤ و ١٨٤٥ الجلمين الأولين من الجلمات الثلاثة التي وضمها عن شباب انجلترا هما روايتا : «كوننجسي » و « سبيبل » .

ورواية كوننجس أو الجيل الجديد هي في الوقت ذاه قصة أستدة ، و تقد لعالم السياسة ، ووسيلة انخذها دزرائيلي كي يحدد مذهبه عن طريق الخيال ، وقد انخذ سميت نموذجا لبطله كوننجسي ، وصور مانرز وكوكران إلى جانبه ، وأطهرهم أولاً في أيتون وفي كامبروج متـذمرين من سخافة الآراء في زميم ، ومحتمرين للسياسيين من الأحرار والسياسيين من المحافظين المحافظين الذين لا يربدون أن يحافظوا على شيء ، والأحرار الذين يكرهون الحرية « أهي حكومة محافظة ؟ أى نمر ! أفعال الهويج ومبادئ التورى » وكوننجسي وهو يبحث عن مذهب جديد قابل شخصاً عجبياً اسمه سيدونيا فسر له العالم أخيراً ، وسيدونيا يهودى من أسل أسبانى ذو ثروة طائلة ، وهو خليط من دزرائيل ودوتشيلد أو هو على الأصح ما تمنى دزرائيلي أن يكون أو ما تمنى روتشيلد أن يكون ، وهو ذو عبارة قسيرة وفصاحة كاملة ، ويظهر أنه فكر في كل الموضوعات وهو بحل أصعب المشاكل بيضع كمات وفي هدوء يكاد يكون فوق طاقة البشر ، وإذا كان فيسه عيب فهو أنه ينقصه الحب ، فأشد خطبه خطراً فيها شيء من روح السخرية المفينة ، وهو يمر من الجد العميق إلى نوع من السخرية المؤلمة ، ولكن هذا الاستهزاء السطحي يخنى عقلا متطوفاً في الحرة ورعا هو نتيجة له .

مالقنه سيدونيا لكونتجسي هو الايتان في الفرد النابغ ، ويسأل كونتجسي وما قيمة الفرد أمام الرأى المام ؟ فيجيبه سيدونيا : قيمة قدسية — وما الفرض الدي يجب أن يرمى إليه الشباب ؟ - يجب أن يبحث عن نوع من الحكومة يكون عبوبا لا عتملا فقط ، وأن يكون الديه مطمع في البطولة ، فإن أية دولة لا تكون قوية بغير هذه الماطفة ، وبغيرها تكون الحياة السياسية كطمام من غير ملح ، والتاج زينة ، والكنيسة إدارة ، والاستور حلما .

وينتهى الـكتابعند دخول كوننجسبي إلى البرلمان. وقد أعجب شباب انجلترا بالـكتاب إعجابا كبيراً وصار ملحمة لهم .

لم تكن رواية سبييل أو الامتان أقل قيمة منه ، والامتان هما الأغنيا، والفقراء والكتاب يظهر للإنجليز ما يجب أن تكون عليه حياة الفقراء ، وقد سور فيه دزرائيل تساسة القرى وتساسة مدن العهال ، وتساسة المناجم و. ووضو حم الرواية مما يؤثر بسهولة ، ولكن صور حياة الشعب حقيقية ومؤثرة من غير مباللة ، ويمكن الشعور بأنها سورت في عطف ، ولكن في أمانة . ولم يتخذ دزرائيل لهجة الجد في كتاب من كتبه مثل ما فعل في هذا الكتاب ، فيو يترك السخرة في كلامه عن الشعب ، واختم كتاه في نوح من الحاسة الحقيقية والإعماب عن عقيدة هى بأن يمهد إلى نحبة الشباب بالبحث من علاج لمثل هذه الأفراع الكنيرة من الساسات ، حيث أن الشعب لا يستطيع شيئاً إن لم يقاتل محت زعمائه الطبيميين وهو يقول : « ودعائي أن نميش حتى ترى لاعجلترا ممرة أخرى ملكا حراً وشعباً سعيداً ، وفراهتقادى أنه لا يمكن الوسول إلى هذه التتاعج المنظمة إلا بنشاط شبيبتنا وإخلامهم ، فنحن نميش في عصر لا يمكن أن تسكون فيه عبارة الشباب مهادفة لعدم الاحكان أن مد أنفسنا الساعة القادمة . . . . »

تقرأ على السفحة الأولى لسييل هذه الكابت: «أريد أن أهدى هذا الجلد إلى اسمأة تحملها نفسها الجلية وطبيسها النبية داعًا على السفف على الدن يتألون، إمراة كالرب سوتها الحلو تشجيعاً ، وذوقها ودقة حكما دليلا للمؤلف في هذه الصفحات – إلى أشد النقاد – وأكل الزوجات ».

## البلوط والقصبة

من عادة دزرائيل أن يقول إنه كلا أنشر مؤلف من مؤلفاته قدر عقد دانما إلى الأمام ، والروابة لديه هى داغا وسيلة للتحليل وبحربة موقف ، والتمرن على سياسة يتبمها ، فهو يقول : « إن الشعر هو سهامة الأمان في عقلى ، ولكنى أرغب في عمل ما أتحيله » ـ فبعد أن أعرب في كو نتجسي وف سيبيل عن الثل الأعلى في سياسته على إلى العمل في سرور ، لكن من سوء الحظ أن فكرة شباب إجلارا لم تكن إلا عاطفة لا برنابجا ، فلم ينظر السادة ذوو اللون الشديد الحرة واللحوم المكتنزة نظرة حدية قط إلى هذا للذهب بأجمه ، فيجب تعرف موقع صفينته والسفر بها في المقيمة ، فأن انجلترا السياسية الآن ؟

كان مجلس النواب تحت سيطرة سير رورت بيل أكثر منه في أى وقت ، وكان سير روبرت بيل أكثر منه في أى وقت ، وكان سير روبرت إيل أكثر منه في التخلص من الحكومة الحزيية ، وقد اعتد بقوله فصار يمتقد أنه يستطيع أن يفرض الإعجاب به على خصومه كا يفعل مع أصلاقا وقد وثق بحافيه من فضائل ، فسار يرى في معارضته إنما ، وأسيب بأخطر الأمراض التي الأمراض السياسية وهو الطمع في مظهر الإخلاص ، وهو من الأمراض التي لا تمفو ؛ وكان يملو لدزوائيل في ذلك الوقت أن يكرر قولا مأثوراً للكردينال مدى وز : « ليس فالمالم شيء إلا وله وقت محتوم ، وخير السالك هو أن يعرف المرء ذلك الوقت ويختاره ، فبعد محليل دقيق الجو البراناني فكر في أن اللحظاة الماسمة قد حانت ، وبسد ملاحظات طويلة وسير وضحت له علة بيل ، فإن بيل مجميع الرجال الأذكياء الذين لا يبتكرون ، به ميل خطر لا نتحال ما يخلقه الأخرون وهو ويعلم عا عاجد من هذه السياسات ، ويسبب ثبات آرائه

صار من أقل الزحماء ثماتًا ؟ فهو بدافع عن سياسة ما من بعد اللحنفة اللي يكون من أشد من أسلام المناسبة المساسبة المساسبة المساسبة أشد المدافعين عن السياسة المارسة ، وهكذا بعد أن طرب «كانسج» بشدة قلسية عندما أواد أن يحرر الكاثوليك مار بعد وفاة كانسج هو عرر الكاثوليك ، عندما أواد أن يحرر الكاثوليك ، وهكذا بعد أن انتخبه سادة الريف للماقاع عن سياسة الحاة التجارية إذا به يندفع اندقاط في سياسة حرية التبادل ، وهكذا وائمًا في اللحظة التي يكون فها شديد الايمان بإخلاسه وشجاعته المقلبة بيدو للآخرين متقبلاً ، ولاحقا دزرا ثملي الجهة التي يحدن أن يبدأ فها بلطجوم ، وبدأ فيه في حزم ونبات .

قاست الناوشة الأولى على أثر أحد ردود بيل ، فقد اختم دزرائيل بنسع ملاحظات بأن انسد الوزير بألا برى فها عملا عدائياً بل على العكس صراحة الصديق ، فوقف بيل والتفت إلى دزرائيلي وأنشد فى اختصار قاطع أبياناً من الشعر نظمها كانتج سلفه الشهير وهى:

أحب الحَمم يظهر لى جهاراً ينامنانى بأسلحة الرجال وأما الويل صبت محاء وأنتكي ما يمل من النكال بل الطاعون يدخل في خفاء فيختاح العباد بلا تقسال فذلك صاحب قد شب حرباً يسمها الصراحة في القال

اقتباس غير موفق من رجل متسل مع كانتجدور ذلك السديق الخطر، أو على قول البعض دور السديق الخائق. تبادل النولب النظرات وأخذوا برمقون درائيلي ولكنه لم يجب . وبعد أيام قلائل وقف دزرائيلي مهة نابقة ليمارض في النظام الذي يقضى بتذكير المحافظين بولائيم كي بواقفوا على قوانين توافق مبادئ الأحراد فقال : « إن السيد الحتم داهم الأحرار وهم في الحام ، غرج بشابهم وترك لم حق التمتع الكامل بحوقفهم المر ، وهو المتشدد في الحافاة على تبابهم » .

فضحك النواب جمعاً ، وصفقوا له ، واستمر دزرائيلي في لهجة إلجد يقول : « إذا كان السيد المحترم يرى بعض الأحيان من الخير أن يؤنب أنساره ، فقد

نكون جديرين بهذا التأنيب، وأقول عن نفسي إني مستعد للإنحناء تحت عصاء ولكن حقا إن السيد المحترم إذا لجأ للاقتباسات بدلا من التأنيب فقد يكون ذلك أمضى الأسلحة لأنه السلاح الذي يتناوله بيد أستاذ ، وعندما يستمين عصدر من المصادر إما تترآ وإما شعرا فهو واثق أبدا من النجاح ، لأنه أولا لايقتبس أمدآ عبارة لم يوافق عليها البرلمـــان في الماضي ، ثم لأن افتباساته دائمًا موفقة ؛ فالسيد المحترم جداً يمرف قيمة إقمام اسم عظيم في الناقشة ، وكيف يكون تأثيره عظيماً ، فهو يسرى كالكهرباء ، وهو لا يذكر أبدأ إلا مؤلفاً عظيا ، مؤلفاً محبوباً كاسم كانتج مشـلا ؛ فهو اسم لن يذكر في مجلس النواب على ما أثق إلا ويحدث في النفوس أثرًا ، فنحن جميًّما نعجب بنبوغه ونأسف جميعاً أو الغالبية فينا على نهايته قبل الأوان ، ونعطف جميعًا معه في نضاله مع التعصب القائم وتسلط الآراء العادية ومع الأعداء السافرين والأصدقاء المخلصين ، وليكن السيد المحترم مقتنعاً أن الاقتباس من ذلك المؤلف يحـــدث تأثيره كبضمة أبيات مثلا نظمها كاننج عن الصداقة اقتبسها السيد المحترم؛ فالموضوع والشاعر والخطيب، أى اتفاق سعيد! (تصفيق طويل وشديد) فتأثيرها في المناقشة لا بد أن يكون حاسمًا ، وإني لوائق أنه إذا كان الاقتباس موجها إلى فلم يبق لى إلا أن أهنى السيد المحترم علنا لاعلى ذا كرته الوقادة وحدها ، وإنما على شُجاعة ضميره أيضاً » .

رُشقت هذه العبارات الرقيقة والمسمومة في فن عظيم ، فقد ألقيت في مبدأ الأمر بتواضع متصنع ، وفي صوت منخفض وسائل ، وفي استمداد بعلى ، ثم فجأة نطق بعبارة • كانتج مثلا .. . » فأوجد عندالساميين جمياً لذة توقع المجوم مما زاد في قوة هذا المجوم حتى صار لا يقاوم ، وهو مقنع في كال النطق والمملاوه الأخاذة المسوت ، وكان التأثير كبيراً والمجاسة شدهدة حتى إن أحد الوزراء قام ليرد فاضطر إلى التزام الوقوف صامناً فترة طويلة ؛ وخفض بيل رأسه وامتقم لونه وصار يتنفس بصحوبة ، ويق دزرائيلي وحده بسيداً عن الاهمام ، وكان المؤترات البشرية تمر به من غير أن تترك أثراً فيه . وكتب سميث إلى مارى آن يقول :

«إن النظر كان يحملك على البكاء سروراً ». وصاروالده العجوز الأعمى في براديهام يكرروهو جالس إلى جانب سارة : «الموضوع والشاعر، والخطيب، أي اتفاق معيد!» شعر پيل بمرور العاصفة فوقه ، وهو رجل رقيق الا حساس تعود الاحترام ووجد صعوبة كبرى في كبح مشاعره ، كيف رضي المجلس أن يعامَــل أكبر رجال البرلمان هذه المعاملة من رجل متبجح ؟ وأى ظلم . . . كاننج ؟ . نعم إنه أحب كاننج، وكانت الظروف معقدة والأخطاء من الْجانبين كما يحدث أمداً ، حاول أن يفسر موقفه ، لكنه شعر بعداوة جهوره له فتحول غضبه تحولًا دقيقًا إلى عداوة شديدة نحو المصالح الزراعية التي رفعته إلى السلطة ، وقد زادت إبرادات لإعانة الزارعين ، وطلب پيل رفض هذا الاقتراح بواسطة أحد وزرائه دون أن يكلف نفسه عناء الكلام ، وانتظر المجلس وهو نافذ الصبر ، بين القاق واللذة ، من دزرائيلي أن يتكلم ، ومن المحزن أن ترى ملامح روبرت النبيلة وقد ارتعشت وامتقع لونه ، ولكنه منظر مرغوب فيه ، وهكذا يحدث عندما يدخل حيوان جميل من حيوانات القتال إلى الساحة وشــعره يبرق من القوة والصحة ، فإن الجمهور يتألم مقــدما ، ويشمر بلذة وهو يرى اللوحين بالقلش الأحمر يثيرون

وجه دزرائيلي الخطاب في هذه الرة إلى أسدةائه من أسحاب مبدأ الحماة ، وأخمذ بشب علمهم في سخرة ، لم مذه الشكابات غير المبتولة من مسلك رئيس الوزراء ؟ « بلا ريب أن هنالك اختلافا بين موقف السيد الحتم كرتهم المارسة وكوزير للتاج ، لكن هي القسة الأبدية ، فيجب أن لا نغرب في القماية بين ساعات التودد والغرام القصيرة والسنوات الطوية بعد الوسال والامتلاك ، ليس إلا حقا أن السيد المحتم جداً قد تغير ، إلى أنذكر خطبه عن الحاية ، وهي خير ما سحت من خطب ، وكان عظها أن نسمع السيد وهو يقول : « إلى لا فعال أن أن كرن زعم السادة الإنجاز على أن أكتب ثقة الملوك . . » . كان هذا القول ا عنليا ، محن الآن لا نسمع كتيراً عن السادة الإبجابز ولكن ماذا ؟ لم ترل له م متمة الذكرى وجمال التذكير في المساعت وله ، غلم م غمامه الأول ، وإذا كان لا بركم أمامهم الآن كما فعل في ساعات وله ، غلم يستطيعون أن يتذكروا المساعى ، ليس أقل فائدة وأتمس من مناظر الاسهام والمتاب ؛ فنحن نعرف في مثل هذه الممالات أنه إذا زال سحر الحبوب لم يين فائدة من الالتجاء المواطف ، إنكم تعلمون أن ما أقوله سدق ، وكل رجل وأكثر الرجال قد من مهذا الدور ؛ فأصدقاً في المخترمون يشكون من السيد المحترم ، وعمل السيد المحترم ما يستطيمه لكي يظالوا المحتد، وفو عمونوا الطبيعة البشرية لفهموا وثوموا السمت ؛ ولكنهم برفضون أن يسكتوا . وماذا بحدث ؟ ماذا يحدث دائما في مثل هذه الظروف؟ إن السيد أن يسكتوا . وماذا بحدث ؟ ماذا يحدث دائما في مثل هذه الظروف؟ إن السيد أن نسمع هذه التأومات أما بابنا » ، هذه ياسيدى تماماً حالة الوراعة تلك الحسناء التي ضفف الناس بها وعنامها عاشق » .

من الستحيل أن ننفل صورة عن تأثير هذا الكلام، فإن ننمة الإلقاء كان لها أثر كبر ، وقد قبل كل هـذا في صوت منخفض مماثل ينقطع عند ما يعلو التصفيق والصنحك ، ثم يعود مماثلا دون مجهود ظاهر، كجرى مستعرمن النكاهة والتأثيب ينساقط قعلوة قعلوة على الوزير في هيكله الكبير، وكان الجلس في الوقت ذاته محت تأثير اللذة والحجل ، وقد مخوف من قوة ذلك الرجل الذى جروً على مجامهته ، كانوا يصفقون دون أن ينظروا إليه ، وقد جنب بيل قبمته فوق عيايه ولم يستطع أن يخنى حركاته المصيبة ، وتمم لورد جون رسل قائلا: « كل هذا حق »، ونحك «أليس» النظيع نفسه ، وظهرت علائم السرور على «ما كولى»

جاءت المطلة البرلمــانية لحسن الحظ بشىء من الهدوء لسير روبرت وشمر براحة إذ ذهب إلى عائلته فى الريف ؛ فقد كان هذا الوزير الشديد أرق الأزواج والآباء ، ولا ريب فى أن دزرائيلى نفسه وهو شديد التأثر بالمواطف المنزلية كان يشفق عليه لو قرأ الرسائل التي ترسلها سبر روبرت إلى لادى بيل :

لا أستطيع تحمل فراتنا أكثر من ذلك ، فإن نوط من التعب والشوق يلغني على هما ، وإن الدودة في نحو الساعة الثانية أو الثالثة من السباح إلى يبت مهجور وأن أجد غرفتنا فيها منتشدة زيتك وقواريرك وغرفة الأطفال مهجورة ، وجميع النرف ساكنة وغير ماهولة مما لا أستطيع احباله أحيانًا . خبرى جوليا السغيرة . أن عننظ بماعها ، وأن أسلؤها في كل مساء وأراقها .

لكن الرجوه الحقيقية للرجال تبنى دائًا تقريبًا عنفية أمام الدن لا يعرفومها إلا في الحياة الدامة ؛ فيبيل ووزرائيلي يقفان وجها لوجه ، وكل مهما ظالم للا خو وكل منهما عنفان ؛ فيما فارسان وضا الحودة فوق رأسيهما يتقاتلان ، ورماحهما لا تقابل غير الحديد ، ولم يرفع قط أحدها قناع الآخر عن وجهه .

ما بيد پيل عن البرلان حتى استرد ثقته ؟ فقد وجد على مقربة من زوجته الفلويفة وقصره الجيل في درايتون عال متلائماً هو سيده الطائق ، وجواً من الثقة والمدسح أحيا فيه الأمل ، وطي كل فقد انتهى دور الانتقاد من غير هزيمة وهو لا بزال قوياً كما هو دائماً ، وليس للأحواد غالبية قوسلهم إلى الحكم فن سالهم تأييده ، ولا رب في أن سادة الريف سادوا بكرهوه الآن ، لكنهم سيظارن يخشونه ويخدمونه كالخراف ؛ فهو قد خسر قلهم ولكنه لم يخسر سوتهم ، ولم يزل كوبدن يقول : «لا خليفة الأتراك ولا قيصر الروس له من السلطة ما ليل ؟ واذا نظر هذا الأسد بعد أن زالت عنه الوحشة إلى دزرائيلي الصغير بداله درزائيل كالذبابة

مع ذلك كان شهر يوليو كثير المطر ، وهذا المطراندي أغمة مباراة الغروسية في إجلنتون نشأ عنه السيل الذي سوف يجرف ييل . كتبت سارة لدين الذي سألها عن أخبار المحسول . . . « إن المطر بهمر حتى أن الحام لابجد مكانا غير مبلل في هذا الطوفان ، وسيكون المحسول سيتا جداً » ، هم بيل في همة الطوفان ، وسيكون المحسول سيتا جداً » ، هم بيل في مهم أصاب البطاطس . و وتلام الخوف من الجاعة في إنجلترا تلاؤه المجبراً مع نظويات النمال الحر التي أعنت عواطله تزداد ميلا إليها حتى اعتنق هذه النظويات ، وماليث أن استعمل كلة « الجاعة » إذا تلفت البطاطس فلابد من بجاعة في ادلنده ، وليس في إنجلترا حنطة لمساعدة المناهدة ، وتعلق الحرية أخيراً لمن لله نخول الأغذية . فم يجب فتح الوائن و إلناء هذه الرسوم الفظية . وماذا يقول الحزب ؟ هلا يصبح منهما إياه بالخيالة ؟ لايهم ذلك إلا قليلا ، فإن بيل على المتناهد التضعية فيكوبدن وبرايت سيواقفان على رأيه ، ويلق دزرائيلي خطبة السخداد التضعية فيكوبدن وبرايت سيواقفان على رأيه ، ويلق دزرائيلي خطبة المناجرة تلهى الجلس ساعة ، لكن بيل يقف أمام الأحيال القادمة على أنه الرجل ساخرة تلهى الجلس ساعة ، لكن بيل يقف أمام الأحيال القادمة على أنه الرجل الناغة الذي تتى يصالح حزب في سبيل مصالح البلاد.

المنت المنت في بسي حي بوب سين سي بسرة مات في أسبوع واحد، ماليت لندن أن علمت بانمتاد على الوزداء أربع ممات في أسبوع واحد، وأن بيل وقد خلح البادئ التي أوسله إلى السلملة بريد إلغاء الرسوم على الحنطة، وأن لورد ستانلى : إنه لا يفهمه ، فالحسول في النسجيما لما اعترى بيل من ذعم ، وقال لورد ستانلى : إنه لا يفهمه ، فالحسول في الدنده لا تعرف حقيقة المد بشهر في ، واستيراد الحنطة لا بعلم الأرائديين الدن ليس لديهم فلس لشرائها ، ثم إن بيل يشكل عن إيقاء رسوم خفيفة مدة فلاث سنوات ، وفي ثلاث سنوات تكون الجاعة بسيدة ، أجاب رئيس الوزارة أن الأزمة عالمة ، وأن جميع الأمم تمنع إصداد المواد النذائية . فقال ستانلى : إذا لم يكن مناك ما يستود فلماذا ننيز جميع السياسة الجركة البلاد ؟ ، لكنه لم ير أن القراد كان الحدوق لا يمن مالك ما المنتلق المتافيا لا المتعلقيا . اختد الهمام الناس وتساملوا : « وما رأى الدوق ؟ » ، وكان الدوق لا يحب هذه المنام، وقال : « إن هذه البطاطس المنفة مي الني سيت كل الفرد فعي التي دفت بيل إلى هذا الخوف الشديد» ، وهمهم

قائلا : « إنه لم بر في حياته رجلا في مثل هــنما الفزع» . لكن الدوق وقد اشتد به البل إلى الصمت كان برى من الشرف أن يطبع الأواص مهما كانت ، وأظهر استمداده لأن يصدر أمره مرمة أخرى قائلا : « يلسادق الهودات استدروا نصف دائرة إلى النمين ! ثم سيروا» ، علم دورائيلي بالأخبار وهو في زيارة أخرى لباريس ، وقال لنفسه : « إن هذه البطاطس المفتة سوف تغير مستقبل العالم » .

قال له تيرس: « إذا كانت الجاعة حقيقية فسيصير بيل رجلا عظها ، أما إذا كانت غير حقيقية فسيكون أضحوكة » .

عندما صدر القرار استقال ستانلى ، وتبعته الوزارة بأكلها ، ودعت اللكة فرود چون رسل الذى رد إلى پيل فى الحال الكائس السمومة التى قدمها هذا إليه . لكن پيل وجد السم حلى الذاق ، وقال للملكة : « ساً كون وزبرك على كل حال » . وكتب إلى صديق : « إنه حلم عجيب وإنى الأشعر كرجل يعود إلى الحياة » ، وما مها، الآخرون خيانة ظهر فى عينه تحولا مقدساً ، وكررت اللكة والبرنس البرت له القول ، وهامن المتحسين لحربة التعامل ، بأنه سينقذ البلاد ، وهو يتل بأنه لايقهر ، وليس هناك من بريد أن يحل فى مركزه ، وستنصلح الأمور وهو مثل عوليس ، الوحيد الذى يستطيع أن يشد هذا القوس .

عاد البرامان إلى الانتقاد، وتألف في عمس اللوردات حزب من أنسار الحابة المجركة بدره ستاظي لمقاومة بيل، وذهب كروكر لدراسة الحالة في الرئند، فأخبر زعيمه أن المجاعة كإقال تيرس: لم تكن حقيقية ، وكنب چون مارترز إلى دزرائيلي يقول: « إن المجاعة لاظل لها من الحقيقة ، وإن المنتظر أن يكون المحسول في السنة القادمة جيداً جداً » . لكن ارائنه لم يكن لها علاقة بقرار بيل أ.كثر من «كاتشائكا» فهو خاضع لأزمة عقلية ولاشيء وقفه ، ومن الجلسة الأولى أخبر الحزب أن جميع آراة الاقتصادية تغيرت، وأصفى السادة الرفيون مستغلمين لتصريحاته ، ولكنه ألقاها بلهجة الميطرة حتى إنه لم يسمع أقل لنط ، وفضلا . عن ذلك ظل دئيس الرزارة عتفظا عهارته في الجدل البراني في همذا السير نحو الاستشهاد، فق أحدا الأيام وقف جلاستون ليتكلم وسأل سير دوبرت في سوت متخفض: « همل اختصر الكلام وأوضحه ؟ » ، فقال له الؤمم : « لا بل أطل فيه وأسبب » ، وهذه هي الطريقة التي النبها في هذه الجلسة الصبية ، فقد ظل يخطب يعمد ألجلس الماخوذ في أسمار الكتان وأسمار السوف بلا انقطاع ، وضرح كلامه يعمد في أن اللسمين وهم يرون عقود اللحم الملح البحثارة ، كان كل ذلك عاددوة الأجر وأمامه مسير جون عكو ملائحه الحريثة وقد اختفى نصف وجهه تقريباً بالقبيمة المريشة ، تما المواجاة إذا تن هذه الماساة حلما ؟ مكذا كان فن همذا بالقبلة المريشة ، تما المواليات البرائية ، وهو يعرف في بعض الأحيان قيمة الذول بالناقشة وإعطائها جواً من الحقارة ، أو على قول دزرائيلي يعود من الآلة البخارية المناذة .

ظهر كأن الستار ستمدل بالرغم من كل شيء على بجاح حكوى حين وقف دزرائيل ، وبعد أن هاني بيضع عبارات على نغمة رئيس الحكومة في كلامه وهي نغمة لانحتمل من رجل بعلن تغيير سياسته تغييراً كيا ، استمر في صوته المائل وقد وضع أسابع بده في صداره : « سيدى : إنه من السعب أن بجد في التاريخ لموقف المبيد المحترم شبها ، والمثل الوحيد الذي أذ كره ألان هو حادث من حوادث الحرب الاخيره في الشرق الأونى ، فإنى أذ كر أه في زمن ذلك النضال الكبير ، وكان وجود الا معراطورية المهانية في كفة الميزان ، أنشأ السلطان أسطولا كبيرا للدفاع عن إمعراطورية ، واختار رجاله من محبة الرجال ، وضباطه خير الضباط الأسطول في عظمته منذ عهد سلهان المغلم ، وشاهد السلطان بنفسه هذا الأسطول في عظمته منذ عهد سلهان المغلم ، وشاهد السلطان بنفسه هذا الأسطول عند سغره ، وسلى جميع رجال الدين داعين للحملة بالنجاح ، كا سلى جميع رجال الدين من أجل بحاح الانتخابات الأخيرة ، وسافو الأسطول ، لكن ما كان أشد حسرة السلطان عندما رأى الأمير الأكبر لمذا الأسطول يسير به رأسًا إلى موانى المدو . سيدى : لقد أممى الناس بالدوم طيالامبرالاً كبرق ذلك الوقت ونعت أيضاً بسيطات الحياة ، ولكنه حاول أيضاً بحرج عمله فقال : حقا إننى وضمت على رأس هذا الأصطول العظيم ، وحقا إن مبليكي عائشى ، وحقا إن جميح رجال الدين في الإمبراطورية صلوا من أجل مجاح الحلة ، لكنى لا أحب الحرب ولا أرى أي سبب لإطالة همذا النصال ، وغمهني الوحيد في قبول القيادة هو إنها، هذه الحلة بأن أخون مليكي » (تصفيق شديد من الحافظين).

اعترف دزرائيلي صراحة أن الناس رأيهم فى تفضيل حربة التعامل أوسياسة الحاية ، لكن الشيء الندى السياستين الحاية ، لكن الشيء الندى المياستين يفخر باتباع السياسة الأخرى ، وأن رجلا اختاره الليك لئفة حزب به بأتى ليقول إن ثقة هذا الليك تسميح له باحتفار الحزب ، وإنه لايمغل قليلا بحكم المجلس حيث إنه وائق من حكم الأجيال القادمة .

دام المتناف عدة دقائق ولم يكن موجها للفنان والخطيب فقط ، فإن الرجل السياسى وجد الأرض السلبة ، فما انتهت الجلسة حتى أحاط بعزرائيلي سادة الأرباف وتكلموا فى إنشاء حزب لسمياسة الحاية فى مجلس النواب ومقاومة رئيس الوزراء .

\*\*

كان دزرائيلي منذ ثلاث سنوات يقابل كديراً عضواً من أعضاء البرلمان يختلف عنه كل الاختلاف ، هو لورد جورج بشتنك ابن دوق بورتلند ، وهو معروف بصفة خاصة بأنه صاحب حظيرة من أكبر حظائر الخيل في المملكة ، وهو الحاكم ا المطلق في عالم السباق ، وقد طهره من «الجوكية » عدى الأماة وصار محتماً في عالم السباق عن جدارة ، وبالرغم من شدته العظيمة كان خدم الخيل عنده يسدونه وهم يقددون صراحته المتناهية وقوة حبه للجياد ، كان لورد جورج براهن على كل جواد من نسل حياده ولو من الجيل الثاني ، ولا يخرج جواداً دخل حظائره حتى الموت، ويعتبر من إذكار الجيل سع جواد هجوز لأنه لا يستطيع العدو .
دخل عضواً فى العبداان منه خان سنوات، لكنه لم يشكلم فيه قط، بعتبر
الجلس كأنه المر، وكثيراً ما مدخل إليه وقد ظهرت الباقة الحمواء لسترة الصيد
عمت المطف الأبيض، ويستمد بعض نفوذه من أنه صديق أكد ورفيق لجميع
الأعضاء الدين مهتمون المجياد (وهؤلاء كثير) والبعض الأكبر من تقدير المجلس
جيمه لأخلاقه الشخصية، وهو معروف بأنه عنيف، لكنه وفى لأصدقائه بقدر
بسيراً بالأمور .
بسائب النظر

منذ سنة ١٨٤٢ صار دزرائيلي كثير التردد على لورد جورج ومضاحبته ، وقد يظهر أن الصداقة صعبة بين رجل الجو المطلق الذى لا يفتح الكتاب إلا نادراً وبين الكانب المحنث شيئاً ما ، الذي يفرض على نفسه ركوب الخيل أحيانًا على أنه واجب ، لكن دزرائيلي ينجذب بلا ريب انجذابًا لا يقاوم نحو هذه المخلوقات القومة المعتادة على الهواء الطلق لما بينها وبينه من تباين ، وكان يشمر شعوراً قوياً بما فيه من حساسية شديدة تبلغ حد الرض ، ولهذا السبب نفسه كان يعجب بما فيها من عدم مبالاة عظيمة . ودُّهب في صداقته للورد جورج إلى حد الاشتراك معه في صرة ذات أصل عريق اسمها كيتي ، هي ابنة لأحد الجياد التي كسبت سياق الدربي ، أخذ المدرب « جون كنت » بنظر بعين الربية إلى ذلك الرجل العجيب للمتقع اللون الذي يمشى في حظائر السباق في حذر ، ويتكلم عن الخيل بلغة عادة ، وخيل إليه أن هذا الزائر الغريب الأطوار يظهر من الاهمّام بشئون الخيل ما لابشعر مه ، وأنه مدلاً من أن يقنمه لورد جورج باعتناق دين السباق فهو يحاول أن يكسبه لدين السياسة ، وفي بعض الأحيان إذا ما ذهب المدرب عند الساء ليخبر سيده بحال الخيل في مهانها أثناء الهاركان يجد السيد وصديقه جالسين أمام الموقد وهما يقلبان كتباً زرقاء ، فيترك جون كنت الغرفة وفي نفسه قلق وخوف .

فی الیوم الذی أعلن فیه سیر روبرت بیل تغیر سیاسته ، خرج لورد جورج بنتنك من صمته كما يخرج الأسد من عرينه ، فهو بطبيعته يكره عدم الولاء، فصار من أشد المتحمسين لتأليف حزب في الحال من مؤيدي مذهب الحامة ، وطلب إليه دزرائيلي على أثر ذلك أن يكون زعيمه في مجلس النواب، وأجاب بنتنك : « إلى رجل نلت قسطاً ضيَّالًا من الثقافة ولست بطبيعتي ميالًا للحياة السياسية ، وأعرف أَنى غير كَفء لهذا الركز ، لكنني أقبل إذا كنتم في حاجة إلىَّ » . وهم في الواقع محتاجون إليه ، فإن مقامه ومركزه يطمئنان أولئك الدين يترددون في السيروراء دزرائيلي ، وقد أظهر معذلك في النضال أنه أشد بأساً مما ظن ، كان له صوت صغير عجيب يظهر كا نه ينتزعه بصعوبة من جسده القوى، وحركاته غريبة ، وهو لايقدر على قطع الكلام إذا ما بدأه، كن إرادته لا تتزعزع، وهو صبور علىالممل في جمع الوقائع والأرقام ثم يسردها فيعنف عظم ، وتفهم إخلاصه وقوة الماطفة التي دفعته إلى العمل عند ما تعلم أنه في اليوم الذي قبل فيه مركز الزعيم لأصحاب الحمــانة أمر ببيع جميع جياده ، وقد محققت النبوءة المؤلمة التي تنبأ مها مدرب الخيل. ومنذ ذلك الوقت واظب بنتنك على حضور جميع الجلسات، ولما كان من عادة هذه العائلة أن ينام أفرادها بسهولة بعدالطمام فقد فرض على نفسه الصوم كل يوم حتى اللحظة التي يخرج فيها من المجلس ، وهذا النظام مع ما للممل العقلي من تأثير في هذا الرجل الذي ألف الميشة في الهواء الطلق كان له أســوأ

قال أمدقاء بيل وهم يضحكون: « بنتك ودزرائيلي أي تراوح: » ، ولكن ظهر عند أخذ الأصوات لدى القراءة الأولى لقانون الحنظة أن ١١٣ عضواً فقط من أعضاء الحزب أعطوا الأصوات ليسل بينا ٢٠٠ مهم « حافظوا مع بنتك على شرفهم » . لكن الوزارة الله أعلية مؤلفة على الأكثر من معارضها الأحوار ، وصار من الجلى أنهم يخذلونها بعد مهور القانون ، وأن بيل منذ ذلك الموع عكوم عليه بالسقوط . وأخذ بتنك ودزرائيلي بعاملاة معاملة شعيدة أثناء القراءات الثلاث للقانون، ولم يقتصدا قط فى الألقاب النى نستابها الوزارة ، وكما اشتدا فى القول كمال ظهر الرساء على المجلس ، سمى دزرائيلى رئيس الوزارة : « ذلك الذى يسطو على الآراء وهو لص المذاهب » ، وكان يتكلم عن ذلك المضارب السياسى الذى يشترى فى أقل الأسواق سمراً ويبيع فى أعلاها ؛ وكان بنتنك أقل إختراط للألقاب وأشد وحشية ، قالم جون مائرز الرقيني العاطفة المهذب بعدم تبصره . وعند ما وقف بيل لبردد ذكر كلة الشرف قابله المجلس مسياح الاستنكار وإشارات الاحتقار ، وحاول رئيس المجلس تهدئة المجلس مماداً فعجز عن ذلك ، وخيل إليه أن دموع الوزير الكبير تكاد تنحدر من عينيه .

بعد هذه المناقشات العديدة التي تنجى كثيراً في الساعة الرابعة أو الخامسة من السباح، يعود دزرائيلي إلى داره فيجد مارى آن وقد استيقظات وأشملت بالحسل قاراً كبيرة في الموقد وأشامت جميع الأفوار، وهي تريد أن تشعر زوجها عند دخوله الدار بتأثير الراحة والسرور، وفي بسفى الأحيان تذهب في عمية إلى بالبرال وتنتظره بعض الليل وقد وضعت على ركبتها طعاماً بارداً . يروى عن إخلاصها أسها سحبت ديرى إلى المجلس ذات ممية في بوم مناقشة هامة وجهرت بدها إذ أقفل علها عدم اللباب فجأة فصيرت ولم تقل أدوجها شيئاً حتى تؤير زوجها برسائل مؤرة فقول: « إنى أقرأ السحف حتى يخونني جلسى ... ولا أسالك إلا شيئاً واحداً : هل أنت على تشمة على الأقل من أن تستطيع أن تبرهن على نراهتك وحكمة مسلكك ، ومل نجد العدالة بعد هذه الإهامات أستعلم غان أنجد اللبابة بعد هذه الإهامات أعتد الآن في الحفظ وأعمى أن حظى سيكون عاراً أير بائل الإله في كل الأمور وبغضائك ... لمت إلا قصبة ضيفة ، وأكن أعذاني تبكئة ، فإ بك ستجد دائم خلاص والحه».

كان اللوردات قادرين على إيقاف القانون ، ولكن دوق ولنجنون حملهم

على الموافقة عليه ، وكان منظره حزينا وقبسته على عينيه ، وكان في أشد حالات غضبه وهو يجيب المعارضين ويقول : « إنني عاماً من رأيك ياسيدى ... فهي حركة ملموقة ، لكن بجب أن أنظر إلى سمإ البلاد وراحة اللكمة » . ونشرت مجاة نيش خيراً صغيراً كن عنوان جرعة الزواج من امرأتين جاء فيه : « ججه، بشخص اسمه بيل أسس أمام مستر بول القاشى وهو منهم بزواج امرأة اسمها حرة التعامل ، مع أن زوجته الاولى وهي الزواعة لا ترال حبة » .

فى مساء اليوم نفسه الذى ووفق فيه على قانون الحنطة فى القراءة الثالثة هزم سير روبرت باقفاق أصباب الحامة والأحرار وتمم جاره فى أذنه : 8 يقال إننا هزمنا بأغلبية ٧٥ سوناً » ، لم يجب سير روبرت ، بل لم يدر رأسه وظهر عليه الحزن الشديد ومد ذقته إلى الأمام ، وهى عادة له حين يتألم ولا بريد السكلام. زعيم

 د إن ذوى العقول الكبيرة يجب أن ينتظروا أيجاح ذوى المواهب المتنوعة وذوى الذكاء الكبير ثم لا ينتظرون غيرهم >

ما أشد مرارة الانتصار إذ يتخيل الرجال في سباقهم الطويل نحو الوت مواقف سميدة ، وأنه بعد بضع خطوات تنتعي مراحلة اليوم ، ثم تأتي الراحة حول الموقد ، ولكن ليس في بجرى الزمن الستمر راحة ولا مواقف ، وفي كل مساء يكون الماضي حلما والمستقبل سراً .

لقد قضى في هذه الحلة خمى سنوات تعلم فيها أشياء كثيرة ، وقد وجد فيه مارز وبتنك ، وها من أشد الحكام ، رفيقاً أميناً في الفتال كسب تفهما وكان يعرف به التقلق ، وطيالرغم من علمه بتفوقه على بتنك ورغبته الشديدة في أن يحدم بإخلاص كساعد ما دام بتنك في مركز القيادة ، وقد تعلم أن الإخلاص والشجاعة بفيدان الرجل أكثر مما في مركز القيادة ، وقد تعلم أن الإخلاص والشجاعة بفيدان الرجل أكثر مما ليفيد مثاني تياه أو بريق عباراته ، وأن المظمة الكافة لا تدوم ، وأن الإخلاص أكر ما أي كر وأكن أكر كا للجميل هو فضيلة سياسنية لازمة ، وقد صارت تبعثه أكبر وأكر كثيراً من ذلك الشاب المتأنق الذي دخل براسان سنة ١٨٣٧ لكر وأكر كثيراً من ذلك الشاب المتأنق الذي دخل وجلادستون وجراهام ونخبة لكن مركزه لم يكن متيناً فإن أصدقاء بيسل وجلادستون وجراهام ونخبة

المنتفين في الحرب كانوا عتنوه ، وأقسموا أمهم لن يتفقوا معه بعد ذلك ؛ وكانت الملكة في البلاط والأمير ألبوت خاصة ، وهو رجل شديد عالى الفكرة ، يستبراله رجلا طموحا بلا عبادى أقدم على تعذيب سير دوبرت الوقور والدزر السيم لمجرد الحمد ؛ وبندأ سادة الريف الدن تبدي المجدون ، الحمد ؛ وبندأ سادة الريف الذن تبايا سوداء فجرد شكل صحنته ينهم جعل له منظر طائر الأبييس أو البحمة ، وقد مشل طريقه إلى حقل بيت إنجيلنى ، وإذا ما أضاءت النصيم مقاعد المحافظين بدت جمع الوجوه بيسار أشد سواداً ، وقد فقوا لسمة اطلاعه خاول أن يطمئهم بأن يطفئ من ذكاته ، وأعلن أحد كبار أسحاب الأراضى بعد عادية معه أن مستر دزرائيل ليس بالرجل الشديد المحافظة على المحافظة على الأراض الشديد كبار أسحاب الأراض بعد عادية معه أن وهذا يدل على ما تركه من أو حسن ،

و من الما المنافذ و الما المنافذ المنافذ المنافظ المن

أكثر من تحرير هذا البرنامج ، وهو يمقت الالتجاء إلى البادئ الأولية وإلى تنسير مسلكة ، يحب مظهر الهدو، وعدم السناية ، وقد تضايق للذعر، الشديد الذي استولى على بيل ، ولم يكن أقل تضايقاً من مطامع دزرائيلي الحادة ، وهو رجل مندفع لكنه يتعب من النضال بسرعة ويخشى من النشاط الدائم الذي يتجلى في السوقة ، وهو يعترف اعترافا كاملا بمواهب دزرائيلي ، هذا وربحا ، من يتجلى في السوقة ، وهو يعترف اعترافا كاملا بمواهب دزرائيلي ، هذا وربحا ، من يتخذه بيا بالحلاسه – إلا أنه يجد من حقه ألا يدعوه الدشاء اسه ، وإذن لا يتخذه يتولا أنه إدارة الحزب .

## \*\*\*

في هذه اللحظة التي يجب فيها أن يُطمئن برلسانا قليل الثقة ، وأن يبدد الجو المحجب الذي تجمع حول اسمه ، أقدم بنيامين دزرائلي عضو البرلمان على عمل من أبعد الأعمال عن الحسكة ؛ فقد نشر رواية دينية النزعة .

هذه الرواة التي عنوانها «تنكريد» هي قصة سيد إنجلتري سنير حج إلى التبدر المتدس ليحاول فهم السر الأسيوى ، اتخذ المؤلف همذا الموسوع حجة لشرع نظرياته عن البهودة وعن الكنيسة ، وفي رأى دزرائيلي أن الدور الذي تقوم به الكنيسة هو الدفاع في عالم بادى عن بعض البادى السامية التي وردت في المسادن القديم والجديد ، وأهمها الاعتقاد بالدور الذي يقوم به ما هو إلمي وما هو روحاني في هذا الدالم . سار من عادة الناس الذي يقوم به ما هو إلمي أن يقولوا عن دزرائيلي إنه شرق النزعة ، لكنها صفة غير حقيقية ، وحكم تموزه فوقائنزية بين غيرات الألوان ، فهو قد ربي في إنجاز او فضأ على التفكير الإنجليزي، وهو عاط بأصدة من الإنجليز ومتملق تملقاً شديداً بأنجترا ، فهو أبيد من يهود الشرق منه إلى جورج بنشك ، لكنه يختلف كذلك اختلاظ كبيراً عن أصدقاته دوي الداء الإنجليزية ، وهو يشاطر الشرقين بوجه خاص في تلك الماطفة المزوجة التي نجمع بين الرغبة في متع هذا الدالم والشمور بأن هذه المتع رائلة وباطة .

تذكر مدكتاب عجيب فيــه شجاعة وفيه طيش ، ضايق الكثيرين من الناس، ورأى كارليل أن الأباطيل البهودية فيه مما لا يحتمل، وتساءل إلى متى يسمح چون بول لهذا القرد القبيح بأن يرقص على بطنه ؟ ومن حسن حظ دزرائيلي أن الكثيرين من زملائه لا يقرأون أبداً . لكن بعد وقت قصير من سقوط پيل دعته الظروف إلى تفسير مذهبه في انعقاد مجلس النواب ، فقد انتخب حي التجارة والمال في لندن ليونيل روتشيل عضواً في البرلمان ، لكنه لم يستطيع الجلوس فيه لأن القانون يتطلب منه القسم بالعقيدة الحقيقية للمسيحي ، افترح اللورد چون رسل إلغاء هذا النص وفاء عذهب الأحرار في أن «كل إمجلنري وان في إنجلترا له الحق في جميع مزايا الدستور » ، وأعطى جميع رجال حزب الحمالة أصواتهم معارضين رسل ماعدا دزرائيلي وبنتنك ، وهذا الأخير لمجرد صداقته لعزرائيلي ، وقد خطب دزرائيلي معلنا للمجلس الندهش أن أكبر خطأ وتكبه حزب المحافظين هو اضطهاد البهود وهو عنصر محافظ بطبيعته ، لكن بتلك الماملة يلق به إلى أحزاب الثورة والاضطراب، فيحملون إلها قيادة عقلية عظيمة، وهو كمسيحي سيؤيد البهود بصونه ، وقال : ﴿ إِنَّكُمْ تَلْقَنُونَ أَطْفَالَكُمْ الرَّخِ الْهُود ، وفي أيام الأعياد تقرأون إلى شعبكم مفاخر أبطالهم ، وفي كل أحد إذا ما أردتم أن تتغنوا بمدأمح العلىّ الأعلى أو أن تجدوا عزاء في أحزانكم فإنكم تبحثون للتعبير عن هــذه العواطف في أناشيد الشعراء البهود ، فأنم بقدر إخلاصكم لعقيدتكم عاولون القيام بهذا العمل الذي تمليه العدالة الطبيعية . . . » ، كان المجلس يصني بنافذ الصبر ، وسممت صيحات من جهات مختلفة : «أوه! أوه!» ، لكن دزرائيلي احتم بقوله : « لا أستطيع الجلوس في هذا المجلس ، وهنالك سوء فهم لرأبي في هذا الموضوع ، ومهما تَكن النتأمج بالنسبة إلىَّ فإني لا أستطيع أنَّ أعطى صونًا فيما يتفق مع عقيدتي بأنه الدين الحق ، نعم 1 إلى كسيحي لا أحتمل السئولية الفظيمة في أن أبد أولئك الذين ينتمون إلى النيانة التي ولد في أحضامها السيد السيح الخلص a.

جلس بين سكوت عميق ولم يصفق له عضو واحد من حزبه ، والنفت لورد چون رسل بحو جار له في مقاعد الممارضة ، وقال في إعجاب : « لا بد أن تتوافر الشجاعة الكبيرة لدى زعيم حزب كي بدافع مكذا عن آراء بمقمها أسدةاؤه » .

أعلن الحزب لبنتك أنه لا يقر مسلكه في مسألة روتشيله، فاستقال من الزعامة ووجد بعد وقت قسير ميناً في أحد الحقول وقد ارتمى على وجهه ، قال الأطباء إنه ويمكنة قليبة وفي بكن متنادا الأعمال الدقلية ، وفرض على نفسه تغيير عادات وحرم نفسه من تحريناته العادية فقضي ذلك على صحته ، وأسامه فضلاً عن ذلك حزن كبير إذ كان معلمت الوحيد دائماً أن يرج الدبو ولم ينجم قط فى ذلك ، لكن أحد الجياد التي باعها عند ما قصر وقته على السياسة وهو « سو بليس » رمح ذلك أحد الجياد التي باعها عند ما قصر وقته على السياسة وهو « سو بليس » رمح ذلك السياق وجاء الأول فيه فكان فى ذلك ضربة كبرى لآماله . على أن لورد جورج لم المنافق على ما فعله فى سبيل الواجب ، وفى أبله الأخيرة إذا ما ألم علم بأسف قط على ما فعله فى سبيل الواجب ، وفى أبله الأخيرة إذا ما ألم علما أصدقاق فى الراحمة قليلاً كان من عادة أن يجيبهم : « إن من يطل النجاة لنفسه أصدق المنافق أن يقد تمان بهذا السيق الخمن والوف أيضاً ، وقد قال بنتك أكثر من مرة الأمور ، اكنى على يشكون فى مساعده : « إن لا اذى معرفة الكثير من الأمور ، اكنى على خبرة بالرجال والجياد » .

ذهب بنتك فققد دزرائيلي فيه أكبر عشدله ، وعند ما تكلم رجال الحزب في انتخاب زعم جديد ذكرت عدة أسماء ولم يذكر اسمه ، وكتب إليه ستانلي رسالة مؤدية في الناطن ، يعرض عليه فيها أن يعمل تحت لواء زعم أسمى وأن يقوم دزرائيلي بالعمل الحقيق على أن يحمل الآخر لقب الزعم، لكن دذرائيلي أبي أن يتحمل جميع المخاطر دون الشرف ، وقد ترك خروج يبل وأصدةا فه أسحاب الحماية بلا خطيب ، يبنا حزب المحافظات القسدم غنى بحلاستون وبعدد من الخطباء ، كان عليه أن ينتظر طويلاً ، طويلاً جداً ، لولا

أن أدى انقسام الحزب إلى أن صار فى الطليمة ، سواء رسى رجال حزبه أم لم يرسوا ؟ فاوم ستاغلى بقدر المستطاع ، وأخيراً اقترب بأن يدير الحزب فى مجلس النواب ثلاثة : جوانتى وهمريس وفزوائملي ، وقال وزير قديم عند ما سمى الخبر : «عم سييس وروجيه دوكو وابليون نوابارت » .

ُم بمض ثلاثة أسابيع حتى اختنى ذكر الزميلين الأخيرين وصار دزرائيلي في أمين الجميع الزعم الرسمى للممارضة ، وكان فورد ملبورن لا يزال حياً ، ونذكر ذلك الشاب ذا الشعر المجمعد الذي أجابه لدى كاوولين نووتون : «أوبد أن أكون رئيس الوزراء » .

فقال : « والله ليفعلنها هذا الغلام » .

\* \* \*

لاشك فى أنه خطا خطوة كبيرة فى طريق السلطة ، إذأ صبح الزعم المنترف 
به لحزب كبير فى مجلس النواب ، وقد انشحت له فكرة جديدة وأخذت نرداد 
وضوحا ، هى أنه فى انجلترا وفى بعض الجماعات السياسية لا يكون الرجل شيئا 
مذكوراً إذا لم تتلك أرسًا ، لم يجد هذه النرعة مستفرية ، فإن ساحب الأرض 
وهو عشى فى أملاكه ويكلم رجال زراعته يفف على الحالة الحقيقية للمواطف 
وللحاجبات ، يسنى إلى شكابات الزاريين ويقف على أثير القوا فان التي أهما بسوة ، 
أما ساكن لندن الذى عضى حياة بين غرف الاستقبال وفى الجلس فلن يكون 
إلا من ذوى النظريات ، المقل فى حاجة إلى الاتسال بالأرض فى مهات متفارة 
وبعد قضاء موسم فى حياة المدن يخفف هدوء الطبيعة النباتية وجالحا من سورة 
الأفكار ، ووزرائيل شديد التمان بالأشجار والأزهار ، وحلمه منذ زمن بسيد أن 
يتمثك يبتاً كبيراً فى كونتية «بكس» التي تعلق بها .

كانت هناك أرض ممروضة البيح لاتبعد كثيراً عن برادنهام مى ضيعة هوجندن ، وكان دزرائيلي وإخوة بذهبون إليها كثيراً فى طنواتهم السب ثم للمنزل ، وهم يعرفون تلك الحديقة الجملية والنابات الواسعة من الزان والبلوط ، والأراض التموجة الزروعة بالحميض ، والهر السغير فى الوادى وأساكه المختفية والشرفة الكبيرة التى كانت فيها «رجولا» مزهرة . وقد محموا منائل الله قسم مذه الضيعة التي منحوا ولم الفائح لاودو أسقف بابو ، وسكن فيها رتشارد دى مو نفورت والكونت شستر فيلد الشهير ، ليس شىء أحب لدى دزرائيل من أن يصبر سيد هوجندن ، لكن يموزه المال فقد زادت دبونه بالقوائد التي أص عليها المرابون ودبون أسدتائه الذين ضميه ، فيلفت عشرين ألف جنيه ، وكان مستر أسحق دزرائيل ونسيده في ميراث والده يلخ عشرة آلاف جنيه ، وكان مستر إسحق دزرائيل على استعداد من ذلك الوقت لان يضع هذا المال في شراء أرض ، لكن تمن على الفصر والنامة كان خمة والالين ألفا من الجنبهات فان يجدها !

عند ماكان لورد جورج بنتنك لا يزال حباً أسر إليه دزرائيلي دغبته ، ورأى لورد جورج من للرغوب فيه أن يكون أحد زعما. الحرب الزرائي من سادة الريف ؛ فعرض أن يتماون مع إخوته على إقراضه هذا المبلغ ، ولما تم الاتفاق مبدئياً اشترى إسحق دزرائيلي هوجندن لابنه ، ومات بعد ذلك نمين قسير ، وقد بلغ الواحدة والتمانين من العمر ، ولم يكد يشعر بانتواب للوت إذ بم يتقطع حتى الساعة الأخيرة عن سماع قراءة سارة . في تلك السنة وقبل أن بدفع تمن الشيمة توفى لورد جورج بنتنك ، لكن دزرائيلي وجد في سخاء أخوى اللورد ما وجده في العمدين ، وقد شرح لها في صراحة فيها بساطة وفيها إقدام أن الحياة تكون من غبر لذة له ومن غبر ظائدة للحزب إذا لم يظهر في مظهر كبير ، وها من الرجال مارية موبون استحالة الحياة من غير هذا المنظهر ، واستطاع ديرى أن يكتب إلى ماري آن ويقول : « لقد تم كل شيء ، وها أنت صاحبة قصر هوجندن » .

انتقد بعض الدقلاء هسذا النمراء بحق ، لكن هل يستطيع دزرائيلي أن يترك من أجل بسنع قطع سغيرة من الدهب لدة استلاك قصر يكاد يكون مماثلا لما وصفه في دوايانه ، كنيسة سغيرة وسط المديقة ، ويبت سغير للقس ، وسهر وأداض وبمسائل طويلة منطاة بشجر الزان تؤلف قصراً طبيعياً تشابك فيسه الأوراق فوق سجاد من الحشائش الناحمة 1 . لقد أخذت مارى آن ، وهى ربة بيت كاملة من سيدات القسور تفتح طرقا فى غابة البلوط التى سمها النابة الألمانية وتضع مقاعد ريفية . وصار دزرائيلي عشى طويلا متنزها على قدميه واسمأله تلازمه فى عربة صغيرة بجرها سهر سغير .

في شهر اكتوبر اربدت النابة بمال الخريف ، ولا زالت أشجار الزيزون والسنوبر تكتمي أوراقها المصغرة ، وأشجار الزان النحاسية تلع في الشمس ، وهنا وهنالك تجد إحدى أشجار البلوط والدردار لا تزال خضراء كما في السيف ، وسيد هوجد من وسيدتها يمودان في هدوء محو قصرهما ، هو في الخامسة والاربين من عمره وهي في السابعة والخمين ، لكنه يحدب علها في حنو وهي تحدب عليه في تدله ، وعلى الشرفة الطواويس تنشر ذيولها في جاء وعظمة وهي تقول عن هذه الطواويس ثرائيها : « ياسيدتي المزيزة ما فائدة الشرفة إذا لم يكن

## مصاعب

« والله لينملنها هذا النلام » . مكنا قال لورد ملبورن متفائلا أكثر من دزرائيلي الندى رأى أنه لا يزال بينه وبين السلطة طريق وعمة تكتنفها مصاعب كمرة .

# الحاجز الأول :

إنه زميم حزب في مجلس النواب ، لكنه لم يشعر بأنه محسترم ؟ فرزب المحافظين هو فاوست ، ودزرائيل مفستو فوليس الذي قال له : « إنى أهبك القوة والشباب ، لكن بشرط أن أبنى داعًا إلى جانك » . فسسار فاوست يحتمل مفستو فوليس ولكنه لا يحبه . يعترف الجميع بأن الزعم الجديد يحسن عمله ، وهو في غير الجلس يقرأ الكتب الزرة، ويدون الملاحظات وبعد الخطب قاركا مارى آن وحدها للاتصال بالنساس . أخذ ديرى أضيراً يظهر ذلك الاحتفاد الكبير للظاهم بعد أن ظل يخفيه تحت رغبته في إرضاء الآخرين ، وكثيراً عند زيادة الأصدقاء تمو علية باكلها دون أن ينطق بكلمة وهو غارق في الأفكار ؟ فلا يجرؤ أحد أن يكلمه .

لكن مراتبي الجلس كانوا يرسلون عنه إلى ستانلي تقارير كالتضارير التي يرسلها موظف من موظن الستمورات إلى الحاكم عن زعيم من الأهالى خضع له حديثًا : « إنى أشعر يأله قد ارتبط نهائيًا ، وأنه سيظل غاماً » . وفي أثناء المطلات البرلمانية مراقبون حتى وجهه : «علمت أن دزرائيلي قد أطلق شارييه وهذا مما يؤسف له جداً إذ يجب ألا بلفت الأنظار يظهر أو بثياب خارجة ، وإنما يمواهبه ، آمل ألا يتخذ هذه الهيئة في غير الريف ، وفي غالله يكتبجها مشير وأنه بظهر إلى الناس في مظهر أليقِ بالبشر في شهر ينابر » .

هى مخاوف طاللة ؛ فلبسه لا يمكن انتقاده ، وقد اختفت السلاسل والخواتم وثيابه في الشتاء والسيف غير زاهية ، كانت حركاته المصيبة في أيامه الأولى تعابيق الجلس ، لكن يجب على الجلس أن يركح الآن إلى ثباته فهو يلزم مقعده أثناء الجلسات رافعاً الرأس في جود ، وقد شبك ذراعيه على صدره وعيناه في نصف إقفال ، ولا يمكن النظر إليه من غير تفكير في السور الحجرة لمصر القديمة فا ذا اشتدت الحجلة عليه ادعى النوم ، وإذا أصاب الهجوم منه مكانا حساساً وجه الوحيدة للصياة التي لا يكتشفها إلا أدق اللاحقاين ، وفي ماشي البالن يسير من غير شجة كالشيح ، كانه لا يشعر بوجود الأهياء الخارجية عنه ، ويخطب من غير إشارات ومن غير الالتجاء إلى التأثير بتنوع السوت ، غير أنه في السخلة التي ينطق فيها علاحظة خكاهية كان ينزع منديله من جبب في البسار وينقله إلى بده البسرى ، وهكذا كانت سيطرة على جسده عا بالبارة ثم يبيد للنديل إلى بده البسرى ، وهكذا كانت سيطرة على جسده عا نظم المقال ، فسار درائيلي هادنا تما الى اللانس عبد أن كان عصبياً في اللانس ، وإنا عورض قال « درعا . . » ثم غير الوضوع في الحال .

### الحامز الثاني :

م يكن لحزب الحابة ببدأ ناص ، ولو سئل ستاغل لقال : «كيف . والحابة ؟ اى ، كن الحابة بدأ به يكون . والحابة ؟ اى ، كن الحابة الله يكون . الله يكون عليه أن يكون اللهجزب عقيدة ، ولا يكن إشباع خيال الناس بالقوانين الجركة ، والخيال وحده هو الذي يقود الرجال ، وأطهرت الحوادث أن جرعة بيل كان أقل مما ظن ، وقد قال دورائيلي : « لماذا عارضنا بيل ؟ لأن حربة الشامل مخرب الزارعين ، ولا يختفس أسمار المديشة » ، لكن أسمار المبيشة انتفضت وظل الزارون على

حلم فى زمن قانون النلال ، وربما ذلك لمجرد الصدفة فلتجوّ وللحاصلات دخل فى هذا الأمم ، وربما ينقلب فى الستقبل جو آخر فتحين نهاية الحماية . لكن مزرائيل كان واقعياً وهو يقبل الحوادث على علائها ، فالزراعة لم تخرب ، والمورة إلى قوانين النلال فكرة جنوبية لأنها تثير البلاد وتقفى على الحزب ، فالحابة لم تحت فقط بل قضى علمها تماماً .

مايق هذا الرق جمع الناس ، فقد تمني الأحرار أن يتُدبت خصومهم مدة قرن مهذه السياسة القضى عليها ، وتسامل لورد ستاغل سؤالا مقلولا في ظاهره : 

« ما معنى الحلة الشديدة على سير روبرت بيل إذا كنا نمود إلى تقليده ؟ » .

لم يكن لدى ستاغل الوقت والراغية في أن يفكر في القيمة الحقيقية لحرية التمامل ، فليه البلياد وله الحياد ، وهو مرتبط بسياسة الحالة ولتكن النتائج ما تكون . وبرى جون مارز الخلص أيضاً أن الشرف يقضى بأن يصيح « السقط مريية الدخل ، ولتحقى الجورية الدخل ، ولتحقى الحياد ، أو منافقة عن الحيانة السياسية تغليم من جديد ، ووصت بغنى دزرائيلي في صور هزاية تثله أحيانا كالحرباء . كنث النار الوهمية يتبمها الزارعون المخدوعون بلا جدوى ، وأحيانا كالحرباء . وقد وضعها جون بول على منضدة وهو يتألمها في تمجب ، وأحيانا كالحرباء . 

« ما مى أغراضك ؟ » . 

« ما مى أغراضك ؟ »

#### الحاجز الثالث :

ما دام سير روبرت پيل سيًّا فن الستحيل أيحاد فريق حزب المحافظان بدونه ومن الستحيل الاتحاد وهو فيسه ، وجد دزرائيلي في مبدأ الأمم صدوبة في الجلوس على مقمد واحـد مع الرجل الذي حطم حياته لايفصل بينهما غير جلادستون . وقد شعر بالسطف على سير روبرت بعد أن غلبه فلا يتحدث إلا لميندهه ، وإذا غلب جلادستون وأدى ذلك إلى جلوس أحدها إلى جان الآخر ، دعا دزرائيلي صديقاً وسأله أن بجلس بينهها كى بوفر على سير روبرت نلك الجرة المؤلمة النفسه ، اكن بيدل كان ينظر إليه بلا غضب ويلاحظه فى جد . وقد أرضى كبرياه نجاح سياسته بمدسقوطه ، وعاد الهدو، إلى وجهه بل كادت نظهر عليه عهرمات السعادة ، وفى ذات ليلة إذ جلس دزرائيلي بمد أن ألتى خطبة جميلة سمح جهادرستون پيل الجاور له يظهر فى هدو، وضاه .

ق تلك الليلة ظلت الجلسة منعقدة إلى الساعة الخامسة صباط ، وعندما عاد مزرائيلي إلى داره وجد البيت معنيثا بالأنوار كالمادة ، وذهب إلى مرقده وأم جيداً واستيقظ متأخراً جداً ، وأفنعته زوجه بأن يتزه في عربة معها ، وبيها هما يتخرق ربحينه بارك أوقف فارسان أجنبيان عربهما وقالاله : « قديهمك باستر مزرائيلي أن تم أن سير روبرت بيل سقط من جواده ، وأنه حل إلى منزله في حل خطرة ؟ . فقال دزرائيلي : « خطرة ! أرجو ألا يكون ذلك فإن فقده خسارة كبرة البيلاد » ، ظهرت الدهنة على الفارسين وإشدا .

كان الخبر سحيحاً فقد خرج بيل على فرسه فى السباح وهو متعب من جلسة الليل وجهح جواده ورماء إلى الأرض ، كانت آلامه شدودة بحيث لم يستطع الأطباء أن يقفوا على مدى جواحه ، وجزعت لادى بيل جزعاً شدوداً حتى إنها منعت من دخول غرفة الريض إذ يسبب له منظر حزمها تشنجات حقيقة ، وأحط الجهور المتاثر باليت ينتظر الأخبار .

بعد ظهر ذلك البوم كان آل لنداسرى يقيمون حفاة ريفية كبرى ف داد رويفة مزينة بالورود على ضفاف التامز ، وقدت لادى لنداسرى الشاى للسيوضا في أكواب من القدهب اللسبوب ، وهز رب الدار بد دزرائيلى في قلق وحب ثم اختق ، وعندما عاد بعد وقت طويل تمم قائلا : « ليس مناك أي أمل » ، ققد امتعلى جواداً إلى دارييل ، بياما الكنجات منوف ومدعووه بأ كاون التلجات. وفي اليوم التالى قال جلاوستون في نادى كارلتون : « مات يبل في سلام مع جميع الناس سحى مع دزرائيلى »

كانت راشيل تمثل في ذلك المساء بالفرنسية رواية « بيازيد » ، وحضر عثيلها أهل لندن جميعًا ، وكان التفكير في أن سير روبرت بيل لن يشغل مقمده من بعد غربياً ، قال بلوار لدزرائيلي : « لقد أتم عمله ولا يميش إنسان قط بعد أن يم عمله » لماذا ؟ لقد أخذ بلوار بميل إلى إيجاز القول ، أسف دزرائيلي حقا على جاره . قد يكون من السهل ضم أنصار بيل بعد وفاته إلى الحزب ، لكن أنصار بيل كانوا متألين ورأوا أنه نما لايليق باخلاصهم لذكرى بيل أن ينضموا في الحال إلى أعدائه وهم لار مدون أن يعملوا تحت لواء دزرائيلي وهم خصومه القدماء . وقد اشتدت دهشهم عندما علموا أن ديرى على استعداد لترك الزعامة في مجلس النواب لأحد الأعضاء القدماء من أنصار بيل ، عجبوا أن يصل في إنكار الذات إلى حد لايصدق. فهذا لا يتفق مع شخصيته كما يتصورونه ، لكن ما لبثت الفرصة أن أناحت لهم اختبار إخلاصه ؟ فقد قدم لورد چون رسل استقالته ، ودعى لوردستانلي لقابلة الملكة وقابلته في شيء من القلق لأن البيت الملكي يعتقد بحربة التعامل ، وقال ستانلي للملكة في صراحة ظريفة : إن حزبه لايضم رجالًا من ذوي المواهب إلا القليلين وإنه لابرى الطويق لإيجاد المناصر التي تتألف منها وزارة ، واجتمع مدزرائيلي وسأله : « هل تستطيع أن تجد من غير معونة أنصار پيل ستة أو سبعة من الحافظين في مجلس النواب على تنيء من الذكاء؟ » وكان ستانلي لا يمتقد في ذلك، فقال له دزرائيلي : إنه إذا استطاع الحزب أن يحصل على تأييد جلادستون وأصدقاته بتضحيته هو كزعيم فإنه على استعداد للتضحية ، ثم اقترح بضعة أسهاء أحدهم المستر هنلي مثلاً ، ورفع لورد ستانلي كتفيه ولكنه لم يمترض وهذه طريقته .

في اليوم التالى تحو الظهر قامستاني بزيارة لدرائيلي في جروفترجيت، وصعد إلى الطابق الأول في الشرفة الرواة ووجهه مضى، وصياء فرحتان ، وقد دفع أهداه الساخرة كما يضل عادة وقال : «لقد أثرانا السغينة إلى الماء» ، ثم عاد إلى الجدوقل : «لقد وعدت الملكة أن أحاول تأليف الوزارة» . وسألته إلى من ينوى أن يمهد في إدارة عجلس النواب فسمى لها دزرائيل ، وقاطمته الملكة قائلة : « لست حسنة الظن بمعتر دزائلي ، لم أحب مسلكه نحو سبير دوبرت بيل السكين ، ووفاة سبير دوبرت لا تنقص من هذه العاطفة » ، أجلب لورد ستائلي : 
« سبدنى ! على مستر دزرائلي أن يوطد مركز وأن يقيم شهيرة ، لكنه خطيب كبير ، والرجال الدين عليم أن ينشئو الأنفسهم مركزاً يأتون أعمالا يمكن أن يتجنبها أولئك الدين وجدوا الحياة ممهدة أمامهم ، ولم يستغد أحد من مدرسة البرلان كما استفاد مستر دزرائلي وقد تغيرت نفسته كماية » . فقالت اللكة : « هذا محق لكن أوجو وقد بلغ هذا المركز العظم أن يلبعاً منذ الآن للاعتدال ، وإنى أقبله على ضابتك » . قال ورد ستانلي لدزرائيل الذي تأثر مهذه القصة : « الآن أرجو أن كتب إلى جلادستون كي يأتي لقابلتي » .

فشلت مقابلة جلادستون فشاد كما ، فقد المترط أنسار يبل اللدخول في الوزارة المدول رسمياً عن سياسة الحجابة كنوع من الترضية السريمة ، وهذا ما لا يضاء صنائلي الآبي ، وعلى الرغم من كل ذلك غلل محافطاً على مرحه ودعا اليوم التالي أصدقاء في مجلس اللوردات وأعضاء مجلس النواب الدين عالم عافظاً على مرحه ودعا محاهم دزرائيلي و لكن عند التالي خلف المنائل أخذ بفقد الأعمل، فهذا مستر على الدى المتدعه وقد جلس على كرمى وبداء على عصا غليظة وتقطب حاجم عنى الدى المتدعه وقد وسني تكلموا تبادل لورد ستاغي نظرة مع دزرائيلي وفهم هذا ما يجول في خاطر رئيسه ، فإن هذا ما يجول في خاطر رئيسه ، فإن هذا الرجل الذكم الرقيق لم بعد يحتمل هذا المنظر طويلاً ، وقرر أن يقذف بهم إلى الشيطان . وكان دزرائيلي قد ابتدأ يمكر يونامج واسع ويتخبل ولوية الأن تبتدئ كريرنامج واسع ويتخبل ولو أن دذرائيل المنامرة المهت قبل أن تبتدئ ولو أن دذرائيل خال دورائيل السيد الذي نفذت مقاومته لمينا ويكس أيسب أي مع الرئيس فأى صبر بحاول به تكوين زملائه تدريجياً ، لكنه ليس رئيساً ويحب أن يختشع لأهواء هذا السيد الذي نفذت مقاومته لكنه ليس إليه أمداً .

أشار لورد ستانلي لدزرائيلي بالقيام وأخذه إلى نهاية الغرفة وقال له : - إن الأمور مهذه الحالة لن تكون . فأعابه :

- قد لا تكون الحالة مهجة ولكن لا تستعمل كثيراً.

ماد ستانلي إلى المائدة وقال : إن واجبه أن يرفض تأليف الوزارة لاسها أنه ليس له به أعضاء صالحون في مجلس النواب، وقفز مستر يبرسفورد أحد المراقبين وأكد الدورد ستانلي أنسف في الدي كاراتون عنداً من الرجال ذوى الجدارة ينتظرون أن بدعوا . وسأله ستانلي بنفاذ سبر : « ومن في كاراتين؟ » فقال بيرسفورد: « دبدز » . فأجله ستانلي : « أوه . هذه أسماء لا أستطيع رفها إلى الملكة . حسناً أيها الموردات والسادة . إنى شاكر لكم تفضلكم بالحيشور ، ولكن الأمم انهى » . تفرق الجميع في اضطراب كبير ، وظل هنلي صامتاً مقطاً ، وكان مظهر بيرسفورد كن فقد تروقه على مائدة الميسر وظل يعلن أن ديدز من الطلقة الأدلى بين الرجال .

عند ما أعلن ستاطى فى مجلس اللوردات رفضه تأليف الوزارة أسهب فى المقارة بين عدم وجود البارزين فى حزبه وغنى الجماعة الصغيرة من أنسار بيل فى المواهب ، إنه لن غير السهل دائماً أن يعمل للرء تحت راة لورد ستاظى .

# واجب قاس على مستر جلاد ستون

كا يحدث أحياناً في لعبة الرجبي أن لاعباً ماهراً من خط الدفاع في حاسته ، بالرغم من خيبة الآمال ، يناول الكرة عشرين مهة للاعبين الكسال في خط الهجوم فلا بحاولون الهجوم بها ، كذاك كان دورائلي يسدد السلطة إلى بدى ستافى الهملتين ، كان واجبه الأكبر هو تربية الحزب وأن يخرجه من فكرة الحماة ويسمو به من العاطنة الحزبية إلى العاطنة الوطنية ، ويسلمه السهر على الراحة الدامة وتضامن الإمبراطورية . واقترح بدلاً من الحاية برابحاً جويمًا هو الإصلاح الإمبراطوري البرلمان واشتراك المستعمرات في إدارة الإمبراطورية ليوازن بأصواتها الأصوات الديمقراطية للمدن ، وهكذا يدخل عناصر جديدة وقتمى الناقضات التي لا معنى لها بين المدن والريف وبين السناعة والزراعة ، وفكر لورد ستاني أن هذه « تصورات الحيال » وعاد إلى ملاذه .

لكن قدفت إليه الكرة مهة أخرى وطلبته اللكة فى وندسور ، وقد صار منذ عدة شهور لورد دربى بعد وفاة والده ، وعاد مهة أخرى إلى جروفز جيت وأدخل إلى النوفة الزرة ، ، وفى هذه الرة قال لدزائيل : ستكون وزرا للمالية . فقال دزرائيل : ولكنى لا أعلم شيئاً عن الأمور المالية . فاجاه : إنك تعرف عها بقدار ما كان يعرف كانتج ، وسيمدك الوظفون بالأرقام .

تألفت الوزارة في اليوم ذانه وبلغ من فقر الحزب في الرجال أنه لم يقول الوزارة من قبل غير ثلاثة فقط ، وفي رأى المسكة أن الوزارة مؤلفة من لورد دربي وحده ولما سئل هذا عن أخباره أجلب : « إنى في صة جيدة وأطفالي كفلك » . وطلب دوق ولنجتون إلى أحيدهم أن بذكر له أسماه الوزراء ، ولماكان الدوق مجوزاً جداً ومصابا بالصم والأسماء حيدية عليه ، فقد أخذ يقاطع الشكلم متسائلاً : « من ؟ . من ؟» . واستولت الصحف على هذه الكلمة ، وعمانت هذه الوزارة بوزارة «من ؟من ؟» واعتبر اختيار دزرائيلي كوزير للمالية أكبر سخرية .

لكن ماذا يهمه ؟ فهو كالفتاة الصغيرة في يوم أول مرقص تحضره ، وذكره لندهرست المجوز العظيم بأحديث الشباب عند ما أعرب عن رغباته وهي عندالله المدورة العظيم أحديث الشباب في وحلسها الريفية وقد حوصرت بأهل البلاد يطلبون مها التوصية بهم ، فساعى البريد يريد أن ينقل إلى المدينة وغاطب الآنسة دزرائيلي في صوت خجول مرتمش . وذهب ديرى ليبحث عن الرحاء الخاص بوزير المالية وهو رداء من الحرير الأسود الزركس بالقسب المذهب وقد ورثه رأساعن الوزير «يبت» المظيم، وقال له القاضي الذي استقبله : « ستجده ثقيلًا جداً » وأجاب : « إنى أجده خفيفًا لدرجة لا تصدق » .

\*\*\*

لم تكن البداية سيئة ، فقد وجدت اللكة نفسها تسلية في التقارير التي من واجب زعيم مجلس النواب أن برفعها كل لية عن الجلسة . وقالت : « إن مستر دزرائيلي يكتب تقارع عجمية جداً عائمة تماماً لأسلوبه في كتبه » . واراتح دربي من جاعة المبتدئين ، وكان المجلس في انتظار الانتخابات فإذا انتهت ، وكانت غير ملائمة ، محقق لدى الوزير التس أنه سوف لا يترك طويلاً يتسذوق هذا الدور الذى يجد فيه سروراً كبيراً ، وكان جلادستون براتبه بنرع خاص .

أنحذت الحياة السياسية تدويميا مظهر البارزة بين هذين الرجاين ، وإلت لم يرغب أحد الانتين في ذلك ، وكانا في الظاهر صديقين وزوجتاها بيراوران ، وأحياناً يزور جلادستون مارى آن بعد جلسة محتدمة لمهديها تحجية الساء ، والرجلان من الوجهة النظرة من المحافظين ، وكان جلادستون في حبه للفروق المقبقة التي لا تكاد محدد يقول : « إنه يفسل أن يكون في الجانب الحر من حزب المحافظين على أن يكون في الجيانة يتقاطم ، فلولا دزرائيلي لسار جلادستون طبيعهما تتصادم ومسلكها في الحياة يتقاطم ، فلولا دزرائيلي لسار جلادستون الخلف الطبيبى ليبل ، وهـــذا رأى بيل فقد قال قبل وفاه نرمن ما : «سيكون جلادستون تيسروزار: عافظاً » . وعند ما سثل عن دزرائيلي ، أجاب : « سنسينه ماكما عاما الفند » .

كان كل من الرجلين شديد الحكم على الآخر . يرى جلادستون أن دزرائيلي رجل لا دن له ولا عقيدة سياسية ، ودى دزرائيلي أن جلادستون رجل بدعي الورع ويخني تحت قناع التردد المصطنع سعة حيلته . عاش جلادستون كل حيامه حياة الطفل في مدرسة الأحد ، كان في إيتون يصلي صباحا ومساء ، وفي أكسفورد صار الشبان سنة ١٨٤٠ أقل إقبالا على الخمر لأن جلادستون كان بها في سنة ١٨٣٠ ، وفي البراان صار هو التلب ذ الجمه والمحبوب لدى بيل ؛ وعاش دزرائيلي عيشة التشرد فىالمدرسة وفى السياسة ، وعم،ف مقر المرايين قبل أن يعرف مقر الوزراء والأساقفة . يقول خصوم دزرائيلي إنه ليس رجلا أميناً ، ويقول خصوم جلادستون إنه رجل أمين بأسوأ معنى الكلمة ؛ يقول خصوم دزرائسلي إنه ليس مسيحيًا ، ويقول خصوم جلادستون إنه ربما كان مسيحيا متمسكا ، ولكنه بلاشك وثني كربه . تعلم دزرائيلي الفراءة في موليير وفي ڤولتير ، ويرى جلادستون أن رَنوف مهزلة من الطبقة الثالثة . وقد تم دزرائيلي السمتر إلى مستر برايت المحوز ، وهو يساعده على ارتداء معطفه : «مع كل يامستر برايت يحن الاتنان نعرف جيداً ما الذي أني بنا إلى هنا ، المطامع» . ويطمأن جلادستون نفسه ، وهو غير شاعر،: « مع كل لا أعتقد أنى أستطيع أن أنهم نفسي بأتى عمدت إلى العمل سعيا وراء المطامع». يقال عن جلادستون إه يستطيع أن يقنع الآخرين بأشياء كثيرة ويقتع نفسه بأى شيٌّ . أما دزرائيلي فيعرف كيفُ بقنع الآخرين وليس له أي سلطان على نفسه . يحب جلادستون أن يختار مبدأ نظريا ومنه يتبين استنتاجاته ، وفيه ميل للاعتقاد بأن رغباته هي رغبات القوى الأعلى ، وليس يلام على إخفاء الورقة الرامحة دائمًا في كم قميصه ، وإنما يلام على زعمه بأن الله هو الذي وضعها هناك ؛ أما دزرائيلي فيعقت المبادي النظرية ويحب

بعض الآراء لأنها ترضى خياله ، ثم يترك العمل يتولى تحقيقها ، وعند ما يُمنيِّر وزرائيل من رأمه ، كما فعل في مسألة الحامة ، يسرف ويظهر بخطهر التقلب ؛ أما جلاوستون فيستندفي ثبائه إلى تنف من القشق وهويستقد أمها قضبان من الخشب. وقد تأكد وزرائيل من أن جلادستون لم يكن قديسا ، لكن جلادستون لم يتأكد لديه أن وزرائيل ليس هو الشيطان .

أخطأ كل منهما في شأن الآخر فصدق جلادستون ما فاه به دزرائيلي من الآراء المستمرة على سبيل التحدي ، ورأى دزرائيلي الخداع في جميع العبارات التي يخدع بها جلادستون نفسه عن حسن نية ؟ كان دزرائيلي وهو من أرباب النظريات يفخر بأنه ممن يقتنصون الفرص ، وجلادستون وهو ممن يقتنصون الفرص يفخر بأنه من أرباب النظريات ؛ يظهر دزرائبــلى احتقاره للمنطق ولكنه منطق ، بينما يعتقد جلادستون أنه يستند إلى المنطق دأمًا مع أنه لا يسبر إلا وراء عواطفه ؛ حافظ جلادستون وهو واسع الثروة على نفقاته اليومية بيما دزرائيلي بديونه الكبيرة يصرف النقود بلا حساب ؛ محب الاثنـــان دانتي ، لكن دزرائيلي يقرأ على الأخص «الجحم» ويقرأ جلادستون «النعم» ؛ ودزرائيلي على شهرته بالطيش صموت أمام الناس ، وجلادستون على شهرته الرزانة ساحر في أحاديثه حتى تجنب خصومه مقابلته كي يستمروا في كراهيته ؛ لا مهم جلادستون إلا لشيئين الدين والأمور الــالية ، ويهم دزرائيلي لآلاف الأشياء ومنها الدين والأمور المالية ؛ لا يعتقد أحدها في صدق عقيدة الآخر ، وهما في ذلك محطئان أيضا ، وأخيراً كان دزرائيلي يندهش لو علم أن . سدر جلادستون وزوجته إذا ما وجدا من الأسباب ما يبعث الفرح الكثير في نفسيهما وقفا أمام الموقد متخاصرين ورقصا وهما يغنيان :

زوجة غره وزوج مرح نقطع السعر بصدر منشرح وقف المتنافسان الواحد بعد الآخر في يوم مظام جداً من أيام ديسمبر سنة الممادا لمنافشة المغالبية ، وكأن قوتين غارفتين الطبيعية تتمارضان ، وكأن جلادستون بجانب وجهه المنتظم وعينه اللامنتين كالحجر الكريم ورأسه ذى الشعودالسوداء ألقيت إلى الوراء أن حزرائيلي الشعوداله القيدة وكان فزرائيلي فى خصائله اللامنة وجسمه اللنحق قليلا وبديه الطويلتين النحر كنين ، هو روح النار . ما تكلل حتى ظهر من البين أن دزرائيلي أكثرهما نبوغا ؛ لكن جلادستون انخذ ننمة التفوق الأخلاق الذى يوضى الجلس أكثر من عبارات الأول

لم بهاجم معزانية قط فى البرلمان كما هوجمت مترانية دزرائيل . وقد قبض نمن هجانه على بيل ، ظل خصومه مدة أسبوع جهزأون به ليلة بعد ليلة بناقضونه ويسخرون منه . وقد شرح جميع الاقتصاديين البارزين واحداً بعد الآخر جهله وجنونه ، وكلهم أمدوا فى سخرية تركد لبدة الحاية .

جلس لايتحرك ، أشبك ذراعيه وركبتيه وأطبق عينيه نصف إطبان وأسدل
على وجهه الممتقع تناها من السكون ، رعا أخذ يفكر في عبارات السخرية الني
قفف بها بير في الماضي حين قال : « لا نسمع الآن كلاماً كثيراً عن سادة الريف »
فله يقال الآن : « لا نسمع الآن كثيراً عن الحابة الشهورة » ، وكا له لا يصني
ولا يشمر ، فما تكلم في النهام حتى بين من العنمة الشهورة » ، في مكانه أن سهام النقد
قد أصابته ، فرض على نشمه نشمة هادئة مستمرة ، لكنه من وقت إلى آخر
تصدر منه عبارات النهكم في ممارة قدل على شديد الألم ، كانت بداة كلامه :
« إنى لم أولد وزيراً المالية ، لكنتي أنتمي إلى طنمة البراان » ، وبين عجب
من دوسو لا ينتظر من زهيم حزب المحافظين . استمرت الماسنة عنيفة طول معنة
خطبته الطوية ، وكان خطف البرقائق مير ومن مجالا عد الذي أعل علم هناسها لماذا
الشخص الشيطاني كم رآء خصومه ، فإذا بهن جلاستون بدا الارتباح وهدأت
الماسمة ، وكان لمباراته المترنة الأخلاقية وتع اديد في النفوس وفي اعتمال اللهجة
شمور بالراحة .

إن في الميزانية الإنجليزية شعراً دقيقاً ربما جعلها أعسر الفنون على سبئي الحظ

من أمثال دزرائيلي الذين لم يربوا منذ الطنولة في أحضان وستعنستر، فق قوانينها السجية الصلبة ما يجعل لولودة درهم واحد على السكر نفا متنافراً عنيفاً ، وتسمالك أستان عدماء الساميين وهم ينظون في يشتقة في إلى قائد الأركستره الجديد ، بينها والود درهم على الجبة دعا خاق لآذاتهم أله توافق في النفات ، والضرائب على الحجيرة الموقعة الموقعة مشتباً سعباً ورصيتاً ، لا شك أن المرزة تهدى أولئك الذين ولدوا لكونوا وزراء للمالية . وحكن جلادستون في مهولة ، وهو أستاذ طبيعي في ذلك الذي السامى والمنظيم ، من أن يضمح أخطاء المالية ... وتحكن جلادستون في الله للتدين .

أسنى دزرانيلى ودراناه ستتبكتان داعًا وعيناه متعبتان جداً ، كان ينظر من وقت إلى آخر نحوساعة الحائط ! وجلس دربى فى إحدى الشرفات ينتظر السوت الذى يقرر مصبر الوزارة وهو يصنى باهمام إلى جلادستون بضع دقائق ، ثم وضم رأسه بين ذراعيه وهو يقول بيساطة « هَمَـل » .

قى الساعة الرابعة صباحا سقطت الوزارة بثلاثمائة وخسة أصوات أمام مائتين ووسئة ونمانين صبونا ، كان مروره فى السلطة قصيراً . ولا ثبىء يصور حقاً رقة دزرائيل فى وداعه ، فلم يظهر عليه أى حزن ، لكنه سأل الصفح من المجلس على الحرارة غير المادية فى خطبته ، وهناه لورد جون على الشجاعة التى المشل بها ، وأسلمات الستار . وفى المساء قيد جلادستون فى مذكراته أن الله يعلم أسفه على أنه كان الآله المختارة لإسقاط دزرائيلي فإن ذلك الرجل ذو مواهب كبيرة ، «وأرد» الله كثيراً أن يستعملها فى الخيرة .

. فَي وزارة الأحراد التي تألفت بعدلة قطع جلادستون أخيرًا السلة بينه وبين ماضيه ، واشترك فيها مع بعض أنسار بيل، وكانت هذه الوزارة بارزة حتى أنها لقبت على سبيل معارضة « من ؟ . من ؟ . » وزارة « جميع الكفايات »

#### ظــــلال

خسونسنة ... سنة بعد الخمين... خس وخسونسنة ... أخذ الزمن يجعد قديات هذا الوجه ، واستد غضنان من جانبي الأنف وانسلا بطرفي النم ، وسار الجليد تحت الدينين أكثر سواداً ، وتعدا الشغة السفلي كثيراً ، وقد الرتقم السن في هذا البدوي الدي اتخذوطناً آخواً كثر ممايؤرفي الأنجليزي في اللون الرائق ، صارت الفتيات اللاقي لم يعرفنه زمن السداري الزركتة والسلاسل الفحيية وجدائل الشعر يجدنه فيبحاً ، لكن ماري آن لم تكن من هذا الرأى ، قال لها أحدهم : « إن مستر دزرائيلي تكلم في فساحة كبيرة بالجلس في هذا الساء وكان منظر ، و انقاً في تلك اللحظة » .

سارالرجل أكثر صمتا نماكان، ولم بره أحد من الناس في لندن وهوبيدسم غير اثنين ، وظل محتفظا بميله للمخاطرة، لكن همل يكسب أبداً ؟ بدأ يشك فقد ألقي مائة مرمة خطباً قبل له عنها إنها أجل ماسمع في البرلان، وهاجم عشر مرات فيها المقاعد القابلة له ، فإ ما أن يهرب اثرعم عند المقبة الأخيرة ، وإما أن تسقط الوزارة التي تألفت بعد بيشمة شهود . ثم فرضت حرب القرم نوعا مرف الاتحاد المقدس مدة طويلة ، لم يرتق الخوق الذي وجد على أثر انشقاق أنسار ييل ، وظل الحزب ضيفةً .

درس ، بوب من منها ، فعندما يُسأل الآن الدؤال القديم : « لماذا قد صار لورد دربي صديقاً ، فعندما يُسال الآن الدؤال القديم : « الماذا لا يثق أحد في مستم دزرائيلي ؟ » ، يجيب : « أنا أثن فيه » ، لكن اللورد دربي تقلت عليه وطاة النقرس ولا يجبّ عند اشتداد الرض أن يخاطب في أمور الدولة ، فإذا ذهب دزرائيلي ليحادثه في شأن الإسلاح الانتخابي قرأ له ترجمة قصيدة فرنسية ليلفوا عن سقوط أوراق الشجر :

هــذه النابات في صفرتها مثل حظي في خريف العمر

إن لورد دري مرباح لهذين الشطوين ف رأى « ديزى العزيز » وقد كان شاعهاً من قبل ؟ يتبهد « ديزى العزيز » ويتسلح بالشجاعة . وهذا الاستسلام المؤلم قبل أو الشغاف يسلى هذا النبيل السجوز ، فاذا يهمه من الوزارة ؟ لاشى ، يحول دون أن يكون الكونت الرابع عشر من آل دونى ، وتجد ذكر أولهم في شكسبير ، والثانى عشر هو الذى أسس سباق الدونى . وعندما دخل عليه ابنه ستائل بعد رفضه السلطة قال له : « مرسى باستائلى ، أقد ريح سميدة جاست بك ؟ هل قطح ديزى عنق نفسه أو أنك عزمت على الوواج ؟ » ، لكن إذا ما افترح أحدام إدن بستائلى في مجلس النواب غضب دوبي قدلك ، فالقائد ليس أقل اخلاماً من مساعد .

وجدت جماعة عدائية اعتبرت القائد ومساعده مسئولين عن ورطة المحافظان الطويلة ، وأخذ بعض هؤلاء التاثرين يلقبوسها «الهودى والسابق» . أخد درزائيل يشعر أنه متعب فهويهم أنه بذل كل مجمود ، وكان وفياً ، وقد وهب سيانه لحزبه ، وهل هو من دوى المطامع ؟ نم لقد كان ذلك ، وهو لازال يعتقد أن حب المجد هو الذي يدفع الرجال إلى الأعمال العظيمة ، وهل هو مستهتر ؟ بلاشك لكن أبة روح خيالية قوية مختنق وراء هذا الاستهتار ، لقد أخسع الطمع والاستهتار في أكثر من فرصة للإخلاص ، وكتب لجلادستون نفسه رسالة نبية بدعوه فيها إلى الائتلاف وهي خطوة خطرة ، لأنها تبد النافس الرحيد له إلى الحزب ، لكن جلادستون رد رداً بارداً ، ووجد أسبا؛ خلقية يبرر بها انفساله عن المحافظين ، ولا يلبث بلا ربب أن يصير دئيساً لوزارة من الأحواد ، ومع خلك بعتقد الناس أن جلادستون قديس وأن دزرائيل مارد . كان ديزى يستغد أنه مكره ، جداً لدى المجاهبر أكثر من الحقيقة ، وقد جرح في طفولته

فبق حساساً ، وكتب إلى لادىدورودثى نيفيل يقول: « آه . عزبزنى دورودثى ! إنهم لا يكرهون سياستى ، وإنما يكرهون شخصى » .

اختق أسدة أهداة والقدماء فاتت لادى بلسنجنون في باديس سنة ١٨٥١ ، حيث اضطرت المرب من لندن مع دورسيه ، بعد أن بددت آخر فلس في بدها ، واستطاعت قبل مومها أن ترسل كلة مهنته الزعم الجديد الذي كانت تعطف عليه ، ثم صار رجيلا عظيا ، ولم يعنى دورسيه بعدها طويلا ، وما في رقدمها الأخيرة مما في شامبورسي على مقرية من مانت محت هرم واحد من الجوائيت . ومات معدما عيث الطرف المستهر الذي اغذه نموذجا لكونجسي ، والذي اخترع العلم المستهر أياناً من الشعر معناها :

 ۵ ما الحياة ؟ إنها لنصال صغير ، لا قائدة فيه من الانتصارات ، فأولئك الدين ينتصرون لا يكسبون شيئاً ولا ربح للكاسبين ٤ .

كبراً ما ردد ديرى قوله : ﴿ ما الحياة ؟ » ثم مات الدوق أخبراً ، وهو الرجل الحديدى الذي خيل الناس أنه غلا ، فاصطفت الجنود في جنازه حتى سان ول ، وارتفع ألف صوت بالمشيد من عيدل ، وإذا ما قلب المنتون السخحات سمع لها سوت كا نه الربل ، وأتى دزرائلي خطبة ، وأخطأ في نقلها السخحات سمع لها سوت كا نه الربل ، وأتى دزرائلي خطبة ، وأخطأ في نقلها الثالثة والخاتين من عمر ، ، وقد ققد بصره ولكن المقل بق سلما كماده ، ولما كان لا يستطيع القراءة فقد حفظ قصائد الشعراء الدين يضافهم ، وكتاب السلوات ، وكانت حقيدته السغيرة التي لا تتجاوز عمان سنوات تطلب أن تعبد السلوات ، وكانت خوف من روزينا الجنوفة التي نقيمه بكرامية لا معني لها ، وحبل الماؤدة والراحة .

لا نزال كارلين نورنون جميلة ، وكتل الشــعر التي تحوط جبينها ذات لون

أسود بنفسجي جيل ، لكنها صارت نحية ؟ ولادي سيمور ملكة الجال فيا
مضى صار لها ولد في الثلاثين من عمره ، وتضطر إذا قامت من المائدة إلى طلب
المساعدة من جارها . وكان موت سارة الأسية في سنة ١٩٥٨ خسارة كيبوء ، فل
المساعدة من جارها . وكان موت سارة الأسية في سنة ١٩٥٩ خسارة كيبوء ، فل
قبل له دار المائلة مليجاً السلامة وحم كن الحنان . صارت ماري آن الآن زوجها
وأما وأخنا ، وهي تقوم جهنده الأدوار أحسن قيام ، وهي دائما تنهم زوجها
ولا تضايقه قط ، وتستقد أنه أنيخ رجال العالم في سائر الأزمان ، وتحتفظ في عناية
العامة وتقبلها في خضوع ، وهي لا ترال تقوه بعبارات نجير لائقة ، في وندسور
قال لأميرة من المائلة المالكة : « لكن رجما با عربرتي أنك لا تعلين قيمة
الزوج الحب» ، وتشجع جورج سميث الجريء الخين ذات وم وسأل دزرائيلي عما
إذا كان لا يحتجل من أحلوي زوجته فاجب : « لا ! إني لا أخجل منها قط » .
إذا كان لا يحتجل من أحلوي زوجته فاجب : « لا ! إني لا أخجل منها قط » .
فقال له الآخر : « ولكنك يا ديزي لابد أن تكون ذا صفات خارقة المادة » ،
فقال لا تخر « إنها اعتقدت بي حين احتمرني الناس » فكان يكتب لها كل سنة
وذ كرى زواجهها فصيدة فسيرة .

نام فى حياتهما شخص عجب، نقد أخذ دزرائيلي يسلم منذ مدة رسائل الإعباب من سيدة عجولة لدى مح مستر بريج ولميز تقعل بتوركيه، وهي تقول إنها منه مسيحية من أسل بهودى، وسال أصدقاه ٥ هل تعرفون عجوزا مستوهة فى توركيه؟ » ، فى ذات يوم طلبت إليه مسر بريج ولمجز أس يتولى تنفيه وصيبا ، وأن يقبل جزءاً هاما من الوسية ، فذهب ليراها ومعه مارى آن ، فوجد سيدة فى الخامسة والسبعين من عمرها صفحة الجنة ، مستحكة ظريفة . سار الروجان والسيدة المجوز أصدقاء ، فهوجندن ترسل إلى توركيه أزهار البندسيم ، وحلت الرسالة اليومية إلى مستر وترسل توركيه أزهار الورد إلى هوجندن ، وحلت الرسالة اليومية إلى مستر برمج ولمجزء على رسالته إلى سازة ، فهو يقول لها : « إن أكبر ما فرحت ه

هذه السنة الورود التي جاءت منك ، فقد عاشت في غريقي وفوق منصدقي أكتر من أسبوع ، وأعتقد أنى لم أر وروداً مثلها جية في شبكها ، بديمة في لوسها ، زكية في رائحها ، . . . إنى أعتقد حقا أن ورودك لابد أن تكون جاءت من بلاد كشمير . . . من أبن جثت « بلفومار » البحرى الذي وصل هذا الصباح لأجل النذاء ؟ هل هو من مذاور أمفتر بون ؟ فلقد كان جيدا ، وإن في طمعه حلاوة الحيط لا مله حجد . . . »

زيفت صداقاته مع نساء أخريات حياته الكثيبة ، فمهن لادى لند ندى ، ولادى دورودقى نغيل : « عزيرتى دورودقى ، كان الشلبك الدى أرساته جيدا ولدنداً مشك ، وقد وسل فى وقت مناسب فى لحظة كنت فيها متعبا وعموماً » ، وهو بذكر حفلة راقسة إذ راهما فيها لأول مهة وسال : « أرجوك من هذه الفتاة التى كأنها خرجت من صورة من عهد جورج الثانى؟ » ، فانساء عندند كن على كثير من الظرف والمقل ! والآن فى سنة ١٩٨٠ لبس الفتيات من مطمع إلا أن يُسْظَنَ أَنهن غادات الكيليا ، فينزهن فى تياب قسيرة إلى الركبة ليظهرن أرجلهن الجيلة ، ويدعون الرجال مرم وجون أو ديك ، ويناقشن الشباب فى آخر الفضائم التي اخترت لدى « هوايت » .

تغير اللوك كذلك ، فلويس فيليب الحكيم الذى كان يرسل إلى دردائيلي في وهو التوبيل فق التوبيل في التاميز . جلست مارى آن على عين المبلون كان في الماضي ينزهه في قاربه على التاميز . جلست مارى آن على عين المبلون النوم نذكره بقشله عندأن ، وكيف أنه يتولى دائماً أشياء لا يحسن عملها ، ونحك الامبراطورة: ﴿ إن ذلك خبر وصف له ﴾ . وقد محقق حب دين لكتاب أنف ليلة وليلة ، وصاف ما عائمًا أوسافه في باريس في عهد الامبراطورة الله المبراطورة مثلها الذي يشبه عنق البيمراطورة الله المبراطورة عقداً من الرمهر واللس مما يوجد مثله في مغادر البيمبراطورة الله يشبه عنق مناور

علاء الدين » . فلل مخلصاً فى حبه لفرندا ، وكثيراً ما كان يوسل للإمبراطور نصائح رشيدة على يدرسل سريين ، لكن للأسف كثيراً ما تهمل هذه النصائح. صارت الملكة الصنيرة ، التى حجب ديزى فى الماضى صديقه لندهرست إليها، ملكة كبيرة وقوية ، بدأت ندريجيا تألف وزرائيلي وتعامله هو وامرأته معاملة حسنة ، ومات البرنس ألبرت فى السنة السابقة .

مما جعل دزرائيلي يفكر بأنه لم يضع حيانه عبثا إعجاب الشيان به ؟ فإن في تصورات سياسته شيئا بجنبهم . واتسل به سكر تير شاب متحسس هو مونتاجو كورى وأظهر له إخلاساً مؤثراً ، وسار ستانلي ابن دربى تلميذاً له . وهو تلميذ كثير الحذر لكنه يعترف بالجيل ، وكان دزرائيلي يقول له : « إنكم يا مشراً لل دربى ينقسكم الخيال » . وفي ذات يوم عرض البونابيون العرش على ستانلي في يحمُهم عن ملك ، ورفض ستانلي الذي لم يرقه هذا العرض . آء لو أن عرش البونان عرض على دزي .

قى سنة ١٨٥٣ ذهب إلى أكسفورد لكى جدى لقب الدكتوراء الفخرة ، ولم يسل هنالك من غير قلق ؛ فهو يعلم أن الطالبة يجبون الدخوبة ، وأمهم قابلوا بعض الدغلة أصياناً بالصغير ، لكن لم يقابل أحد بعد الدوق ولتجنون بمثل تلك المحاسة ، سار بمتقع اللون هادئاً نحو مدير الجاسة بينا المدرج بين بالتصفيق ، وسأل المدير باللاتينية : « أترحبون به أيها السادة؟ » ، مساح الطلبة : « بأ كبر الزضاء ؛ رضاء عظم » حينفذ ظهرت معالم الحلياة قلبلا على هذا الوجه الساست وبحث بنظارته ذات الدين الواحدة عن شرقة السيدات فإذا اكتشف مارى آن أرسل لما يبدء قبلة لا تكاد ترى .

\* \*

ستون سنة . . . إحدى وستون . . . السنون تمر قصيرة أم طويلة وتسير نظم أدوار الجلسات التي وضعها البشر وفاة انتظام النصول الإلهي، وهو بلا شك لن يكون أبدًا رئيسًا للوزارة ؛ سوف بعمل مرة أو مرتين تحت رياسة دربي تم بأنى دورستانلى ؟ فالعائلات الكبيرة لها استيازامها وهو ما مدعو للأسف ، فهو قواق إلى السلطة ، لكن يجب ألا يترك المقسل يفكر كثيراً فها ليس له ، وما وصل إليه ليس حقىراً إذا نظراً إلى وضاعة الابتساء . كان في تلك الألام يشكل بالمثل اللاتيبى : « لا يصعب شئ " على الشجمان » ، وهو مثل يسلح الأطفال فكل شئ "مسب» ، وقد انخذ أخيراً مثلاً آخر : « لا تفسر قط ولا تشكو قط » إذ يجس اجتباب الكلات الني لا فائدة فها .

ماتت مسر بريدج ولمحر نارة ثلاثين ألفا من الجنبهات لصديقها الكهلين متعكن بالبلغ من سداد جزء من الديون، ولم يعد الباق تشيلا بفضل رجل متواضع وكريم هو أندرو مو تتاجو أحد كبار أسحاب الأملاك بيور كنير ؟ فقد اشترى الإعجاب بدرائيل جمعالديون من الرايين وهي نحو مه ألفا من الجنبهات، وفرض عليها فائدة متمادلة هي ثلاثة في المساقد أوصت السيدة المجوز بأن تدفين في مدافن هو المستبدة المجوز بأن تدفين في درائيل في القريب الماجل ، فهو لم يكن قط فوى البنة وأمضى حباة مشنية ، وقد بذهب وقد سارت الحديقة مكانا ساحراً ، فإن مارى آن أن الاكتبية وأمضى حباة مشنية أواني بيضاء من فلورانس غربس في إحداها الأقوان الأجر، وفي التي تلهاذهم، أفريق أزرق ، وأعد البيت إلى حالت في زمن حكم آل ستيوات، وفي الحديثة أفريق أزرق ، وأعد البيت إلى حالت في زمن حكم آل ستيوات، وفي الحديثة المنظمة حيث تمائيل للآلمات نحرس عاشى الحديثة بيسور المرء فيماناً يتذهون مع عشيقاتهم ؛ وفيا عدا بسف الولوات من الأصداء كانت حياتهما وحيدة ، وتسير على وتبرة ، ويأتي بوم الأحد فينهر اللمان إلى الكتبية من نظامها وحيدة ، المناس ويتاتي بوم الأحد فينهر اللمان إلى الكتبية من نظامها المنها من المناسة مكانا المنطقة من الله المناس الله المناس المناسة من الله من المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس ويتراني و الأحد فينهر اللهاب إلى الكتبية من نظامها المناس ا

يملم وزرائيلي وهو جالس في مقعداً ل هوجندن وينظر النس المحترم «كياب» في قافراً أنها والسلاة إلى الرجل القوى الدى قد يعين الأساقفة في دم ما ، وهو يتلو المؤرسة المرابع المرابع وعائى وليرتفع صوتى إليك . . لأن أبلى ارتفعت كالديان ، وعظاى وشعدت وصرت مثل القراب الذي يعين في وحدة . . وصرت مثل البومة التي تاوى إلى البيوت . . لقد سهرت وكنت كالسعفود الذي يقت

وحيداً فوق السطوح ، كالت خصوى يؤنبوننى ، وأوثنك الدين تتدحوننى يأتمرون بي . نعبت أباي كالخيال ، وصرت جلمة كالشجرة ، لكنك أيها الرب تبقى خالهاً ، وذكرى اسمك تتند إلى جميع الأجناس » .

يمود ماشيًا على قدميـــه إلى جانب العربة الصغيرة التي تركبها ماري آن ،

وبيه هى تسوق مهرها إذا مها تحصس وهى تشعر إلى أعمالها ومى تشكل . وما أ أقدر مارى أن على السكلام ! قد وضت فى البحيدة السندية بجدين جيلتين أطاق عليهما ديرى اسم هيرو و ليامد نه وهى لا تفهم جيداً لماذا اختار هذين الامهين ، ومى فى تحويلها الحديقة قد شابقت البوم الذى يسكن فى شجر الساهد القديم ، لكن ديرى قال إن البوم طائر منبرةا ، واحتى به اعتناء دينياً ؛ وفى المساء يأتى البوم فيقرع النوافذ بمنقاره للقوس وعلى عيوه المستديرة فى القائلام .

# فى أعلى العمود المنزلق

۵ كيف نعتبر عصرنا زمنا نفسياً ؟ إنه عصر ملي بالحوادث الروائية التي لا تنتهي عصر ملي بالموادث الروائية التي لا تنتهي عالمورض كا مجدل أولي كالمحالم بدوأقوى مخلوات الدالم رجالا والمساء لم يكونوا منذ بعنم سنوات إلا منامرين ومناسرين ومناس

#### دزرائيل

وسمت عبة بنس فى سنة ١٨٥٩ صورة أسد يحاول كل من برايت ووزرائيلى ورسمت عبة بنس فى سنة ١٨٥٩ صورة أسد يحاول كل من هذه ورسل أن وقفله بأن يخزه بقضبان من المديد الحمد ، وكتب على كل من هذه التضييات كلما الإصلاح ، وهذه السورة رمن حجبع، فند الإصلاح الناقس فى سنة المحمد الما المحمد المحدود من الناخيين حاولت الأحراب الواحد بعد الآخر أن محمل الأحد البريطاني على الاهمام بخطوة جديدة ، لكن الأحد الذي أكل كثيراً استعرفى نووم ، وكانت القبرة البرلمانية طبئة باشباح أن تمطى حق الانتخاب لكل الخوب يعنى إيجاراً أكر من عشرة جنبات ، في تصبح المارسة من الأحراد أن عنا المقول لحقوق الإنسان ، ويقترة أحيانا بهلان غاليته من الأحراد أن عنص حق الانتخاب لن يدفع سبمة جنبات ، فيؤكد دري بلسان نبيد درواليل أن عن الكبرين يستغيد بالناخيين المدد ، لكن جلادستون تكلم حاقاً على أولك في ذلك تسليم إعازا المرواء ، والأحرى في علادستون تكلم حاقاً على أولك الدين يستديرون الإحصادات الانتخابية على هذا النحو ، ويتبدون قوى الشب الذين يعدور وي الدن عليه هذه الدين يعدور وي المدون قوى الشعور المعدور الإحصادات الانتخابية على هذا الناس و ويتبدون قوى الشعب كل يغدورت بيون من النزاة ، وقال : «إن الناس الدين تعلن عليه هذه مدهد المعدور المعدور الموساء المعارف عليه هذه المعارف تعلى أولك كل يعدور المعارف عليه هذه المعارف تعلن عليه المعارف عليه هذه المعارف المعارف المعارف عليه هذه المعارف المعارف المعارف عليه هذه المعارف المعارف المعارف المعارف المعارف عليه هذه المعارف المعارف المعارف المعارف المعارف عليه هذه المعارف المعارف المعارف المعارف المعارف المعارف عليه المعارف المع

الملاحظات هم إخواننا وهم مثلنا مسيحيون، هم لحتنا ودمنا ». فسأله عندندا أحد الحافظين لمسافل المجاد ؟ ورأى بعض الحافظين لمسافل المجاد ؟ ورأى بعض الأحراد أيضاً أن مثل هسفه السبارات العاطفية لا توانق دوقهم فانسجوا من الحزب وسماهم برايت « المدليين » لأن « الملك داود عندما النجأ إلى مغاور عدلام اجتمع صوله جميع الدين كانت عليهم ديون أو كافوا غير رامنين » ، حينتذ تمكن اجتمع صوله بحيم الدين وجلادستون وذرائيلي ، وممه المتحسد، وبعد أن قبل اللورد دربي بد المسكمة تولى الحكم مع دزرائيلي ، وممه أخرى تولت هذه الوزارة الحكم مستندة إلى أقلية ، وبإرادة تحالف أدت إليه السعمة ، وظهر في هذه الرة أيضا أن وزارتهما مستكون قصيرة الأجلى .

مند بداية حكم دربي استيقظ الأسد البريطاني فجأة لأمر، غير معروف وهو

و غضب، وكر حواجز قفسه ممثلة في القضيان الحميلة جادبارك ، وتجمست الجاهير مدة كور حواجز قفسه ممثلة في القضيان الحميلة جادبارك ، وتجمست الجاهير مدة الجنود ، ويكي وذير الداخلية جزعا ، وراقيت مارى أن المتظاهمين من نافذة يتام أو وجدت أن مظهر مهدل على أنهم يتامون فصارت تعلق علهم ؟ وطلبت المسكنة دوي إلى فصر بلمورال ، وقائد له إن هذه المسألة ظلت حتى الآن محل يوما ما ، وإنه يجب أن تحل يوما ما ، وإنه مجب أن تحل يوما ما ، وإنه مجب أن تحل يوما ما ، وإنه من الحير أن مد المسلة وزارة من الحما تنظين ، وعلى حين فجأة رأى دزرائيل فوسة لودا ما .

فهو في أعمان نفسه كان دائماً من أنسار النوسع في حق الانتخاب الذيل فيكون لسكل بيد سوت مهما كان إيجاره مع تقييدات مناسبة في الزمن والإقامة، فهذا على الأقل مبدأ تمكن المدافقة عنه ، ويتمشى مع مبادئ المحافظين ، فقد تستطيع أن تقول إن أرباب الدور لهم سالح داعا في سعادة البلاد ، بيما أن تلاك الحدود المصطنعة التي تقف عند عشرة جنبهات أو خمسة جنبهات أو ستة جنبهات هى سخيفة ولا يمكن الدفاع علما . ثم إن الحزب الذى يمنح حق الانتخاب لهؤلاء الناخبين الجدد يكون له بعض الغرسة في ضمهم إليه لاسها أن الأحرار يفقدون أهم جزء من برنامجهم بجد تأييداً من الرأى السام . حقيقة إن الفرسة جدرة بالحاولة ، لكن عل الحزب يقبل ذلك ؟

أظهر الحزب ذكاء مدهماً ، لم يكن لدى الحافظين من سبب للدفاع عن نظام الناخين في سنة ١٨٣٢ الذي وضعه خصومهم وحرمهم من السلطة تلائين سنة ، وقد بهرمهم فكرة احتجاز خير ورقة في برئاج الأحرار ، وبالرغم من بعض المدارسين قبل السواد الأعظم مهم مشروع الحملة ، وشعروا أنهم في فجر التصار عظيم ، ووأى الكتيرون من الأحرار ، وقد أخذوا على غيرة ، أنه إذا كان المحافظون يسيون على سياسة ألاحرار فلا يسمعم إلا أن يؤمدهم بأسوامهم ، رأى جلاوستون نضعه أما أندطر منكر ، وكان المدك الحكم الوحيد له هو أن يظهر انتساده لكنه حتى أشد الحنق إذ رأى روح الشر يمعل عمل الملاكفة ، فيجر بسنف جبيب على خصمه الشيطاني ، وعني هذا بالخيار عمل عمل الملاكفة ، فيجر بسنف جبيب على خصمه الشيطاني ، وعني هذا بالخيار عمل عمل الملاكفة ، فيجر بسنف بجبيب على خصمه الشيطاني على جلارستون فكان يقول : و إن السيد الحترم كلى في فبحة يجب أن أقول إنها قلما تستمعل هنا ، ايس ذلك لأن الحق أية أهية على الحرارة التي يظهرها ، لكن حقا بأن مساحكم أحياناً يلغ درجة من الحية ، وإشاراته بنت على القانى حجة بدني أشعر بارتياح عند ما المذكر أن أعضاء الأحزاب التدارضة في هدندا المجلس الجالسين إلى جابي هذه المنصد تفسلهما على هذه القطمة من الأماث الكبرة السابة » .

عندما أخذت الأسوات تغلبت الوزارة بأحد وعشرين سونا ، وتحكن دزرائيلي في هذا البرلسان المادى من أن يسير بالتانون بعد أن حاولت حكومات الأحراد منذ تلاتين سنة مبناً أن تحصل على الموافقة عليه ، وهو نصر بملكي عظيم شعر به جلادستون ، فقيد في مذكراته : « هجريمة لامثيل لها » ، واشتد به السخط الداك . وكند أحد اللاسطان يقول : « لقد قابل جلادستون عند الإنطار، ويظهر أه قد ختع لمهارة ديرى الشيطانية ». أما دربي فكان سروره عظيا ، واعترف بأن همند الخطوات إن هي إلا تفزة في عالم مجمول ، لكنه أضاف إلى ذلك قوله ، وهو يفرك بديه : « ألا ترى أثنا نضع الأحوار في مازق عجيب ».

بعد أخد الأصوات كان تصنفيق الحافظين لديرى شديداً وطويلا ، وأراد الجيم أن يصافحوه ، وعند خروجه من وستمنستر اجتمع الكثيرون مهم في نادى كاراتون ، وأرادوا أن يقيموا في الحال مأدية عشاء ، دخل درزائيلي في طريق عوده إلى نادى كاراتون ، وقويل مهرة أخرى بتصغيق شديد لا نهاية له ، وطلب أصدقاؤه إليه أن يتمنى معهم ، لكنه يعلم أن مارى أن تغنظره ، وأنها أيضاً أعدت عشاء ، ولم برد أن يخيب أسلها . وفي اليوم التالى روت في حاسة من المنطوعة لما يقال عاد والمالية على وزباجة من الشعبانيا ، فأكل نصف الفطرة وشرب الشعبانيا كلها وقال لية « وعربة في السابلة . وهم عنداد في السابلة ، والسبين من عمرها .

\* \* \*

غير هذا النجاح كثيراً من موقف دؤرائيلي في البرلان ؛ فهزعة جلادستون لم يكن فيها ما يؤم مشل هزئة بيل ، وهي تبدث على التسلية وفيها ما مذهبين ، عان زعيه الأحزاب ، ومن أكبر من عربهم مجلس النواب أوادا في فقرة عشرين سنة أن يقاتلا ريزى فسرعهما ، وهذا الرجل الذي كثيراً ما تكلم عن الأسرار الأسيوة ، ألم يكن رجلا من رجال الأسرار ؟ فاذا رغب ، وما هي مهاميه ؟ عندما كان يسفي بوجهه المقتلع الذي لا يتغير إلى لمنات جلاستون ، ماذا كان يمور بخله ؟ لقدد تكون شخص جديد في نظر الرأى المام ، ونشرت بحة بنفن الثانية سورة : « إسرائيل في انتساره » وهي مسورة ألمالم من الحجر له وجه دين ، وقد سحب إلى معبد الإسلاح بجمهور

من المبيد العارين عن الثياب منهم جلادستون بيمًا دربي بحثهم بالسوط.

لم يكن أحد من الذين يقابلونه عندئذ يتخلص من أثر هذا الزيم المرك من القوة والسحر فالوجه قد اكتسب صمت الصخور ، وصار الفرق بينه وبين الدين يحوطونه عميقاً . كتب أحد مماصره يقول : «قد يكون أقرب إلى خيلتي أني جالس إلى هاملت أو لير أو المهودي التائه » ، وأضاف إلى ذلك « يقول الكثيرون : أي ممثل هذا الرجل ! . ومع ذلك فإن الأثر الأخير الذي يتركه نمو الاخلاص الكامل ، يعتبره بعض الناس أجنبياً ، ويقولون ما شأن إمجلزا لده وما شأنه لدى أنجلترا ، وهم في هذا مخطئون ، قد يكون الأحرار والمستقلون والمحافظون لدبه سواء في الواقع ، لكن قوة فنيزيا تلك الجمهورية ذات الإسبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس صورة خيالية تجذه ، أو أكون مخطئًا كثيرًا ، وإنجلترا هي أرض إسرائيل كا يتخيلها ، وسيكون رئيس الوزارة الإمبراطوري قبل وفأنه اذا سنحت له الفرصة ٥ .

كانت الفرصة قريبة على غير ما ينتظر فقد زادت هجات النقرس على درتى وأصبيح من النادرأن يقوم بأعمال مركزه حتى بدأ برى من واجبه اعترال الأعمال ، أَلَّ عليه دزرائيلي في البقاء متعهداً بالقيام بالعمل الحقيق بيما يحتفظ دربي باللقب، لكن دربي أخبره أنه سيكتب للملكة معلنًا استقالته ، وأنه يأمل أن جلالها تطلب إلى دزرائيلي أن يحل محله ، وأنه سيظل في عزلته يناصر دزرائيلي ويؤمده بكل ما لاسمه من سلطة . قال له : « لا أستطيع أن أبلنك هذا الأمم دون أن أعترف بفضل مساعدتك الودة والخلصة في هذه المدة الطويلة وأشكرك علمًا ﴾ . ومما زاد في قدر دزرائيلي أنه رجا رئيسه في البقاء ، وهو عالم أن اللكمة تدعوه إذا استقال دربي وقد صارحته اللـكة بذلك .

ف يوم استقالة زعيمه مهائيًا جاءه رسول مدعوه لمسابلة اللكة في أزيورن ، (11)

لم يفت الساحر الذي يعتقد بعض الشي في سحره ملاحظة أن هـذا الرسول وهو الجنرال جراى لم يكن إلا الكولوئيل جراى خصمه الألكن والسميد في ويكومب عند أول حمـلة انتخابية له ، وجامة أول رسالة مهنئة من لورد دربي : « لقد بانت أعلى درج في السلم السياسي بإ خلاصك وجدارتك ، وأرجو أن تتمكن من البقاء في هذا الركز طويلا»

فى اليوم التالى قابلته اللكة فى ازبورن وعلمها علام السرور ، ومدت إليه 
يدها وقالت : « عليك أن تقبل هـنه اليد » ؛ فركع على إحدى ركبتيه و فى 
إعان عميق قبل هـنه اليد اليضة وهو سعيد حقاً ، كانت الشمس فى الخارج 
ساطمة لاسمة ، وعلى كل ظلمياة جدرة بأن يعيشها الره ، ومن أوائل أعشاه 
البرلمان الذين قابلوه جيمس كلاى الذى شايقه فى مالطة زمن الشباب لهارته فى 
البلياد وقال له كلاى: « والآن با وزرائيلى عندما سافرنا أنا وأنت مما منذ أربيين 
سنة من كان يظن بانك ستصر رئيساً لهزارة ؛ » .

فأجلب : «هذا حقيق يا كلاى ، وكما نقول فى الشرق (الله أكبر) ، وهو الآن أكبر من أى وقت آخر » .

قوبل عند تعينه على العدوم مقابلة حسنة ، وقال حتى خصومه : ﴿ إِنَّه التصار السمل والشجاعة والصبر، » . وعند ما دخل لأول مرة بجلس النواب كرئيس وذارة غست طرقات الجلس بالسادة الذين جاموا للترحيب به ، واضطر حجون ستبوارت ميل الذي كان يتكلم إلى أن يوقف خطبته بعنم دقائق .

بعد شهر من ذلك التاريخ ألهت مارى آن زوجة رئيس الوزارة حفلة استقبال كبيرة فى قامات وزارة الحارجية إذ سمح بها لورد ستانلى فى ذلك المساء ، كان الجو مكفهراً وهبت على لندن عاصفة من المطر والريح ، ومع ذلك حضر الحفلة أكثر الناس وجميع المحافظين وبسفى الأحرار ومسهم سيلادستون وزوجته والكثيرون من الأصدةاء ، وقاد ديرى ، وهو فى أوج بجده ، الأميرة زوجة ولى المهد حول الأهمية . يينا ظهرت على مسر ديزى وهي ترتكن إلى دراع الأمير علائم الكهولة والمرض ؟ فعي منذ شهر تعرف أنها مصابة بالسرطان ، لكنها لم ترد أن تخير زوجها ، فهذا المزيج من المجد والاضمحلال أضاف لوناً تأعا إلى حفلة الانتصار ، وقد سار هذان الكهلان مجبويين بهد نشال طويل ، وقبلهما الناس ، وليس هماك غرفة استقبال في لندن لا يقال فها « مارى آن» فقط عند الكلام على زوجة رئيس الوزراء ، كان دزرائيلي نفسه يعرف مقدار الهلوائية السجيمة الني تصوده ، وقال للذين مهنشوه : « إنني تسلقت حتى قمة هذا المامود المنزلق » ، وقال له سديقه سير فيليب روز : « لو أن أختك كانت حية واستطاعت أن ترى هذا الانتصار كم تكون إذن سعيدة ؛ » قفال : « مسكينة سارة ؛ سروز ؛ نفر لقد خسريا جمهورة » .



# القسم الثالث

أمسن إلى عصف الرياح وامتلاءا لجوبتطابر ورقالأشحار نعمنا بأيام الصيف في المساء والآن حل الحريف

تهايل أشجار الزان العظيمة ونخلع أثوابها كالغطاس فلنقنع بملازمة النسار ولنهجر ذكرى البحار

همرت ولف

حيث تجرى سفن الشباب

تقتنى أثر الرياح أمامهم مغاممات الحيساة

لايتخلف غــــير العجوز



## الملكة

تم اختيار وزير جديد للمالية ، وكتب رئيس الرزارة في هذا الشأن للملكة : « يويد مستر وزرائيلي أن يلاحظ لجلائك أن النظر الخارجي للمستر واردهنت يسترى النظر ، لكنه ليس بالنظر الكريه ، فطوله أكثر من مستة أقدام ، غير أنه يظهر أقل طولا لأن شخاصته متناسبة ، فهو مثل كنيسة القديس بطرس بروما لايستطيع المره في أول الأمن تقدير ضخامها ، على أن فيه حكمة الذيل كا له نصيب من شكله » ، وهي نفمة عجيبة في خفها في الكتابة إلى ملكة ، لكنها كانت تسر لها كثيراً .

أغضب دزرائيلي في مجرى حيانه رجالا كثيرين ، على أنه وجد في النساء تساعاً ممه فكراهيته للجدل الديلق وأربه الزائد ، وميله الخفي إلى الاستهتار مما تم عليه عبارانه الزخرونة محمداً – كل هذا فيه ما يجذب النساء – وهن يوتفان فيه ماهو وتواضع المخطوة اليست هي الحلي الجنسى ، وإنما هي نوع من الحنان فيه ممو وتواضع وأخوة حلوة وغلمضة ، فهو يحب عنادهن وجهلهن ويساطهن ، وكانت احمأة – ممسز وستن – هي التي وجدت المرأ الشيفان جراى ، ونساء – آل شريدان ، ثم لادى كورك ، ثم لادى لندندرى – هن اللاتي فرضته على الهيئة الاجامية ، شهد وكل منه من شعب ذكريانه وجد أحدهذه الوجوء محنو ساهرة على متاجه وآلامه . وقد نظر بعين الخبير إلى هذه الأرملة ذات المركز الساى في قبمها من قباش التول الأبيض وهى في أعلى سبل الشرف فشعر بالارتباح إلها ، وهذا شعود الدة .

كانت الملكة تميش منذوفاة زوجها المحبوب في وحدة العظمة ، وقد ندرت بأن تخدم جميع رغبات البرت وعاداته ، تنتقل وهي في أثواب الحداد من قصر إلى نصر، فن وندسور إلى أوزبورن، ومن أوزبورن إلى بلورال ، شكا الجمهور من عزالها ، وسارت تتألم إذ تشعر بآلها ليست عبوبة ، فلا أحد يفهمها ولا أحد كان يفهم البرت الذى تألم الذك أيضاً ، لا أحد يفهمهما غير مستر دورائيلي وأدهشها هذا الأمرالأمها تذكر عدم تقمها به هى وزوجها أيام سقوط سير روبرت المسكين ، قال البرت فى تلك الأيام : إن دورائيلي هذا ليس فيه ذرة من عنصر الرجل النبيل . ومع ذلك وجد الأمير فى الأيام الأخيرة من حياته فى شىء من الرجل النبيل . ومع ذلك وجد الأمير فى الأيام الأخيرة من حياته فى شىء من التردد الذفى الحديث أحيانا مع زحم المدارضة ، ووجده مثقفاً وأكثر علما بناريخ إنجازا من أى رجل من رجال السياسة ، واعترف بأن موقفه نحو المرش

لكن ظهرت نفسية مستر دراائيلي بنوع خاص عند وفاة البرت ، فل يكتب أحد في مجلس النواب عن أحد في مجلس النواب عن الأدبر بأحسن مما قاله ، سارت الملكة تستقد أنه الشخص الوحيد الذي قدر الأمير حق قدو ، فكافأته بأن أهدت إليه خطب البرت مجلتة بجلد مما كشى أبيض ، وكتبت إليه : « إن الملكة لا تستطيع أن تقاوم الرغبة في التمبير شخصيا للمستر دزرائيلي عن شكرها العمين لإطرائه ذكرى زوجها العظيم والمبود والمحبوب . قرأت كلامه فذرفت عيناها بالدسوع ، لكن مثل هذا الملكم العسائب على أخلاقه الماهمة كان له تأثير حسن على قلها المتكسر » .

إنن كان شبح البرت راسياً ، لكن بين الملكة والوزر روابط أخرى أكثر من مجرد الله كرى ، فإنه على اختلاف عقليهما فى الظاهر كان بيهما بشابه جمين ، فلاتنان ينظران فى غر سانج إلى للإمبراطورة الشرقية المظلمة الني يحكمها من جزرة شهائية تلك المرأة الصنيرة المبدنة القوية الاردامة وذلك الوزر للمكم منسخكة ، والمكتبر من تصرفات وذرائيل متصنمة ، لكن فى الائتين شيخاعة وعلمة ، وهى تتفوق عن طريقة للنة المليث أكثر مما تتفوقها عن طريق آخر ، وقد وضعها وهو قرير الدين على رأس الوك الفخم لمذه الحياة ، كان إنا كالها في أمر البلاد التي محكمها نشعر بالقوة والسؤود ، وعاد للأعمال السامة ما كان لها من مهجة زمن البرت مع هذا الوزير الذي يصف جلسات مجلس الوزراء وكاثم يصف مناظر رواية ، والذي يجد السياسة الديه قسة مناصرات شخصية نكاد تكون عاطفية . كان دزرائيلي يعلم أن رسائله تسليما ، فوجد لذة في كتابة رسائل إليها ناقدة وبديعة فهل هي تفهمها دائماً ؟ إنها تفهم أكثر كثيراً بما تفان بطانها ، وهي مجد لذة في أن تترك الساحر يقوم بحيله الناجحة ، ثم تمود بقوة إدراكها للمحقائق فتقوده بيد البتة إلى طريق العمل المرغوب .

ولو الخيار رئيس الوزارة في أن يزور ولى العهد ارائند كى جهدى "اضطرابها ولو قليلا وأنه يكتب للملكة : ﴿ إن مستر دزرائيلي يستأذن في القول بأنه في مدى قرين لم تتجاوز إقامة ملوك إنجلترا أحد وعشرين موماً في أرض ارائنده ويستطيع سموه الملكي أن مذهب إليها الصيد . وهذا نما يجمع بين الواجب العام والرائفة ، وهذا الجمح خليق بالأحمياء » . وافقت الملكة ﴿ على أن يكون من المفهوم » أن تتحمل الحكومة فنقات هـذه الزيارات اللكية إذ هي تفرضها على الملكة ، فليست ارائده بالبلد الذي يختار لن ينشد الصحة أو الراحة » .

وكتيراً ما كان الرزر بدافع عن نفسه ، فإذا ماسئل عن سر بجاحه مع اللكة أجلب : « إنى لا أرفض أبداً ولا أعترض أبداً وأندى أحيانا » ، وفي هذه البيارة تضعية من أجل تعلقه بالبيارات الماكورة ، فهو كثيراً ما يعترض . عندما مات رئيس أسافية كنتربى وأضرت الملكة على تعيين « تيت » أسقف لندن بدله أبدى دزرائيل اعتراضات جدية ، وكتب يقول : « مما يلاحظ على أسقف لندن بارنم من عبوسه في الظاهر أن في تكويته الدائي كمة عجية من التحص، وهي صفة لإيجب أن تكون في رئيس أسافقة كنتربى ولا في رئيس وزارة إنجازا ... » ، أصرت الملكة فهي تعرف جداً أن الأسقف « تيت » خال من أي وع من أرابا الجاهرة المجاورة المحاورة المجاورة فى ذات يوم تسلت مارى آن من وندسور صندوقا يحتوى أذهاراً جددة من ورود الربيم ، ومعهارسالة من الأميرة كريستيان : «عهدت إلى والدتى بأن أمسل إليك همـنه الزهور باسمها لمستر دزوائيل ، فقد سمعته ذات يوم يقول : إنه يمب كثيراً شهر مايو وجميع زهور الربيح الجيلة ، لذلك أقدمت على إرسال هذه أميرهور إليه كي زدان بها غرفته » ، وأجابت مارى آن بعبارة من الجلى أن ديزى أميرها عليها : «قت بأسعد الواجبات عندما أطمت أمن جلالة الملكمة ومستر دزرائيلي مفرم بالأزهار ، لقد زادت بهجة هذه الأزهار ودائحها بفضل هذه البد المتناذلة التي نثرت عليه جميع خزان الربيع » .

قدم الوزر إلى اللكة جميع و واباه ، وأحمدت اللكة إلى الوزر مؤلفها عن « ذكريات حياتنا في اسكوتلند » ، وكثيراً ما قال لها رئيس الوزارة بمدذك : « كن الؤلفون يسيدتي » ، فيبتسم ذلك النم السنير التكبر ، وفى كل أسبوع تصل ورود الربيع من وندسور ، ويسل البنتسج من أوزبورك إلى « جروفتر جيت » في السنادين ، وقد وضعت الحشائل حول الزمور ، وسارت الراسلات الرسمية مزيما عميماً من الشعر الربق والسياسة الواقعية .

\*\*\*

كان في إنجلترا رجل واحد في الأقل يرى ف سمو مم كر دزرائيلي ، وتوثن الملاقة بين المرش وبين هذا الدجل الديرى فنسيحة لا تحتمل ، هذا الرجل هو جلاستون . وقد نشرت مجلة بنن في ٢٤ مارس سنة ١٩٦٨ رسا يمثل غربة الملابس في مسرح ، وأمام المرآة وقف مستر ديزى وهو ممثل كوميدى هزيل في تياب هاملت يكرر في رسا : «يكون . . . أو لا يكون . . . هذه هي المسألة ؛ إلم إنه وفي آخر النوفة وقف مستر جلادستون الممثل التراجيدى في تياب عادية ينظر إليه في حسد واحتقار ويقول : «الدور الأول له . . . وهو لا يننظ إلا للأدوار التانوية ، إن المدير لجنون . . . لكن سيأتي الوقت » .

كانت هذه العاطفة أكثر تعقيداً من مجرد غيرة بين ممثلين فإن جلادستوں

يمنيل بلا شك بجاح ستانلي مثلا في امتثال وتواسم ، لكن الشهوات كالألحلة 
تقمص أشخاصاً كي تعرب والطمع لكي يغربه انحذ شكل الكراهية التأخة على 
الفضية، فقد همرين سنة بينا هو يرتفع بين غمنية الإعجاب وسط أمثاله المختربين 
رأى شكلا عمائيًا وعجبياً يرتفع أمامه ، ولم يكد بجد عيره في النطقة العالية التي 
تكاد تكون مهجورة والتي ونفته مواهية إليها ، فانحذه بالرغم منهمقياساً لنجاحه ، 
واعتقد أن الجميع بفوقوفه إذا فاقه دزرائيل ، « وأن أشد الألفاز التي مسادف 
الملك داود و بعث في نفسه الألم رخاء الأشرار . . . . فأن يقبض كاتب القسم 
المنارغة عن فيفيان جراى وكو تنجسي على السولجان مثل الكاتب الذي كتب 
أشدياء جيلة عن السيح ، وأن يصل الرجل ذو العبارات اللاذعة والمباقة 
والشكرة قبل الرجل الذي لم يرتكب قط كنابة عبارة لاذعة ، والذي يئرم الجد 
راغا و يفسل الموت على أن يعترف بأنه يمتك ذرة من الذكاء أكثر من خادمه ، 
أيس هذا كافياً لأن يؤدي بالرجل الشريف إلى تمزيق معطفه وحلق شعره ، ثم 
يملس بلا عزياه في الراماد ! » .

الكن جلاستون لم يكن الرجل الذي يجلس في الرماد ؛ فهو قد يشد في الرماد ؛ فهو قد يشد في الواقع : « إلى من تقر كي أمها الرب ؟ إلى من رفع عدوى فوق ؟ و إلا أنه بشيف كا فعل الملك واود : « أنى عيني كى لا أنم أبدا نومة الموت خشية أن يقول عدوى لقد تنابت عليه » ، لم يستطح كان حقده حتى أنه على غير المادات البرائية حلول في الأسبوع الأول من حكومة دزرائيل أن يشارك مها ، وكان دزرائيل بأيمامه الأسلاح الانتخابي قد نزع من حزب الأحواد أحدة أحلحته ، كن لحسن الحداد أحلحته ، المنابك لحمل المؤدرات المنابك على الوردات الكنيسة والثاج والحييس والتربية ، وكانت جلادستون بفضل إصلاح النظام الشعمى على ترك دزرائيل ينتم في سلام بثروة غير جدير بها ، لكنه المصوره الدقيق جداً عا يشغل الأذهان من وجهة السياسة اختار مسألة الكنيسة لا سيال الكنيسة الإراشدية ؛ في لا شك فيه أنه ما يشارض مع حرة الدين أن يشاطر الكنيسة الإراشدية ؛ في لا شك فيه أنه ما يشارض مع حرة الدين أن يشاطر

كاثوليك إرلنده إلى إعانة الكنيسة البروتستانتية الجكومية ، وكانت إرلندة عندلة في اضطراب شدمد ، فالجرائم والاعتداءات ترتكب بالمثات ، ومن غير الستطاع معاقبة الذنبين لأن الجزيرة بأجمها مشتركة معهم ، وصار جلادستون يؤكد أنَّه لو فصلت الكنيسة عن الدولة ، ولم تعد الكنيسة البروتستانتية هي المترف يها رسماً فإن ذلك يقضى على أحد أسباب الاستياء، وربما كان هذا السبب أخطرها وفهم دزرائيلي أن منافسه قرر أن تكون المسألة الدينية هي محور الانتخابات. لم يكن دزرائيلي في رأى من آرائه أكثر ثباتًا منه في هذه المسألة . هل كان من ذوى الإيمان الديني ؟ قد لايتعمق ، مثل جلادستون ، في الجدل الديني بحماسة وكان يرى أن فيضالت من التفكير الديني تطنى في فترات منتظمة على المقول ، وأن هذه العواصف قليلة الأهمية ، لأن البياء في أنحسارها تسمح برؤية السفينة الثابتة على قمـة الجبل ، وهذه السفينة هي الوحي السامي والمسيحي أي التوراة متممة بالأناجيل، وهي أيضاً حاسة الشمور بالأسرار، ويمتقد دزراثيلي بمجامع قلبه أن العالم إلهي ، وبرى أن الوجود (لا سبا وجوده هو نفسه) معجزة وهو يتضايق من علوم الحياة التي رفع عَلمَـها في ذلك الوقت كل من هكسلي ودارون ؟ فعي تحاول أن بجمل من المجزة مجرد تعادل بسيط ، وهو يجهل هذه العلوم ويحتقرها بنسبة جمله ، وقد دافع عن الكنيسة أمام اللحدين منــذ بضع سنوات في ا كسفورد في خطبة شهيرة، وقال : « سادتي . . إن الإنسان ولد ليعتقد ، وإذا لم تتقدم إليه أية كنيسة لتقوده بما لليها من مستندات الحقائق معتمدة على تقاليد المصور القدسة، وإيمان أجهال لاحصر لها فإنه يخلق مذابح ومعبودات في قلبه وفى خياله . . بقولون لنا إن اكتشافات العلم لا تنفق الآن مع تعاليم الكنيسة والسالة هي : هل الإنسان قرد أم مَسَك ؟ . إني باسادتي في صفَّ الملائكة » ضج المدرج بالضحك. . . هل بستر دزرائيلي حقا في صف اللائكة ؟ . كان الناس في إنجلترا بأجمها لا يَمَالكون أنفسهم من الضحك ، ولم يفت مجلة ﴿ بنش﴾ هذه الفرصة الجميلة فرسمت ديرى في صورة القرد ، وهو في ثباب بيضاء ، وله حباحان كبران . على أن دزرائيلي كان جاراً حقيقة في قوله ، فهو يعتقد أن الإنسان ليس مجرراً له علماته ، وأنه فضلاً عن المادة الخاضمة التفاعلات الطبيسية والكبائية فيه عنصر غتلف قد يسمى الروح والإلمام والنبوغ ، وهو عنصر ملائكي كله . أما عن الحقيقة الحرفية لهذا الدين أو ذاك ؛ فن المرجح أنه لم يكن يفكر فيها ، لكن لهم ذلك في هذا الوضوع آزاء بتمسك بها .

أولما : أنه من الضرورى لسلام المقول والدول أن تثبت العقيدة ؛ فهو لا يتن أنه ثفة عا يسعى الدين الأخلاق أو دين الجال الفنى ، ويقول : ﴿ إِن كُلّ دين قام على الجال الفنى يتعمى إلى البنك » ، وقال يوما في سخرة المسيد ستاظى من أصحاب فكرة الكنيسة الواسمة أى نفسير النصوص الدينية تفسيراً حراً : ﴿ إِنَّا لَم يَكِنَ هَناكَ مَدْهَبَ فَلِينَ هَناكَ عَمِيدٍ بالسيدى المسيد » ، وقد أنجب منذ السبا الأول بثبات كنيسة روما ، وفها عدا روما ، كان يجد في كنيسة أنجاترا الشهار الوحيد للسلامة الروحة في البلاد .

وفكرته الثانية: ضرورة وجود رابطة بين الحكومة والدين ، ومن هذه الجهة كانت الحالة في إنجلترا موققة جداً ؛ فالمك هو رئيس الكنيسة ، وهو الذي يمين بنفسه رؤساءها ، فالكنيسة بدلا من ألت تكون دولة داخل الدولة «أمبروم إن أمبرو» فإنها تزيد سلطة الدولة ، وهي علاقة لا يجب قطمها ، وقد يكون فصل كنيسة أرائده أجراء عادلا ، ولكن دزرائيل برى أنها المطوة الأولى في طريق خطر وفيها قلب الاستور ، لذلك استعد لأن يحوض النصال الانتخال على الأولى أمامه على أنه الناضل التتخال على الأدنسة على أنه الناضل التنقض عن الكنيسة .

## حــداد

بلغ مستر جلادستون الستين على أن نشاطه الحيوى العجيب بالرغم من ذلك ما زال يتطلب منه أعمال الجباءة ، فهو في انتظار نتيجة الانتخابات في الريف في هاواردن يقطع أحيانًا ثلاثة وثلاثين ميلا في يومه ، ثم يعود في المساء متعطشا إلى عمل محمود آخر ، وهو في أغلب أيامه يشتغل بقطع الأشجار وتلك لذنه المحبوبة ، فهو ينزل ضربانه على تلك الجذور كما لو كانت مساوى \* قدعة . في أول ديسمبر سنة ١٨٦٨ ، كان في قميصه وقد رفع فأس الحطاب عند ما جاءته رسالة ترقية من الملكة تعلن زيارة جنرال جراى . فقال جلادستون لرفيق. : ﴿ إِن لِذَلْكُ مَعْنِي كبيراً» واستأنف عمله ، وبعد بضع دقائق سكنت ضربات الفأس وقال في لهجة حدية عميقة : « إن رسالتي هي تهدُّنه أرلندة » وكتب في مذكرته : « يظهر أن العلى الأعلى يؤمدني وبحفظني لحكمة عظيمة أرى أنني غير أهل لها ، المجد لاسمه ». هكذا شعر بأنه لن يغلب وهو مؤيد بالعناية الالمَّية ، ومعضد في مجلس النواب بأغلبية عظيمة وشاعر، بجسد كجسد الرياضي ، وعقل من الحدمد ، وستسقط تحت قرعات فأسه التشريعية بعض أشجار البلوط من أقدمها عهداً في الغافة ، لكن الهواء والضوء سوف ينفذان في حربة إلى النبانات الصغيرة في الأرجاء . وكتب في مذكراته : « هواردن في ١٣ يناتر أعددت مشروع إجراءاتي عن الكنيسة ف أرلندة — وعملت في ترجمة هوميروس حتى الليل » ، وأحياناً يسجل أنه كان مضطربًا في يومه كالبحر ، ينما دزرائيلي وهو مصاب بداء الفاصل وضيق التنفس يتدفأ في حرارة الشمس على شرفة هوجندن وينظر إلى الطيور والأزهار ويفكر في رواية جديدة .

عند ما علم بنتيجة الانتخابات وبهزيمته فكر أولا في اعتزال الحياة السياسية

ويسمح له العرف عندئذ بأن يلتمس الإنعام عليه بلتب من ألقاب الشرق ، ويجد في مجلس اللوردات عممالة شريفة ، لكن بسد تعكير لم يستحصن أن يترك حزبه وهو مغلوب وبهجر مركز النشال في مجلس النواب ، ولما أبعث اللكة بق مكافاته على خدماته طلب أن ترفع مارى آن إلى مرتبة الأشراف ، وأن ينظل هو مستر دزرائيلي ، وتفضلت اللكة بإقرار هدفا الافتراح فاختار لزوجته امم بكوتسفيلا وهو اسم بلدة سغيرة في با كنجها شير ، وبعم دزرائيلي أن ييرك المنظم لو أنه عاش طويلا لود أن يسبر لورد بكوتسفيلا ، وهو نفسه خلق لورداً بهذا الاسم في دواية فيفيان جراى وهو يجب داعًا أن يقل رواياته إلى الحيدة ،

أولتك الذين عقدوا الآمال بين أصدة و دزرائيل ، على أن بروا هجبات عنيفة على حكومة الأحرار أخطأوا التدور ، فقد غلوا أن وصول النافس إلى منصة الحكم سيدفع رغيمهم إلى صفاعة عبوداله ، لكنه لم يكن في أطوار حياته أكثر هدوراً وأكثر كملا وصناً ، فكانت خطبته عن الكتيبة في أراندة ، أكثر هدوراً وأكثر كملا وصناً ، فكانت خطبته عن الكتيبة في أراندة ، ومي خطبة فارفة سطحيح قد ثل هو جونية كولوميين كلما من النار والشرائط ، وتسامل حزب أفاعلنيان مرة أخرى وهو مندهن إلى أن بريد أن يدير هذا الرجو وهو سر من الأسرار ، فعل يكتبه ندوق السلطة الديامية و وهل بترك جنود في الميدان ؟ لكن من خلف تناعه الجزئ الدى لا يخترق ، كان عقله الينظ يسهر ويتسلى ، هل يناضل همنه الأغلبية وهي جديدة . هل يناضل جلاستون نقال الحيوان النفيم من حيوانات التنال ، وأنقه لا بزال يقذف بالدغل غيسم ويتسلى ، أنه يعرف همنه الأغلبيات والمهن يطاني الدنان المجواد الذي فيصدر التناب عليه أمهل عن ذى تبل ؛ هل لجلاستون قوات ؟ فيستمسلها إذن اليحواد بهدئة أرائدة استممات ما هو أحد وأضل ، واخترل فأسه على أمور اللال والترية والجيس ، فسيأتي وقت القارمة له

والانفضاض من حوله والسيوف الكلية ، حينئذ تكون اللحظة لقلب الصنم الذي بهترعلى قاعدته ، فالصبر الصبر إلى ذلك الحين ! لمندهش الناس من هدوئنا ، في ذلك وجه للمقارنة المفيدة لنا بجانب هذا الاضطراب .

كان التأثير التمثيلي لمثل هــذا النوع من المعارضة كبيراً حتى كأنَّ البطاين نفسهما يسران له ، وكانت الرواية التثيلية البرلانية تذهب أحياناً إلى حدالهازل قنى ذات وم وقف جلادستون وهو على مقمد الوزراء وقفة جدرة بالاعجاب، وهو برعد بالقول وأنهال على منافسه بنموت تزداد شدة ، وأمام كل نعت يمني دزرائيلي رأسه ثم يحنها ، وبعد أن وصلت ذقت إلى صدره أخذ ظهر ، ينحني ، وكأنه تحطم فعلا تحت الضربات الهائلة لصوت جلادستون ، وأخيراً انتهى هذا من خطبته بصرية عظيمة من قبضت على المنضدة الكبيرة التي تفصل بيهما، فطارت الأوراق والأقلام وتبعثرت، ثم جلس وتساءل المجلس لحظة وهو صامت لا يتحرك عما إذا كان ديزي سيستطيع أن يرفع رأسه ، وأخيراً رأوا هذا الجسد النحنى تعود إليه الحياة في هدوء، وتحرك الرأس أولا ثم الجسم ، وأخيراً وقف دزرائيلي وقال في صوت لا يكاد يسمع : ﴿ إِنَّ السَّيْدِ الْحَدَّرُمُ تَكُلُّمُ فَي كَثْيْرُ مَنْ الحاسة ، وكثير من الفصاحة ، وكثير من العنف (وهنا فترة سكوت . . فترة طويلة) ، لكن الضرر عكن إصلاحه » وأحنى جسده بصعوبة وجمع الأشياء التي تناثرت على أثر عنف جلادستون الواحدة بعــد الأخرى وأعادها بنظام إلى أماكنها المتادة فوق المائدة القدسة ، ونظر في رضا إلى النظام الذي أعاده ، ثم أُخذ بعد ذلك برد بصونه الجميل ، وقد لاقت هذه القطمة من التمثيل الرمزى ما تستحق من نجاح.

لكن مثل هذه الناظر كانت ادرة ، فقد كان من البين أن دزراتيل لا مريد فى ذلك الوقت قلب جلادستون ، وظلت عبارانه الأثورة فى حدود المجاملة . وفى ذلت مرة وقف جلادستون فى منتصف عبدارانه فتداخل برقة قائلا : « أثريد كلتك الأخيرة . . إنها الثورة » . وسألته إحدى بنات منافسه فى حفلة عشاء عن رأيه في وزير أحنى فأجلب : ﴿ إِنَّهُ أَخْطُرُ رَجِلُ فَيْ أُورُوا ﴿ فَمَا عَدَاى ﴾ \_ في رأى أبيك ، وفيا عدا أبيك في رأي ... ﴾ .

كان عقله طلبقاً حتى إنه انتقل مرة أخرى من العمل إلى التأليف الأدبى ، وأخذ بعمل فى رواية « لوثير » .

ولوثير هو نبيل الجلزى صغير وارث لثروة دنراليلية أى ليس لها حد، تتقام عقله ثلاث قوات ممثلة فى ثلاث نساء، وهى كنيسة روما والثورة الدولية والتقاليد البريطانية . ومن الطبيعي أن تتغلب لادى كوريساند الدافعة عن كنيسة الجلترا ، وكان الموضوع خطراً ، وتحقيق الذكرة موفقاً ، وقد صور شخصيات من قساوسة روما والثوريين والسياسيين الانجليز با تقان مدهش ، ونجح الكتاب نجاحاً باهم/ جداً ، ولم يحدث من قبل أن باعت الكتبات البريطانية روابة رئيس وزارة سابق ، فلم يعدد للمجالس حديث غير روابة لوثير ، وأطلقت أسماه لوثير وكوريساند على الجياد والقواوب والأطفال والروائح ، ووصل الجنون بلوثير إلى أمريكا ، ولم يبق معادياً غير البرلان ، فقد شعر حزب المحافظين بالحجل إذ يرى أن زعيمه روائى وذو مواهب .

اشتدت وطأة المرض في هدف الأتتاء على مارى آن ، فقد أصيت منذ سنة ١٨٢٦ بسرطان في المدة ، وهي تعرف ذلك وتحاول إخفاء مرمضها عن ديرى ، وهو يعتقد أنها تجهل هذا المرض فيتكام عن هذا المرض باستخفاف ، وين من عجاعة تعيش منصلة بالحياة الإجابية . وفي سنة ١٨٧٦ رأى التولى أنحال سنفارة فرنسا الشاب في إحدى الؤيرات غلوقا مجيماً مزيناً كأنه صم هندى حتى لقد ظنه مهراجا مجوزا ، وهي مارى آن وخلفها ديرى وهو متمب حزن ، تدلت على جبينة المارى على الشعر آخر خصلة خضبت بالسواد وجدت فوق الجبين ، وحملت مارى آن على صدوها أطاراً مستدراً فيه صورة زوجها ، وكام عمل عمل المورة زوجها ، وكام عمل وطاً أو وساماً ، وهي عنداذ في الخانين من مجرها ، وهو كان هما وهو وكان المحدود فوق الجين ،

في الثامنة والستين ، وكان منظر الزوجين مضحكا ومؤلمًا .

سار من الصعب عليهما أن يمنى الواحد منهما الآخر ، وأحياناً بمرض الاتنان فيتراسلان من غرفة إلى غرفة ، يكتب مستر ديزى : « إلى مستلق على ظهرى فسفرة لكتابيق بقلم الرساص ، إنك أرسلت لى ألد وأرق رسالة جاءتنى فى حياتى ، وإنك لتفوقين هوراس والبول ومدام دى سفنيه ، صار جروفترجيت مستشفى ، لكن للمتشفى ممك خير من قصر مع أخرى . زوجك د. » .

كانت تقول لأصدقائها : « بغضل هذه الطبية لم تك حياتى إلا فسلا طويلا من السعادة » ، وهو يقول : « لقد ترويتها منذ ثلاثين سنة ، ولم أشعر قط بملل » صارت مارى آن عاجزة تقريباً عن تناول أى طعام ، وفي ذات مساء بينا هى عند بعض الأصدقاء أخذتها نوبة ألم شديد ، حتى إنها لم تتمكن من إخفائه ، وعدلت بعد ذلك عن الخروج ، واضطر زوجها بعد ذلك إلى تركها أحياناً ، لكنه لا يفعل مهما كان غياه قصيراً من غير أن يكتب لها رسائل عديدة .

من دنزی إلى مسر دنزی :

« ليس لدى ما أقوله لك غير أنى أحبك ، وهو قول أخشى أن بحده عاديًا بعض الشيء » .

من مسر ديري إلى ديري :

« أعز الناس لدى . إنى أشمر كثيراً بيمدك وإنى مدينة لك على رقتك وطملتك الدائمتين » .

حيث إنها لم تعد محتمل السفر ، فقد أمضيا الصيف مماً في اندن يخرجان في عربة وزوران الأحياء غير المروفة السهما وبحاولان أن ينسيا أن الحديقة المتدة أمام وافذها اسمها هابد . ثم انتفات الها من سبى ، إلى أسوأ ، فظات أن هو جندن قد تفيدها ، على أنه لم يق سبيل لملاجها ورفضت معدتها أي غذاه ، وبالرغم من أنها كانت تموت فعلا من الجوع فإنها ظلت تدعو بعض الأسدقاء بطبية خاطر وتنزم ممهم في عربة سفيرة يجرها جواد شئيل هرم ، ويجبرد أن تترك النرفة يتكلم دزرائيلي عن آلام زوجته ، ورى زائروه مذا الرجه الذى عربفوه لا يتنبر وقد مبتت به الدواطف ، ولما صار من البين أنها ان تقوم من عليها أرسل برقية إلى مو تناجو كورى بدعوه فيها للعصفور ، إذ شعر بأنه لا يستطيع وحده اخيال السدمة . وماتت في 10 ديسمبر سنة ١٩٨٧ ووجد بين أورافها الرسالة التالية : « زوجى العزز ديزى : إذا ترك هذه الحياة قبلك فر بأن بدغن في قبر واحد ، والآن ليماركك الله أيها الزوج الطيب القلب العزز ، كنت لي زوجا كلملا ، وداعاً يا ديزى العزز . لا تعنى وحدك أيها العزز ، فإني أرجو من مارى آن بي أن توفق إلى من تكون متعلقة بك بقدر ما كانت زوجتك المخلصة ،

\*\*\*

إن أقل النفوس اكتراثاً ورعا أشدها سلابة يشعر بالقيمة البشرية في وطأة حزن حقيقى ، لدلك عطف الجميع أشد المطنف ، ونسى جلاوستون كل حقد سيامى فكتب رسالة مؤثرة : « أطن أننا تزوجنا في سنة واحدة ، وكان من حظنا نحن الاتنين أن تتمتع مدة ثلث قرن بسعادة لا تقدو ، وأنا الدى مجوت من الضربة التى أسابتك أستطيع ألب أنسهور أثرها عليك وما يكون أثرها لدى » . ثم أكد له أنه في ساعة هذه المحتة يتالم ألما عميناً معه ومن أجله ، وكان غلصاً ، وبما لا شك فيه أن كلا من المتناضين ظهر لحظة للآخر بخطهره الحقيق غير مشوه بالشهوات ، وهكذا يحدث أحياناً أن المجنون يجد بضع لحظات من المدوء تتبدد فيها الأشباح ، ثم تتجمع الشهوات وتتعقد اللامع ويعود المرض

كانت مارى آن تفخر فى حيامها بحق بأنها وفر على ديزى جميع الناعب السنبرة التى ترهق عقله ، وسار بيته وخدمه منذ زواجه آلات كاملة لا يحتاج إلى الضكير فها ، « فمز يكن هناك شاغل لا تستطيح القضاء عليه ، أو مسومة لا تستطيع مواجهها فكانت أشجع اسمأة عرفها وأكثرهن مساعدة » . وعوت مارى آن لم يجد رجلها العظيم من بدافع عنه ، كانت ثروتها مؤقتة بحياتها ، والبيت نفسه ذهب إلى ورثة ، واضطر ديزى إلى تركه والاتتقال إلى فغلق ، كان تركه لجروفنرجيت بعد أن أمضى ثلاثاً وثلاثين سنة سميدة فى تلك الدار هو تركه لمارى آن ممة أخرى ، فنى هذه الدار التظرفه ليلة بعد لية عند المودة من مجلس النواب ، والدار مضاءة داعاً حتى تبدو له بيريقها فى النسباب عند ما يمود بعد جلسة حادة ، وهدفه الدار هى ملجؤه والمكان الذى يترك فيه عند ما يمود بعد جلسة حادة ، وهدفه الدار هى ملجؤه والمكان الذى يترك فيه النفس والجسد لحريتهما ، وفيها النقد ينقلب مديما ، والتأنيب ينقلب مدلها ، الآن فى لندن هى وحدة الفندق — وهى أسوأ أنواع الوحدة – بأناله السخيف وطعامه على انفراد والجيران الجمهولين . فعندما يقول لمائق عربته : « إلى البيت يتذكر فجأة أن لا بيت له ، وتترقرق عيناه بالدموع ، ولو لا موتناجو كورى ماترة ودوتشيلد الذين برحبون به لمار حطاماً ، لكن الصداقات مهما كانت درقيقة لا محل عل علف اممأة . وفي سكون غرفة الفندق كان يمتز بالذكرى الشاردة لسوت فرح .

\* \* \*

خنى أصدقاؤه السياسيون أن يتخذ من الحداد حجة للاعتزال الهــائى، ه لكن حدث غير ذلك فاذلم يجد فى نفسه غير الأفكار الحوزة آتجه إلى النشاط واستأنف النضال لكم لا يفكر .

وجد الوقت ملائمًا وخطة الانتظار أحدثت أثراً حسناً ، فقــد مد الحبل لجلادستون ، ونشط جلادستون فى آلاف النواحى ، ولم يسق غير الاستفادة من الأخطاء التى تتولد بالضرورة عن كل نشاط . فقــد قال حطاب هواردن وهو مرتكن على فأسه القورة : « إن رسالتى عى تهدئة إرانند» ، ولــكى يؤديها ألنى الكنيسة البروتستائية فى إرانند، وعمل على إصدار سلسة من القوانين يقصد بها حابة الزراع من كبار المالكين ، لكن إرانده كانت أقل مدوءاً مها في أي وقت آخر ، 'يضرب الوظفون بالمعا من رجال مقنين ، وجلمن رجال الدرطة بالمخاجر ، وننسف البيوت ، واحتمل العامل على الهدئة هذه الاعتداءات مدة طوية ، فإذا فقد الأمل التجأ إلى الجنود ، ولاحظ دزرائيل في لهجة السخوية : « إنى لأذكر أفي محمت أحد وزراء جلالها يقول في السنه الماضية كل شخص . يستطيع أن يحكم إرانده بالجنود والداف — نم كل شخص في الواقع حتى السيد الهترم ؟ .

وفي السياسة الخارجية قبل جلادستون مبدأ التحكيم في جميع السائل الرنبطة بامجلترا ، لكن يظهر أن التحكيم كان دائمًا في غير صالحها ، وقد طمنت الكرامة الوطنية ، وفي أحد السارح مُثِّلَ جلادستون وهو يستقبل رسل سفارة من الصين يطلبون إليه اسكوتلنده ، وفكر رئيس الوزارة ووجد اللاث إجابات ممكنة ، التنازل في الحال عن اسكوتلنده ، أوالانتظار قليلاً ثم الانماء بالتنازل، أو تسين محكمين، ووجد الجمهور أن الصورة صميحة، وكانت اللكمة مع الجمهور فهي لم تألف جلادستون وتخيفها الأشجار الضخمة التي تتساقط في كل مكان ، وهي محبة للغابات وعقلها البسيط والباشر لا يفهم طرق هذا العقل المقد ، وهي تمود إلى تلاوة مشروعات القوانين بلا جدوى ، وإذا أرسل معها مذكرات تفسيرية وجـدت التفسير أكثر غموضاً من الشروع ، فبعد مستر دزرائيلي المرن الذي يقول: « بجب قبل كل شيء أن تحقق رغبات صاحبة الجلالة » لم تستطع احمال ذلك الأسكوتلندي الجاف الذي يرفض في احترام لا حد له كل ما تطلب ، وهي تتمسك بفكرة ما لانجلترا من مكانة ، وتعتقد أنه قضي علمها ، وهي ملكة روتستانتية ، وقد قضي جلادستون على البروتستانت الارلنديين ، وهي تحترم الدستور احتراماً كبيراً فلا تمترض أصوات البرلمان ، لكنها صارت تنمني من أعماق قلمها سقوط الوزارة .

منذُ سنة ١٨٧٣ ، صار من المستطاع التنبؤ بأن هــذا الحادث ليس بسيداً

فقد جاءت جميع الانتخابات الفرعية ملائمة للمحافظين، وأعد دزرائيلي الحلة الانتخابية في دقة ، ورشح في كل دائرة أحد المحافظين قبل ابتداء الحملة نرمن ظويل وأنشىء في هوايمهول مكتب مركزي للمحافظين ، فيه مدير دائم وأركان حرب يقيدون أسماء المرشحين في الدوائر والدائرة التي يجب الترشيح فيها ، وأمَّام في كل مدينة جمية من المحافظين تمثل فيها جميع طبقات الهيئة الاجتماعية وتسمى بنوع خاص إلى أن تنال تأييد العال ، وسهر دذرائيلي نفسه على هذا العمل في كل مكان لكنه كان يدعو أنصاره إلى الصبر، فهو لا بريد أن يتولى السلطة قبل أن يؤدي نشاط جلادستون إلى فشل جديد ، فقــد علمته التجارب سرعة سقوط الوزارة التي لا تستند إلى أغلبية قوية ، على أن جميع العلائم دلت على الانهميار ، وفي خطبة ألقاها في مانشستر وصف اللحظات الأخيرة للوزارة وهي في النزع: « إن هذا النشاط غير العادي بعد أن بلغ مهايته انتهى الخود ، فالبعض يجدون ملجاً في الحزن وزعيمهم البارز يتراوح بين الهديد والتهد، أما أنا الذي أجلس أمام مقعدهم فإن الوزراء مذكرونني بأحد الناظر فيا بحت سطح البحر التي تعابلها أحياناً في شواطيء أمريكا الجنوبية ، فإنك تتأمل صفاً من البراكين الساكنة ولا تجد لهباً واحداً يتردد على هذه الفوهات المتقعة ، لكن المركز ما زال خطراً والأرض تنزلزل قليلاً ، ومن وقت إلى آخر تسمع الزئير الظلم للبحر » .

# بين الجـــدات

كان الشناء الذي تبع وفاء مارى آن مفعا الجلزن الخيف بالرغم من النجاح السيامي المستو ، ليس ذلك فقط لأن ديرى فقد فيا الخالق الذي بجبه أكثر من أي إنسان في الدالم ، بل كان معدة كبيرة لا تجد ما علوها من الدالمك ، وكان أو الحول قد كشف عن سره لمارى آن ، وهذا السر هو الهيب ، توله هذا الإحساس في العلقولة من الاضطهادات الدرسية ، وغذى (عمت تناع الجرأة أخيراً بالوصول إلى السلطة ، لكن هذه الدهنة كوّنت من أخلاقه وتنابت على كل عناصره وقد منعته بصفة خاصة من أن مجد سروراً حقيقاً في عشرة الرجال فهو في حاجة لأن يكون دئيسهم حتى يشعر أنه مساو لهم ، وكان كل الجائزي في الوحدة لحياة النوادى ، لكنة يكره هذه الحياة ، وقد قال: « إن في الحياة أشياء كثيرة غيفة والشاء مع الحياه المياة ، وقد قال: « إن في الحياة أشياء كثيرة غيفة والشاء مع الحياه هو أعليه عن المياة المياة ، وقد قال: « إن

كتب لمسارى آن من زمن بعيد « إنى ف حاجة لأن تكون حياتى حبًا دائمًا » ، وقد تضاعف أرقام عمره ، لكن الحاجة ظلت فأمّه فهو يكتب الآن . « إنى فى حاجة إما إلى الوحدة الثامة وإما إلى العلف الثام » ، وهذا مطلب الرجل الحريم .

نظل عدة أشهر لا يزور إلا عداً فليلاً من الأصدة، ذوى السلة الوثيقة ه، وعنى السلة الوثيقة ه، وعنى جميع السلات البرالمانية في موجنان حيث يرتب أوراق زوجته فتبادر إلى عينه السمو عمالياً إذا ما رأى احتفاظها بأصغر ورقة خط طلها تلاث كالت وهو شاعى بوحدته حتى إن الرسالة التي يجد فها خيئاً من السلف تظهر له كانها شراع السفينة لدى وجل تحطيت سفيته ونفذته الأمواج إلى جزرة مهجودة،

ماتت هــذه المراسلات النسائية وماتت معها بهجة وجمال الآلاف من الحوادث الصغيرة التي تتوقف على وجود الشريك ، وهي وحدها تجعل مغامرة الحياة الطوبلة عتملة . وفي الربيع كان في زيارة فأدت به الصدف إلى مقابلة صديقتين مر صديقات شباية ، هما لادي شستر فيلد ، ولادي برادفورد ، كانت آن كونتة شستر فيلد في السبعين من عمرها ، وسلينا كونتة ترادفورد في الخامسة والخمسين والاثنتان جدَّان ، ذكرهما دزرائيلي بطفولتهما على مقربة منه في الطفولة (إذكانتا تقطنان على مقرنة من براديهام) ، وتلك الحفلة الراقصة التنكرية العظيمة التي ارتدت فها لادي شستر فيلد زي سلطانة ، ولبست أختها الجيلة مسر أنسون زي جارية و انية محلولة الشمر ، ولادي لندىدري زي كيلوبترة وهي مجملة باليواقيت ، ماتت مَسْزُ أَنْسُونَ ، وماتت فاني لنــدرندري ، لكن لادي شستر فيلد ولادي برادفورد احتفظتا بالكثير من ميزات جالهما ، كانت هـــذه القابلة محببة للسهم وتواعدوا على الكتابة وأن يتزاوروا ، وما جاء الصيف حتى دعى دزرائيلي لتمضية بضمة أيام عند إحدى الأختين ثم عنـــد الأخرى وتلاه الشتاء وهو لا يعيش إلا « للذة معاشرة هدين الشخصين اللذين أحمهما أكثر من أي شيء في العالم » . كانت كل منهما تختلف عن الأخرى اختلافاً كبراً فلادى شستر فيلد أكبر سنًا وأكثر جدًا وعطفًا ، ولادى رادفورد أكثر ميلا للتصابى ، وقد قرأت لادي شستر فيلد جميع روايات دزرائيلي ، لكن لادي برادفورد ابتدأتها وهي تتناءب وتخلط بين أشخاص الرواة ، ولادي شستر فيلد مترنة دائماً فهي خبر صديقة في حين أن لادي برادفورد أكثر تقلبًا ولا يعتمد علمها كثيرًا لكن التعلق لهما أكبر . كتب دزرائيلي للأختين في لهجة الحب الوثيق ، وكانت لادى شستر فيلد وهي أرملة وفي السبعين تقرأ رسائله في ابتسام ، أما لادى رادفورد ولها زوج من أحسن الأزواج وبنات في سن الزواج فانهما احتجت وهددت ممات عدمدة بألا تستمر في الراسلة إذا ظلت اللهجة في مثل هــذه الحاسة الكبيرة ، ولم يكن دزرائيلي من الذين يحتملون فراق الذين بحبوبهم

ولوليضمة أبام ، فاقترح على لادى شستر فيلد أن يتروجها لكى يستوثق من العشرة الدائمة للأختين ، فرفضت أولا لأنها وجلت أن الزواج في سها مضحك بعض الشيء ، ثم لأن دزرائيل يجب أخها بنوع خاص وصارت موضع سرهما .

الرجل كهل قوى السلطان متفل بالواجبات ومسئول عن حياة إمبراطورية كيرة ، لكنه يشعر بأنه لا يختلف عما كان في شباه ، ورعا كان السجود أسمن في الخيال ، فكتيراً ما انتصر الطوح في الشباب على الحب ؟ « لفد عشت حتى أرى أن العب بعد غروب زمنه نقاه وجاله ، ورعا كان لمبى الكمول تهافت أكبر على السمادة » . الدهن لا كتشافه أنه لازال برغب في رؤية اسمأة ، وأنه يجد لدة في النظر إلى اسمأة في حيامها ، وأنه ليضر في الوقت ذاله بجال الألام التي يمنيها بالقرب معها ، والمند السنج من الأيام التي لا ترال باقية له ، قم يكن يسمع بالافقراق عن صديقته ؟ « إن رؤيتك أو على الأقل سماع أخبارك في كل يعمل من ضروري جداً لوجودي ، فإن لؤيتك في الجنمات لذة خاصة ، ولكبام غناف عن لذة رؤيتك على انشراد ، واللذةان ساحران كضوء القمر وسطوع غناف وتر تب زيارانه في تعقل ، « ثلاث مرات في الأسبوع هذا قليل جدا ه . « دومير » ، ولما طل من سلينا أن مختار له علامة لتعرفه ما نصحته في لهجة « رومير» ، ولما طل من سلينا أن مختار له علامة لتعرفه مها نصحته في لهجة جافة بألا بذهب ، فاستاء قليلا وشكا إلى لادى شسترفيلد صديقته الممززة ، وعلمتا أنه تميس فوصلته رسالة أكثر رفة ، « رفعها إلى شفتيه » ، وهكذا كان يلمب « السست » المجوز « بسلميين » الرقيقة الناضحة .

لكنه لم ينس مارى آن ، وظلت رسائله طول حياه حتى رسائل حبه عاطلة بالسواد وفي ذلك رمن حقيق . وفي ذات يوم بصد ذلك الزمن وصلت إلى لادى برادفورد بطريق المصادفة رسالة على ورق أبيض ، وكنبت إليه تمرب عرب ارتباحها ، فكنب : « تقولين إنك ارتحت لرؤية الورق الأبيض في اليوم الآخر ومن الغرب أنى كنت أفكر في الماضى أن اللكة بالاستمرار على حدادها تنزل لماطفة مريضة . لكني الآن أشعر مثلها وسأستعر على النالب مثلها » .

انتهى من تنظيم الأوراق في هوجندن ، ووجد فهــا ذكريات لا حصر لما تعل على ذلك الحب الدقيق ، فقد ظلت مارى آن فى كل خسة عشر بوماً مدة تلاثين سنة تقص شعر زوجها ، وفى كل ممة تجمع الشعر فى ربطة صغير، غنتومة ووجد منها المثات ، واكتشف كذلك الآلاف من الرسائل : جميع رسائل بلوار ورسائل الفرد دورسيه ورسائل جورج سميث المسكين ، والرسالة الأخيرة للادى بلمنجتون ؟ كم من الأشباح تنتظره الآن !

#### \*\*

أخيرًا أجرى جلادستون الانتخابات وتنبرت عاطفة الجمهور حتى صاد حزرائيلي بامل فى تنبير الأسوات وربما فى الحسول على أعليبة للمحافظين، وسار فى أثناء الانتخابات يكتب كل يوم رسائل إلى لادى برادفورد، وبعد وقت قسير أمكنه أن يمان أن حزه ربح عشرة مقاعد، ثم عشرين، ثم أربيين، ثم هزم جلادستون نهائيا، فقد حصل المحافظون على أغلبية خسين صوتًا على جميع الأحزاب مجتمعة، وأكثر من مائة سوت على الأحرار وحدهم، وثبت أخيرًا أن الرأى العام قد يصير مؤيدًا للمحافظين كما ندى بذلك دزرائيل، وفسى جميع المتذمين القدماء من الحزب عدم تقتهم الماضية، واستلأ لدى كارلتون بجمهور متاثر بنادى بائرعم كما ينسح كلاب الصيد حول العباد في اليوم التالى لصيد. قرر جلادستون الاستقالة قبل أن يتنظر اجاع البرلسان ، وأعل أنه سوف لا يقى زعبا للحزب ، وأراد أن يكون نائبا بسيطاً ، وألا يحضر الجلسات باتنظام ، وقد بلغ الخامسة والستين من عمره ، وهو سن خم فيه كبار ساسة ذلك المصر حياتهم السياسية من وقت بعيد ، وكان يأمل بنوع خاص أن يعنى بالسائل الدينية ويستمد للموت ، وأعرب للملكة عن قراره ووافقته جلالها في حاسة قبها في من عدم اللباقة ، ودعت مستر دزرائيل ، وكان من أوائل ما اهم مه الوزر الجديد أن يحصل على مم كز هام لمزيزة سلينا في بلاط اللكة .

## الزعـــــيم

سار الحافظون من تلك اللحظة بدعون دزرائيلي الرحم، وفي هذه الكلمة دليل على تغيير كبير ، فالغام النابغ الذي احتماء البعض وفازع في سلطته البعض الآخر ودعو، جيماً « ديزى » في تبسط بدل أحياناً على الحب وأحياناً على الاحتفار ، قد صار موضع احتمام الجميع ، وساعدت السن على ذلك، فإذا كانت الكعولة في كل بلد فضيلة رجل السياسة ، فإن ذلك ينطبق على انجلترا أكثر من غيرها ، فليس من شعب مثل الانجليز يشمر بما يسبقه مهور الزمن على الأشياء من جال ، وهو يحب رجال السياسة الذين خيرهم ، وستقلهم النضال كما يسقل الجلد القديم والخسب القديم ، لم يفهم الحافظون دائماً سياسة زعيمهم ، لم تكن مفهومة .

مهمة جميع رجال الحزب فيا عدا بعض الكهول رئيسًا لهم دائمًا رهو إلى جاب اللورد دوبي ثم وحده ، ولا يزال كنيرون مهم يقرنون اسمه بقكرة غير واضحة عن السر الشرق ، لكن ذلك لم يعد يخيفهم ، فكما أن الباب من السناعة المربية بأنى به أحد كهول المستمعرين إلى وطنه حجرًا خجرًا ، ويعيد بنامه في بستان من الحشين للشي به وتنطيه الأشجار والورود التسلقة فيكتسب ندريجيا رفة أبحايزية ، ويختلط برفق مع ما يحوطه من خضرة متناسبة ، كذلك وزرائيلي السجوز وهو محل بالفضائل وبالزوات الطبية والموائد البريطانية ، قد صار زينة طبيبة في البرلان وفي المجتمعات ، وإذا كان أحياناً أحد المارة الناقدين يتبين من عليسة قد اللابان الناقدة العناء مدهدًا في قوس الباب أو الخطوط السجيبة في النقش

العربى ، فليس من شأن عدم التناسب البسيط إلا أن يضيف إلى جمال هذا الأثر النبيل لونًا لا يكاد برى من الشعر والقوة .

من ذلك الوقت اختلطت باحترام الحزب له عبة ظاهرة ، وصار من النادر أن مجد من بعلن عداه ، ويعترف الجميع تقريباً بإخلاص الزعم وحسن إداده . وعرف خصومه أنضهم أنه إذا كان ينزل الضربات القوية بالخصم اللاتن به فإنه أيق دائماً على الخطيب النسيف ، وإن مثل بيل ومثل جلادستون بدلان على أنه لا بهاجم أبداً رجلا وهو أعرل . في أثناء المنة القسيرة التي قولي فهب السلطة سنة ١٩٦٨ منح مرتباً لأطفال ليتس مصور مجة بنس الذي على يجاره بهلامفقة يمتطبع منحه على كارليل وهو الرجل الذي تسامل فيا مشهى : « إلى مهى يحتمل جون بول أن يرقص هذا القرد السخيت على بطنه » . ولما اندهن أحد الانساد الحمين للانتقام من تساهله قال له : « إنى لا أضكر أبداً في الانتقام ، كن عند ما يؤلني شخص أكتب امحه على رفعة من الورق ثم أحجزها في درج من مكذا في زوابا النسيان » .

كان وهو يستمد على أغلية قوية وهو مؤد من اللكة اللى قابلت عودة بقرح ظاهر، قد بلتم أخيراً كل ما رغب فيه أثناء حياته وهو السلطة وانمحت ذكرى جروح الشباب ، وقال للادى دوروثى نقيل اللى أسر إليها بآلامه فيا منى : «كل شيء حسن الآن وأصبح مركزي ثابتاً » ، أوجد الوثوق بالانتمار نوعاً من الترث ، فلم يكن الرجل في حياته قط طبيعيا مثله في ذلك الوقت ، وعميف أخيراً أنه الآن يقبل على علاقه فأطلق طبيعة على سجيتها ، وسار أقل خشوة ، وأقل ميلا المسخوية ، لا يتحفظ كثيراً في السكام عن أحزاه في صباه ، ويذكر ماضياً قد عُموضٌ عنه . فغات مرة وهو يتزه مع لادى دوبي بين أشجاره ، فسألته : «كيف؟ تس ! لقد كنت بلا شك سعيداً هنا» فقال : « لم أكن سعيداً في ذلك الوقت ، إذ كنت فريسة الطمع لا يقاوم ، وليس لدى أية فرسة لارضاء هذا الطمع » .

لم تمد الراكز تهمه الآن ، فعند ما حاول أحد الدوقات أن يخيفه قال :

« الدوقات : إنى لا أهم لم » وهذا حقيق ، لقد بعد الزمن الذى قال فيه إستحق
دزرائيل : « وماذا يعرف عن الدوقات؟ » ، ولم تكن إحدى الأميرات من الماثلة
المالكة لديه إلا فتاة سنيرة يوفض أن يقلق نفسه فى السباح من أجلها ، وكانت
الملكة شخصية عادية وصديقة قدعة عنيدة بعض الشى، لكنه يحبها ، فهو في
هذه المرة قد بلغ حقيقة القمة ، فلا يشعر فى نفسه بتلك الحاجة الملحة إلى
الارتفاع أعلى من ذلك وإلى التناب ، ويجب أخيراً أن يكون سيداً .

لكنه قال لصديق هناه : « إن ذلك الأمر جانى متأخراً عشرين سنة ، 
فأعطى عمرك وحتك ؟ وسمع وهو يتمم : « السلطة ! إنها جاس متأخرة ؛ كان 
زمن إذا ما استيقظت فيه أشهر أنى قادر على قلب المروش والحكومات ، وقد 
زمن إذا ما استيقظت فيه أشهر أنى قادر على قلب المروش والحكومات ، وقد 
انقضى هذا الزمن ؟ . كان داعاً شديد الإعجاب بالتباب ، على أنه أشاع شبابه ، 
لأن النقطة التى ابتداً منه ييل أو جلارستون أو مارز ، وهذا سوء حظه في نشأته 
للستوى الذى إبتداً منه ييل أو جلارستون أو مارز ، وهذا سوء حظه في نشأته 
متأخراً ، لم يكد يصل إلى الوزارة حتى أخذ جسده المتيق يتداعى من نواحى 
متأخراً ، لم يكد يصل إلى الوزارة حتى أخذ جسده المتيق يتداعى من نواحى 
عنظة ، فقد جاءه النقرس فهو بذهب إلى البرلان في نماه الذلى ، وحل به شيق 
التنفس فهو لا يشكلم إلا بصعوبة ، ولم ييق حوله من يمنى به غير كورى مو تتأجو 
في غير وقته ؛ « ربا كان الراجع أن أكون سيداً ، لكنى لا أستطيع إلا 
أن أقول لك لملقيقة ... إنى متعب حتى أكاد أموت وإنى تص حقا ... ولا 
أعتد أن هناك خلوقاً في المالم أكثر تماسة منى ، إن الثروة والنجاح والجد ،

رل السلطة قد تزيد من السعادة لكنما لا تستطيع خلقها ، فالحب وحده هو الذي يخلق السعادة . وإنى وحيد وليس لدى ما يؤازرني إلا أحياناً القليل مهز المطف المسجل على الورق، وذلك مع الشح، فتلك حياة فظيعة تكاد لا محتمل » . فما هي اللذة الإيجابيــة التي قد تمنحها السلطة ؟ هنالك نوع واحد هو أن كثرة الأعمال تسمح بالنسيان ، لكن أية مضايقات أيضًا ! إذاً سافر في السكة الحديدة وجد في كلُّ عجلة جمهوراً متحمساً يصيح : « هــذا هو » ، والأطفال الصغار الذبن بمرون خلفه ويقفون وأفواههم مفتوحة أمام الحكان المحصص له ، والفتيات اللاني تطلبن توقيعات ، وجمعيات الموسيقي على أنواب الفندق ... آه ! حقا إن دزرائيلي لم يخلق لمثل هذه الشهرة الشعبية . فني ذات يوم بينها هو ينتظر القطار في سويندون وهو عشى حيثة وذهابًا على الرصيف في بطء تقدم إليه أحد المسافرين من رجال التجارة ، وفي لهجة الود قال له فجأة : « لقد ظلت عشر ن سنة أعطيك صوتى يا مستر دزرائيلي وأحب أن أصافح بدك» ، فرفع دزرائيلي عينيه المتعبتين وهز رأسه قائلاً : ﴿ إِنَّ لَا أَعْرَفَكَ ﴾ واستأنف السير ، لوكان مستر جلادستون في مثل هـــذه المقابلة لصفط على بدى الرجل وقيد الحادث في مذكراته ، لكن في مستر جلادستون حاسة الحطاب القوى ، وهذا الكهل الريض متمب ، ولا يزال الناس يرددون عباراته ، لكن لهجها تغـيرت ، ولا ثكاد تتبين فيها رائحة النهكم ؟ وهو منمور في بحر من الحزن ، فقد سئل ذات مرة : « هل أنت في سحة نامة يا مستر دزرائيلي » ، فأجاب : « لن تجد أحداً في صمة نامة ... » . وإذا سألته ربة بيت عما يجب أن تفعله للترفيه عنــــه أجاب: « دعيني أعيش » .

ا تبقى فى هذا الجسد الهزيم غير شهوة واحدة مى حبه لمسا هو ضرب من الخيال ، فنندما يكون وحبداً مرغمًا بالامه على السكوت وعدم الحركة وغير قادر حتى على القراءة يفكر فى لذة الفنان فى منامهاته السجية ، فهل فى قسص ألف ليلة وليلة ، وقسة الأسكافى الذى صار سلطانًا ما هو أغرب من حبـاله ؟ ألم يمقق حتى في التفاصيل أحلام ذلك الطفل الصغير الذي كالسبيد يمت للأشجار في المنفلة الإيطالية ، وهو يسنى إلى جده يعزف على الاالدولين : «القد حققت حلى أخيراً » ، وقد حافظ على ميله إلى قسم الفروسية وعوائدها ، كانت انجلترا الشباب لا ترال نحيا في هذا القلب المجوز ، فني وسط همذه الجدات ، كا قال سفير روسيا على سبيل السخوية كان يستقد أنه في محكمة ملكة الجدات ، كا قال سفير روسيا على سبيل السخوية كان يستقد أنه في محكمة ملكة المجال ، وقد ضم صاحباته في عفل ويمنح التي تشخب فيه ديوساً في شكل محلة . حقيقة إن همذا المخل مؤلف أكثره من الجدات مثل لادى شسترفيلد ولادى تراوورد ، لكن انضمت إليه بعض الفتيات أمثال الأميرة بياترس بعد استئذان برادورد ، لكن انضمت إليه بعض الفتيات أمثال الأميرة بياترس بعد استئذان المنكمة ، ولا منك أن الزئيسة المظمى لهذا المخفل مي الملكة ، ولا يمكن يدعوها بلقب الملاك .

ق أوزورن برى الظلال الخضراء ترج الديون بعد ضياء السفر ، فن القصر أين الخليج الأزرق تظهر فيه الشراع البيضاء ، لا يكاد بجد الزائر السجوز لحظة اللجون بعد المستعلق المس

فى أنك مصاب بالنقرس ، ولا بد أنك تتألم فلا يجب أن تظل واقفاً ، اجلس على كوسى » .

ظل مستر دزرائيلي مأخوذاً بهذا التعطف الذي لم يسبق له مثيل ، فلم يجلس أحد في حضرة اللكة من قبل ، وقد قص له لورد دربي فها مضي كبرهان على شفقتها الكبيرة أن اللكة رأته ذات مرة في شدة المرض فقالت له : « إنى آسـفة حقاً بأن الرسوم لا تسمح لى بأن أطلب منك الجلوس». تذكر مستر دزرائيلي هذه الأمور ونهد نهد الارتباح لكنه رفض ، فهو يستطيع أن يظل واتفاً وترداد اللكة عطفاً ، فهي نفتح له قلبها في جميع للوضوعات ، وحيث إنها تمرف فيه الفضول فهي تطلعه على رسائلها السرية جداً . وتكلمت وتكلمت بلا توقف فعى تتكلم كارى آن وكما تستطيع النساء أن يتكلمن ، لكنما قد ارتفعت كثيراً في نظر دررائيلي من الوجهة العقلية ، فعي حقاً عاقلة ومحكم حكما صائبًا على الأخلاق ، فعي مثلا ترى جلادستون على حقيقته . وإنه لمن حسن حظ دزرائيل أن يكون لانجلترا ملكة لا ملك ، كان الحديث في المشاء لدندا وحياً ، ولم يشعر دزرائيلي في حياته بأنه أقل خجلًا منه الآن وهو يقول ما يجب أن يقال فَ أُحسن عبارةً ، واعتقدت اللكة أنها لم تر غلوقًا مسليًا مثله ، وقد سحرت بالبساطة الجريئة عندما سألها وهي جالسة إلى المائدة : « أحقاً يا سيدتي أن لورد ملبورن كان يقول لك افعلي هذا ولا تفعلي ذاك؟ » ، وأحيانًا عندما يكونان على انفراد تصير مدائح الوزير منمقة وتكاد تكون مباشرة ، لكن اللكة تلتمس له العذر إذ تذكر فيه الدم الشرقي، واللكم تحب الشرق وتسر إذ ترى خلف مقعدها خادما هنديا وعلى رأس أملاكها هذا الوزير الأعظم النكى الفؤاد الفياص الماطفة . صارت تدعوه في كل مكان ، وطلبت إليه أن نزورها في قصر بلمورال باسكوتلنده حيث المعيشة أكثر بساطة وأقرب إلى الطبيعة ، لكن للأسف كثيراً ما يكون الضيف مريضاً والرحلات الطوبلة تنعبه ؟ فترسل اللكة طبيبها سير ويليم جنر إلى غرافة مستر دزرائيلي ، ويصر سير ويليم على أن يلازم الوزير

النراش ، وتذهب الذكرة في السباح انتراه ، ويكتب للادى شستر فيلد : « ماذا ترين في وزير يقابل مليكته في نعل منزلي وفي معطف البيت ، وعندسا تراه في هذا النمت تأخذها عاطفة الأمومة ، وسارت الملاقات بيمهما إنسانية ؛ فعي تتكلم عن ألبرت وهو يتكلم عن مارى آن ، فالوزير والليكة وجدا فيا مضى سمادة في الزواج ، وهذه أربطة أخرى تربطهما ، فإذا ما عاد إلى لندن جاه صندوق مملوء بالأزهار : « يقدم مستر دزرائيل فروض التحية لجلالتك . لقد وسله أسس في هوايمول صندوق ذو منظر رائق ، فلما فتحه ظن في مبدأ الأمم أن جلالتك أهديت إليه أوسمة ، وقد استولى عليه هذا الخيال حتى إنه كان مدعوا في المساء إلى حفلة يحمل فيها النساس الأوسمة والشرائط ؛ فل يستطم أن يقاوم الإغماد بأن يضع بضمة من الزهور البيضاء على قلبه ليظهر أنه أيضاً قد زينت مدرد ملكة كرحة .

« ثم فى منتصف الليل تسلطت على عقله الفكرة بأن هذا سحر، وأن تلك هبة من عالم آخر جاءت من ملك آخر، وأن تيتانا ملكة الجن جمت أزهاراً هى وأهل عاشيهما فى جزيرة رائمة الحسن ، وأنها ترسل تلك الأزهار السحرية التى على ما يقال نسلب عقول أولئاك الذن يتسلمونها » .

### العميا.

و إن التفكير سهل ، لكن العمل صعب.، والعمل وفاقا للتفكير هو أصب الأمور في العالم ، .

د حرته »

في السلاد القوية التنظيم ذات الثقافة القديمة السليمة لا يقبض الرجل على السلطة ، بل تقبض عليه السلطة ؛ فرجل مثل بونابارت وجد الميدان خالياً بمد الثورة يستطيع أن يفرض نوعا من العقليـة على أمنه مدة قرن كامل ، لكن رجلا مثل دزرائيلي رئيس وزارة انجلترا لا يتحرك إلا في حدود ضيقة ، وتفرض الحوادث أعمالا بومية ، وكثيراً ما تكون هذه الأعمال غير ممغوب فيها ، ثم تمر الأيام في إصلاح أخطاء أحد الأغبياء أو النضال مع صديق عنيد، وليس ثمة فائدة من وضع مشروع واسع ، وقد عاش الرجل وقتاً كافياً لـكي لا يتجاهل هذه الحقيقة .

فمنذ الأيام الأولى لوزارته اضطره الأساقفة والملكة إلى أن يدافع عن مشروع قانون القضاء على « الريتوالغرم » أي القضاء على اقتباس الطقوس الدينية لكنيسة روما في الكنيسة الانجليكانية ؛ فيحاكم رجال الدين إذا آلم بريق ثبابهم الدينية أو زينة مذابحهم أعين البروتستانت ، ويجزع دزرائيلي جزعا شديداً من التشريعات الحاصة بالكنائس، فهو كبير العلم بما تثيره من النازعات الغوية ؛ فنى دارُه هوجندن الدينية على صغرها حرب أهلية بين أولئك الدين هم أنصـــار جمع ما يجود به المصلون من النقود على صفحة غير منطاة ، وأنصار جمها في صندوق « فصديق راعى الكنيسة يعمل ما أسميه أنا جماً للإحسانات وما يسميه هو قرباناً ويضع ما يجمعه على ما يسميه مذبحًا وما يسميه المترددون على الكنيسة مائدة »

لكن الأساقفة يصرون وتندخل اللكة ؟ « وإن رغبها القوية هي أن يذهب مستر دزراتيلي إلى أبعد ما يستطيعه دون أن يضع حكومته في مصاعب ... » فكان على رئيس الوزارة أن عضى الأساييع الأولى من حكمه في تعديل مشروع يراء غير مناسب ثم الدفاع عنه ، ومع ذلك كانت هذه الإجراءات التي لا يوافق علم امما زاد في عية الجمهور له ، حقا إن الحياة لجنون .

لكنه لم يكن برغب فى أن يقرن اسمه بإجراءات النع ، بل هو ربد على المكم مقترا بسياسة كريمة ، والمكن مقترا بسياسة كريمة ، والكن قد سان الوقت النقل آزاء كونتجسى وسيبيل إلى أعماله ، وتنابست القوانين : المساواة فى الواجبات بين أسحاب العمل والعال ، والتوسع فى حقوق نقابات العبل إلى ست وخسين ساعة فى الأصبوع ، والعالمة من ظهر يوم السبت ، ثم عدة من القوانين الصحية ، فكان يقول : « إن شعار الحزب يجب أن يكون سلامة الجسد ونفاذ البسيرة بحو الأشياء جيمها ، وكان خصومه يقولون : « تلك سياسة دجل الجارى »

قامت الدى رئيس الوزارة منذ شبابه فسكرة أخرى الازمته حتى تولى الحكم هي فتكرة الإمبراطورية ، أن أعبارا الا يمكن اعتبارها بيدة عن مستحمراتها ، وقد اقترح منذ عشر بن سنة على دربي أن يوجد نوابا عن المستعمرات ، ويخلق البدان الإمبراطورى، وتنبى في شعره منذ أربين سنة بأن السلطة الاتحادة هي دوح المستقبل ؟ فني كل مهة يقول فيها أحد التفعيل \* أ: إن المستعمرات ولا سيا الهند هي حلى قالية التن لتاج ، وإنه من المأمول فيه التنازل عنها ، كان يقف ليذكر ، بأن أعبارا ليست شيئا مذكوراً إن لم تكن من كواً لا مبراطورية عليمة استجارية ، وأن القاومين للاستمار وهم لا ينظرون لنير النتائج المسالية بهماون هنا الاعتبارات السياسية التي تجمل وحدها الأم عظيمة . كان اديه برامج تنظيم هذه الإمبراطورية وهو الاستقلال الدائي المستعمرات مصحوبا بتوحيد الرسوم

<sup>(</sup>١) النفعيون أتباع بنتام .

إلجركية للإمبراطورية ، وهذه السياسة جديدة جداً ، وفيها جرأة كبيرة حتى إنه ليس من الممكن تنشيذها ، لكنه ينتهز فرصة ليشرح شعوره والأهمية التى يهتفها على الطرق الإمبراطورية .

#### \*\*\*

مَى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ جاء سحق ا<sup>م</sup>مه فردريك جرينوود ليقــابل لورد دربي<sup>(١)</sup> في وزارة الخارجية ، وكان قد تعشى في اليوم السابق مع أحدرجال المال الذين يعرفون مصر جيداً ، وعلم أن الخديو يربد أن يرهن المائة والسبعة والسبعين مهما التي ممتلكها من أسهم قناة السويس لاحتياجه إلى الــــال ، وأسهم قناة السويس جميمها تبلغ أربعائة ألف أكثرها في أمدى رجال المسال من الفرنسيين كان جرينوود برى أنه من صالح انجلترا أن تحصل على نصيب الخديو، لأن الفناة هي طريق الهند، ولم يظهر دربي تحمسًا كبيرًا ؛ فهو يخشي المشروعات الكبيرة واشتمل الحيال في رأس دزرائيلي فأرسل برقية إلى المثل الانجليزي في مصر ، ومنه علمأن الخديو قدوعد بالبيع جماعة من الفرنسيين لقاء مبلغ اثنين وتسعين مليونا من الفرنكات ، وحدد للصفقة يوم الثلاثاء التالي، والخديو برغب في أن تكون الصفقة لانجلترا ، لكنه في حاجة إلى المـــال في الحال . وكان البرلمان الانجليزي فى غير دور الانعقاد ، وليست أربعة ملايين من الجنهات بالمبلغ الذي يمكن أحده من الميزانية بدون موافقة ، وكتب دزرائيلي للملكة يقول : « ليس لدينا الوقت التنفس ، لكن يجب القيام بهذا العمل» . لم تقم الحكومة الفرنسية عماقيل بل على العكس من ذلك كان الدوق ديكاز يأمل كُثيراً في تأبيد دزرائيلي لماومة بسمارك ، ولم يشجع المصارف الفرنسية فتنازلت عن حقها في الشراء ، لكن من الواجب تدبير الملايين الأربعة من الجنهات ؛ فني اليوم الذي تناقش فيـــه مجلس الوزراء كان مونتاجو كورى ينتظر في الغرفة الخارجية ، وأخرج الزعيم

 <sup>(</sup>١) وهو بالطبع الحامس عدر من سلالته ، وكان تلميذاً وصدينا لهزرائيلي تحت اسم سنانلي فقد مان أبوء من قبل .

رأسه بعد أن فتح الباب قليلا وقال كلة : « نسم » ، وبعدعشر دقائق كان كورى لدى روتشيلد فوجده على مائدة الطمام ، فقال له : « إن وزرائيلي فى علجة إلى أربعة ملايين فى اليوم التالى » . كان روتشيلد على وشك أن يأ كل عنبًا فالتقط واحدة وتفل القشرة ، وسأل : « ما ضابتك ؟ » فقال : « الحكومة البريطانية » فقال روتشيلد : « سكون لديك » .

سرت المسكة سروراً عظها ، فلم يرها دزرائيلي فى حيانه فرحة مثلها فى هذا اليوم ، واحتجزته للمشاء وأظهرت له الآلاف من علائم الرضا والرعاة ، وبما فرحت له بنوع خاص تفكيرها فى غضب بسارك النمى أعلن قبل أيام فى عجرفة أن إنجائزا لم تمد قوة سياسية .

فلامتناع المجلتراني عهد مبلادستون وهزيمة فرنسا في الحرب اعتاد السنشاد الألماني أن يمثل دور السيد في أوروبا ، وطدت لاجلترا من جديد مع دورا أليل سياسة خارجية ورغبات بجب أن تحترم . وفي سنة ١٨٧٥ عند ما هدد بسيارك اللجيك ثم حدر فرنسا كتب دورائيلي إلى لادى شسترفيلد يقول : « إن بسيارك هو في الحقيقة بو نابرت مجوز آخر ، ويجب أن يلجم » ، وتسكم عن ذلك مع المسكم التي وافقته وعمضت عليه أن تسكتب لإمبراطور روسيا ، وحملت المجلترا وروسيا ، وتراحج بسيارك ، وصادف عودة إنجلترا للاهمام بالشئون الأدورية نجاسا ، وسرت المسكم سروراً عقلها ، فهي تضعر أنها قوية جداً إذا الأدورية على رأس المسكورة .

على حين فجأة طلبت الملكمة لقب إمبراطورة الهند ، أثيرت هذه المسألة من قبل سنة ١٨٥٨ عند ما ضمت الهند إلى الشاج بمد تمرد الجنود الهندية ، وكان مزرائيلي من أنصار الفكرة من حيث المبدأ ، لكن سنة ١٨٧٥ لم يكن الوقت ملائمًا ويمرف دزرائيلي أنه ستنسب هذه الفكرة البميدة عن الآراء الانجلزية إلى ذوق رئيس الوزارة وميله إلى البريق الشرق ، وقام يحاولات عديدة كي تصبر الملكة بضع سنوات ، لكن عبثاً يحاول ، واضطر لتقديم مشروع قانون .

كانت ضبجة الرأى العام كبيرة فالانجليز لا يحبون الشير ، والملكمة مى دائما الملكة لهميم ؟ فلماذا لا تستمر كذلك ؟ قال المطهرون إن لقب الامبراطور يذكر م بصور الفتوحات والاضطهادات ، بل الفسق ، ووزعت نشرات مها واحدة بعنوان : ﴿ كيف أن ﴿ بن ﴾ صاحب العنبق استبدل اسم فندق اللكة بغندق الامبراطورة شركة محدودة ، وماذا كانت النتيجة ؟ ﴾ وأخرى بعنوان وكتب القائم بأعمال سفارة فرنسا : ﴿ إن هي إلا خيال الفنان ، ورغية منشى، الملك لدى ديرى ، وتزعة الدعى لهى اللكة ، فعى تستقد أن مكانها تربد، وأن أم الملك الميون مركزاً أكبر بالقب الإمبراطورى ، لكن في رأي أن من الحلما الكبير وفع الستار الذي يجب أن يقل مسدلا على أسل نشأة التاج ، وهذه الأمور يجب أن يق بسيدة عن البت ، فقد ولد الشخص إمبراطوراً وملكا ،

كان على دزرائيل أن يست الثقة في نفوس جميع الناس، ولاحظ فبايشلن بالذكريات السيئة التي وحيها لقب الإمبراطور أن العسر النحي للإنسانية كان عصر آل أنطونيوس، ومسيحتفظ بلقب الملكة في انجلترا وفي جميع الوثائق التي تتملق بأوروبا، وفقط في الوثائق التي تتملق بالهندوفي أواس ترقية الضباط الدن قد مدعون إلى الخدمة في الهند. يضاف بعد «علمية المقيدة» لقب «إسراطورة الهند» ؟ كانت الملكة مثالة حداً للمارشة التي يقاما فانونها، وبخاصة الحملات الشخصية على عزيزها مستر دزرائيلي بسبب رغباتها ، لكن ذلك لم يزدها إلا تعلقابه . ولما حسلت أخيراً على لقبها كتبت إليه رسالة شكر وقسها : « فيكتوريا الملكة والإمبراطورة » وهى فرحة كالأطفال ، ثم أقامت الإمبراطورة الجديدة حفلة عشاء ظهرت فيها على غير عادتها مزداة بالحلى الشرقية التي أهداها إليها أمراء الهند ، وفي آخر الشئاء خرق دزرائيلي حرمة التقاليد عمداً بأن وقف ليشرب مخب إمبراطورة الهند في خطاب قصير منعق كقسيدة فارسية ، وبدلا من أن تندهش لللكة أجابت بإحناء رأسها قليلا مع الابتسام ، وكانها تنحي

\*\*\*

هكذا سارت السفينة السياسية وهي مهز على أمواج الأقدار والجو ، ورضاء علس النواب ، ونرعات اللكة ، وهي تقاوم البحر ، لكن ربان السفينة مربيض جداً ، ساءت حمته حتى إله أعرب لللكة عدة مرات عن أمله في ترك الحياة السياسية ، وذلك ما لا ترعب فيه بأى ثمن ، وافترحت عليه أنه من السهل أن ترفع رئيس الوزارة إلى مجلس اللوردات «حيث الجهود أقل ، ويستطيع أن بدبر كل شيء » ، وقبل في هذه المرة واتحد الاسم الذي أعطاء من قبل لمارى آن ، وهو اسم بكونسفيلا ، ولكنها كانت فيكونتة أما هو فصار فيكونت هو جندن دى هو جدن وأبرل بكونسفيلا ، وقال جلادستون في سخرية عند ما سمع بتلك الطفرة الشيطان السوء : « لا أعفو عنه إذ لم يطلب لقب دوق » .

بحب منظو وواع قد يكون مؤثراً ، لكنه بعيد عن حسن الدوق ، تكلم في مجلس النواب في اللية السابقة لإعلان القرار ، وكم السر حيداً ، ولم يفكر النواب بأنهم لن يسمعوا زعيمهم بعد الآن ، وعند ما انهم الجلسة قطع القاعة في تمعل وذهب إلى نهايتها نحو الحاجز ، وهنالك استدار قليلا وظل دقيقة برقب المقساعد والشرفات والمكان الذي ألقي منه خطبته الأولى ، ومقعد الوزارة حيث كانب يرى جسد بيل الضخم ووجهه الجيل ، ومقعد الممارضة الذي كثيراً

ما احتله هو نفسه طويلا ، ثم عاد ومن أمام مقعد رئيس الجلس ، ثم خرج وهو ملتحف معطفه الكبير الأبيض ، ومستند إلى فراع سكرتيره ، وقد مم به شاب فرأى الدموع في عينيه دون أن يفهم السبب.

في اليوم التالي عندما بلغ النواب الحبر لدى افتتاح الحلسة تألفت مهم جماعات صغيرة وهي متأثرة ، وكان الجالسون على القاعد يتكلمون في صوت منخفض كأن ف القاعة نعشًا ، وكتب إليه سير وليم هارت دابك يقول : «لا أستطبع أن أتصور إلى أي حد سبكون التغيير عظما فكأنه غادرتنا الفروسية وما في السياسة من لذة ، ولم يبق إلا العمل على وتيرة واحدة » ، وهذا شعور المجلس بأكمله فإن تلك اللذة التي يجدها هذا الـكهل في لعبة الحياة تتصل بكل الدين من حوله ولا يمرف الإنسان معه ما يأتي مه الغد ، لكنه يثق على الأقل بأنه لا يكون مملا « فهو قد أصلح ما في الحياة السياسية من ملل عظم » ، وأدى وحود هذا الفنان الكبير في الحياة إلى أن صارت الساجلات السياسية فناً ، « فهو لم يك وحده ذكياً بل يجعل الآخرين أذكياء» ، ومنذ تولى السلطة فرض المجاملة على الجميع واحترام الشكليات ، فكان إذا قاطعه أحد من أنصاره التفت بحوه ونظر إليـــه نظرة ندل على عدم ارتياحه ، وبرى في مناقشته للمسائل السالية نوعا من الباراة ويحمل الآخرين على أن يروا ذلك .

كتب إليه مانرز : « إن رحيك هو عندي مهايه كل اهمام شخصي بالحياة

في محلس النواب » .

وكتب سير ويليم هاركورت : « بعد الآن سيصبر اللعب كالشطرمج إذا ما فقد الوزير فهو نصال حقير بين الجنود» ، وقد تمثل بكلمة مترنيخ عند وقاة الوليون في ختام رسالته : « ربما تظنون أنى سعيد لملى بموت أكبر خصم لسياستي ، إنى لأشمر بعكس ذلك فقد شعرت بالأسف ، إذ لن أتصل أبداً بهذا الذكاء العظيم » . وكتب آخر إليه : « وا أسفاه ! . وا أسفاه ! . لن رى أبدأ اك مشلا ، لقد انهت أيام الجارة » .

لما افتتحت اللكة دور الانتقاد البرلماني بعد ذلك بقليل رؤى إلى جانبها شخص غريب لا يتحرك ، وهو في ثياب قريزة عجلة بغرو «الأرمين» ذلك هو اللورد بكونسفيلد الجديد ، وجاءت أجمل النبيلات لرؤيته وهو يتخذ مقعده ، كان دربي وبرادفورد مما القذان توليا تقدعه ، وفي هدوء كامل أعنى وشبك يديه ورفع قبعت كما تقضى المراسيم بذلك ، وحيث إنه صاد زعها لمجلس اللوردات في قد كتب في سن الحاسمة والشرين في رواة الدوق السهير يقول : « ثمي ، واحد لا شلك فيه ، هو أن هناك أسلوبين غنلفين في مجلس النواب ومجلس اللوردات ، وإذا أنتج في الرقت في حيات أساعيلي محوفها من الأسلوبيين ، فإ المجلس الأدفى يجب أن أتخذ قصيدة دون جوان تموذها ، وفي المجلس الأعلى أتخذ قصيدة النردوس عن طريقة بيرون ، إلا أنه بعد خبرته لم يتمع أسلوب ملتون قعل في علس اللور عدوله عن طريقة بيرون ، إلا أنه بعد خبرته لم يتمع أسلوب ملتون قعل على اللور حاص عن أنه عبر عن هذا الفارق بغن كم حين قال عند خروجه من أول جلسة : على أنه عبر عن هذا الغارق بغن كم حين قال عند خروجه من أول جلسة : « لقد مت حقا لكنين لا أزال شبحا في مرتم الأرواح » .

#### فظائع

د إنك تذكرنى يعض الانجليز كا »
 د تحررت أفكارهم كلما ازدادوا تمكا »
 د بقواعد الأخلاق »

( جيد )

قى وليه سنة ١٨٧٥ كار بعض الفلاحين فى البوسنه والهرسك على الأتراك الذين عاملوا رعاياهم من غير المؤمنين معاملة الكلاب ، كان الحادث فيا يظهر بسبطاً لكنه تضخم ، وعجب الناس لضف الباب العالى ؛ وكان جم ألفين من الرجال وإرسالهم إلى البوسنه يحتاج إلى رجل حربى ذى مواهب وهو غير موجود بيهم ، ثم إن الأموال شحيحة ، وأمام سكون الأتراك نهض النشاط الروسى ، وتألفت في جميع القرى البلقانية عصابات سرية لمقاومة الأتراك نظمها الأخوة الروسية الأدرود كمية لمبيريل وميتود ، وتدفع الروس قوان إحداما عاطفية ، فهم إخوان فى الجنس ولحد كبير فى الدياة للبادا والصرب والرمانيين ، والأخرى سياسية ، فهم فى حاجة إلى منفذ للبحر الأيمن ، وبأملون فى ذلك إما عددتذ إمارات نحت حالة الروس .

لم يكن دزرائيلي يختبى شيئاً في العالم خشيشه من وصول الروس إلى البحر الأميض ، فالقاعد: الأولى في السياسة الانجلزية لديه هى المحافظة على حرية المواسلات مع الهند واستراليا ، وهذه الواسلات لا تتحقق أرضاً إلا عن طريق تركيا السديقة ، وفي البحر عن طريق تناة السويس ، وهي طريق من السهل مهاجها إذا صارت الولايات التركيبة في آسيا في مددولة معادة ، ودود الروس في هذه المسألة يبدو مربياً جداً ، وقد تكون لهم أغراض واسعة وخطرة ، فن الواجب السهر منذ البداية ، وبذكر دزرائيلي جيداً ابتداء حرب القرم ، وكيف أن رجلا مسالماً هو اللورد ابردين انساق إلى الحرب بسبب خوفه من الحرب . فالطريقة الحقيقية لضان السلم هي الدقة في محدد خط لا يمكن التراجع بعده .

فعند ما ثارت بلنارا بعد النوسته ، وعند ما طلبت روسيا وألمانيا والخسا إلى الجاترا أن توقع معهن مذكرة شديدة اللهجة إلى تركيا ، وفض رئيس الوزراء مدا الطلب ، إذ كيف تساعد الجلترا في الفضاء على دولة لانجلترا صالح في بقائها وتتماون مع جورتقا كوف اللمدو السافر وبسهارك السديق الدي لاستمدعليه ؟ إن الخملة الاصريحة هي خير ما يتبع وكتب إلى لادي برادفورد : «مهما يكن الأمن فإما أن نساق إلى الحرب في همة المرة ، وإذا خصنا حرباً فغلك بإرادتنا وأن لنا غربها تري إليه ، لكنني أرجو أن تتفرع روسيا بالحكمة وهي المامل الحرك لهذا الحادث وأن يسود السلم » .

\* \* \*

وجدت السياسة الحازمة التى انسقها الحكومة تأييداً من الرأى المام ،
وثومت المارضة نقسها من الأحرار السعت ، وإذا بجردة «الديل نيوز» ومى جردة
تتحرى الأخبار جيداً ، ومى خلسة لجلارستون ، تفضر مقالا مليثا كله بتعميلات
عن فظائع ارتكها الأتراك فى بلغارة : أطفال ذبحوا ، ونساء متك عرضهن ،
وفتيات بعن بيح الوقيق ، وعشرة آلاف مسيحى سجنوا ، هدفا ماعمله أمدةاه
رئيس الوزراء وحلفاؤه . قرأ وزرائيلي هذه القصة المؤلمة فى سخرية وعدم ثقة
في الميالمة فى الوقت ، وهو مبدئيا لا يسدق هذه القطائع ، وحدث من قبل فى
أثناء ثورة الجنود الهندية أنه أظهر شجاعة كبيرة فى وجه الرأى المام ، إذ الشد
الناس بأن يتقدوا الأخبار ، ووفض أن ينفس قبل التحقق ، وهو رجل لين
ليست له شهوات قوية غير الطبوح ، فهو لا يصدق بسهولة القسوة المتعدة
بلاسوة التعمدة الشعوات ودخن ما البدوات ودخن

معهم النرجيلة ، ولم يشاهد هؤلاء الرجال الوادعين يتناون الأطفال ، ومن المتمل إن ترتكب بمض المصابات غير النظامية فظائع ، لكن الثائرين أنفسهم ليسوا وفقاء جداً وهو شديد الكراهية « لحركات الرأى المام » ، فكان مجرد الكلام عن الشعوب المعطهدة يشعره بالرياء ، وترى نفسه هو مضطهداً

عند ما أثيرت هذه المدألة في مجلس النواب أجاب بأنه يرجو حفظاً لكرامة الطبيعة البشرية أنب تأثير هذه المطبيعة البشرية أنب تأثيه أنباء يستطاع الوثوق بها ندل على المبالغة في هذه الإخبار ؟ « إني لا أشك في أن فقائم ارتكبت في بلناريا ، لكني أشك في أن اللتيات بيمت كالوقيق ، وأن أكثر من عشرة آلاف شخص ألقوا في السجون الواقع أني لا أعتقد أنه يوجد أما كن في السجون الذكية لمثل هذا المدد ، ولا أخل أن التعذيب استعمل استعالا كبيراً الذي شعب شرق يقضى على علاقاله مع الملذن دائمًا بطريقة أصرع من ذلك » .

لكن مجارب ديرى كانت في هذه الرة الأسف خاطئة والقسة حقيقية ، واستيقنظ السغير فجاة على السنجة التي قامت في انجلترا فاستمام عن الوقائع وأبدها وهاج الرأى العام ، فعل يقبل بأن يبعد رئيس الرزارة أشباح هـنم السنحايا بسارات الاستخفاف ؟ لمن وذرائيلي وزارة الخارجية التي أمده عملومات خاطئة ، وأمل في أن مهدأ العاصفة ، في مدعو للأسف الشعيد أن محرق القرى اللنارة وتنمهك حرمة الفتيات ، لكن هل هـنما سبب المدول عن سياسة قدعة وحكيمة ؟

\*\*1

كان جلادستون في ذلك الوقت في هاواردن ، وقد كتب من قبل إلى صديقه جرانفيل وهو في سن السبعين أنه بعد خميين مسنة قضاها في المجمعة العامة له الحق الآن في اعترال المخدمة ، لكنه منذ ذلك الحين ه كثيراً ما عاد من جزرة إليا » ويجدد دزرائيلي أمامه في كل طريق منتصباً كارد يقذف التار من فيسه ، ليس ذلك لأنه لم يكن مخلصاً في رغبته في الراحة ، لكن قولي الشرر السلطة يدعوه إلى العودة بالزغم منه ، وحلول عبئاً أن يبعد أفكاره عن تلك الفسيحة التي لا تحتملها دراساته الدينية والهوصرية ، وكما زاد تفكيراً كما بداله أس شر مساوى، هذا الزمن هو فقد الشمور بالخطيئة ، فهو يقول في بطه : « نم ، إن الشمور بالخطيئة هو ما ينقص الحياة الحديثة » ، وقد عاد لتلاوه مؤلفات بعض الكتاب عندند فل يحد بيهم واحداً أعرب بقوة كافية عن كراهيته الدذية ، فولتر سكوت مثلا صديق لبيرون . وقد لاحظ زائر من الشبان في تردد أن الروائي بالهنة يجب أن يفعم كل شيء ، وإذ ذكره بكلمة مدام دى سنيل « إن فهم كل شيء ، وإذ ذكره بكلمة مدام دى سنيل « إن فهم كل شيء ، هن جلادستون رأسه وقال :

كان شعوره هو بها حاداً لم يتم ، فا وجد قصة الفظائم في بلناديا بين بديه حتى شمر في سورة النفب التي طفت عليه صد الاتراك والانكشارة واللورد بكونسفيلا الجديد أن ذلك من أصلح الموضوعات لإبداء الاستياء الشديد القائم على الحق ، فأى موضوع أصلح من ذلك للربحاء إليسه ؟ شعوب في الأعمال ، ومساجين فأى موضوع أصلح من ذلك للربحاء إليسه ؟ الشخال الكبير والممثل الحزن المنافق أمنية نفسه ، كان البيلان في عطلة وقد أسهيب جلادستون بعرق النسافة كي برضى أنانية نفسه ، كان البيلان في عطلة وقد أسهيب جلادستون بعرق النسافة وكان عنفها في المبادة باوزا: « تلك الوحشية والشيطانية ... الاتراك نوع من فلزم القريب عالم بالإنسانية ... لا يستطيع مجرم من مسجونا أو أحد أكما وإنام البشرية عديم الإنسانية ... لا يستطيع مجرم من مسجونا أو أحد أكما أو وإنام الأتراك على أن يخلسونا من مساوتهم بالموافقة الوحيدية المهمية ... الملاج مو وإنام الأثراك على أن يخلسونا من مساوتهم بالموافقة الوحيدة الممكنة ، وهو ووياشياتهم والقائمين مقامهم وباشاواتهم كل مؤلاء وأحالهم برحاون عن الولايات الني خروها ودنسوها ».

عيمت هذه الرسالة نجاحا عظيا وسع مها أربون ألف نسخة في بضة أيام وعقدت اجباعات في جميع أنحاء المجانزا طلب فيها طرد الأتراك وفتحت اكتتابات لماعدة تلك الحلة الصليبية ، وفي ليغربول مثلت رواية عطيل ظما قيلت المبارة : «لقد غربى الأتراك » وقف الحضور وصفقوا طويلا ، وعصف على انجلترا إعصار من الفضيلة ، وجلادستون في كل مكان يخطب ويكتب ويهم الحكومة بالرغبة في ضم مصر ويقول : «إن دبرى يؤمد تركيا المرمة لأنه ينان أنها سوف توت وأسطوله في خليج بشقه ، وأكاد أكون موقناً أنه على استمداد للاستبلاء على مصر في أول فرصة ، وقد تراه بعد ذلك دوقاً لنفيس » ولم بعد جلادستون يفكر في غير البلنار ، وصار كثيرون من الزائرين المادين للأتراك يحجون إلى هواردن فيجدونه خلع سترته ويقدمون له الهدايا التي أحضروها : عما ريفية أو فيضة فأس منقوضة ويحادثهم جلادستون عن البلنار ، وينادرونه متحصين : لا إن إعادتها لا تقاتل في صف للذنين ! «فليداعب رئيس الوزادة قيضة سيفه ما شاه فان الأمة ساهية على ألا يترك هذا السين خمده » .

قرأ بكونسفياد هذه الرسالة ، وكان رأبه نها أنها شديدة فها زعة الانتقام وأسلامها سي « وهذا طبيع » ، وأنها شر من فظاع البلغار ، وكثيراً ما يسمى جلادستون في رسائله إلى لادى برادفورد باسم ترفوف ، « فهو الشجيه المتطوعة لكل أكنوية قد توسله إلى الحكم » ، وكتب إلى القود دربى : « مستحكم الأجيال القادمة على هذا المنوه الذي لا مبداى أك ، وهذا الزيج السجيب من الحسد والخديمة والتأثر بالأوهام ، وإنه ليتميز بسفة نابسة سواء أكان رئيساً للوزراء أم زعها للمعارضة ، وسواء أكان يستظ أم يصلى أم يخطب أم يكتب ، هى أنه بهيد عن المهذيب » .

كان اللورد بكونسفيلد مصراً على أنه فى كل الأحوال لن يسلم للرأى العام، وسوف تمر الأزمة ويمود الناس إلى العقل، ومع كل قإلى أن يرمد أن يصل هذا المسالم المجاهد، هل يرمد إعلان الحرب على الأتراك؟ أو الانتقام الغظائم الملنارة عنبخة عالمة 1 إلى كراهية الجريمة ليست وقفاً على حزب واحد ، وإن سماع مسيحات الستائين ليبست على الاعتماد بأن لورد بكونسفيلد هو السلطان والثورد مدي هو الوزير الأكبر، والواقع أنه لم يشعر بأية مسئولية ، فهو يستغنلع المذاج ولا يؤيد الاتراك ، ويود أن برائم جميناً في أعماق البحر الأسود ، وكل ماكان رجوه هو أن يؤمن وحدة الإمبراطورية ومستقبل انجاتراً .

أ يظهر ديني قط كراهيته الدياء كما فعل الآن ، فهو يعلم أن بضع عبادات 
منه تدل على العطف على البلغار تخفف عب، واجبه كثيراً ، لكن على المكس 
كتب إلى دربي : « إن ما أرغب في أن تفهمه جيداً ألا تعمل عملاً يفسر بأنك 
تتأثر بضغط الرأى العام ، فقد تعمل ما برغبونه لكنهم لا يحترمونك من أجل 
ذلك » ، وفي يوم آخر : « لا بد من الثبات كل الثبات ، فإن ما تطلبه جميع 
الإجهامات العامة هوالمبث لا الساسة وهوشي، غلمض ونظري لا عملي ، وبالرغم 
من أن انجلزا ترقي في سيستها إلى السلم إلا أنها أكثر الأمم استعداداً للحرب 
فإذا غاضت الحرب فلمب عادل ، وإذا كان النشال من أجل حربتها واستقلالما 
ولمبراطوريها فإنى أشسر بأن مواردها لا تغنى ، فهي ليست بلاداً إذا غاضت 
الحرب تقدادل هل محتمل غارة ثانية أو ثالثة ، فهي تبتدئ "نشالاً لا تنهيه قبل أن 
مدود الحقري »

#### حرب ؟

. رسمت مجلة بنُّـش تربطانيا يقودها دليل ذو وجه كوجه دزرائيلي إلى حافة هاوية تقرأ في أعماقها كُلَّة الحرب ، ويقول الدليل : « خطوة صغيرة أخرى قريباً من الحافة » وتجيب بريطانيا التي يظهر علمها الخوف وعدم الارتباح : « لن أتقدم خطوة أخرى فإنى قريبة جداً ٥ ، كانت ريطانيا حقاً شدمدة الخوف من السقوط وكانت سياسة لورد بكونسفيلد هي أن مخيف روسيا بهديدها بحرب لا بريدها ، لكن قد نضع أنفسنا نحت رحمة حجر ينزلق ، بالتنز. كثيراً على حافة الهـــاوية . هكذا رأى لورد دربي الشاب الذي كان يتولى وزارة الخارجية فهو يختلف كل الاختلاف عن أبيه ، وهو رجل خجول وعاقل، وجموده نافع في لحظة الخطر لكنه لم يخلق « لهذا النوع من الرقص السياسي » ، وهو يكره الحيال والمواقف المسرحية ، ولا يرى أي سبب لهدمد روسيا ، ليس ذلك لكراهته الأتراك كالدستون فتلك قصة أخرى لا يحما أيضاً ، لكنه لا يعترف بأن الامبراطورية البريطانية تصير في خطر إذا جلس الروس في القسطنطينية ، بل هو لا يعترف فأعماق نفسه بأن الامبراطورية البريطانية تتمرض لأي خطر قط ، ليقل الزعم : « إن ذلك نقص في الحيال » ، ليكن تجرداً عن الحيال فهو لا ربد أن يكون الحيال من صفاله ، ولن يوافق على إطلاق شر قائم ومؤكد لتجنب شر مستقبل وغيرمؤكد فكان يقابل جميع الإجراءات التي يقترحها بكونسفيله بالمداء وعدم الارنياح ، ولماكان اسمه كبيراً وله شهرة حقيقية بأصالة الرأى فإنه ضم إليه في رأيه عدداً من زملائه .

بيًّما مجلس الوزراء يحاول إبقاف العجلة إذا بالمكمُّ تدفعها إلى الأمام فهي

لا تحب روسيا قط ، وكان ألبرت يقول داعً ] إن الخطو بأنى من تلك الناحية وهي تتجر نفسها مسئولة عن أمن الامبراطورة وسلامة الطريق إلى الهند وتلق اللام على عانق جلادستون ودربى ، ولا تفهم ضعف الكتيرين من الرجال بينا وهى المراة على استمداد للزحف على اللدو ، عاصرت رئيس وزرائها بالرسائل الحربية فن الراجب معاقبة منظمى الاجاعات المؤيدة الروس ومانا ينتظر السليح الأمة ؟ وإن اللكة قلقة جداً خشية أن هذا النهل يؤدى إلى تأخيرنا حتى نفقد مكاشئا إلى الأبد ، وهذه الفكرة تفاقعا بهاراً وليلا » — « الملكة تناشد تلك الماطنة الوطنية التي تعرف أنها علا مسدو حكومها ، وهى واتفة من أن كل عضو فى المحكومة يشعر بالضرورة الملحة لا ظهار جهة متحدة قوية أمام المدو فى داخل البريطانيين فى العالم).

وبدخل الأميرات أنفسهن ، فقد حدث أن كان رئيس الوزارة جالماً إلى جانب الأميرة مارى أوف كامبردج ، فقالت له : « لا أستطيع أن أنسور ماذا تنتظر البطاطس في هذه اللحظة باسيدق ». استطاع حتى تلك اللحظة أن يتحرك بلا حادث في اللمنيق الذي يفسل بين الملكة ولورد دوري ، وهل يستطيع ذلك داعًا ؟ هل يتجنب أيضًا المقبة الثالثة وهي الأحرار الذين يكرهون عبارة «مصالح المجابزا» ويقولون : «هذه سياسة الأخارية »، فيجيم ذلك المجوز المسهر: « إن فها من الأفائية ما في الشمور الراحية ، ويشمر في ارتباح بأن الوطئي » ، ثم يقيس بنظره في هدوء كبير عمق الهاوية ، ويشمر في ارتباح بأن الدوار لم يأخذه .

\*\*\*

أعدت روسيا الحرب على تركيا ، وأوفد القيمس الجنرال إيجنانيف في بعثة خاسة إلى اعينتراكي بمحاول الحسول على وعد بالنزام الحياد، وكان أهل لندن جميناً مدعون آل إيجنانيف المشاء للسهم ، فزوجة الجنرال شغراء الشعر وجميلة ، وتشرب الخرصر فا ولاقت مجاساً هائلا ، وقد تبارت المركزة لوندندرى وزوجة الجنرال في الساس وغلبت الامجليزة ، وحفر لورد يكونسفيل روسيا بأه لا بلتزم الحياد إذا لم يحترم القيصر السائل الثلاث الضرورة للحافظة على الامبراطورة ، وهي قناة السويس والدردنيل والقسطنطينية ، ووعد جورتشا كوف بذلك فافزا يضم ؟ لقد طأنه غيره ، هزارى المام بعيد عن الاعاد في تأسيد بكونسفيله ، يضم إلى جيداً ، إنى لا أضمك ، لكن يجب أن تفهدى أت ، فانا لا أقاتل من أجل هؤلاء القوم ، وضها الأسد البرطاني يقول لابي المول: عن من أجل هؤلاء القوم ، وضها أنه يجد مقتاح المالم السياسي في الهيئة سوم من ذوى المسكناة من لندن ، وضهم أنه يجد مقتاح المالم السياسي في الهيئة الانجامية ، كان على علام الوزراء ، أما جورتشا كوف ، وقد وسلت إليه الماكسات المادسين لفكرة رئيس الوزراء ، أما جورتشا كوف ، وقد وسلت إليه المعاملينية لايمكن أن عمل إلا باتفاق الدول النظمي » ، ويكتب إلى الدوق بأن مسألة التسطنطينية الانجيل أما أحراً : « لكن غرضك التسطنطينية » ، فالتصر يسوع كل شيء رئيس الجيوش المدينة فن يخرجهم منها ؟

دخل النراندون أرض بلناريا ، وزاد قلق اللكة نقد نيا البرت داعًا بما المبرات ال

أنها تتنازل عن العرش في الحال ، فلتكونوا شجعاناً » - « إذا لم تنهوا إلى السماستكون العارضة أول من يتناب عليكم ، فإن التأخير بيضمة أسابيع أو بيضمة أيام قد يكون خطيراً » - « إن الملكم حزينة إذ ترى عدم الإقدام على شى. ، فقد قال لما لورد بكونسفيلد بيم الثلاثاء إن خسة آلان من الرجال يمكن إرسالهم ويادة الحاميات ، لكنها لا تسمع كلة عن أبه حرثة المجنود ، وقد زاد قلقها » - « إن الملكم تشمر دائمًا بالشجاعة كلا رأت لورد بكونسفيلد ، لكن لمنا السبب أو ذاك لا شيء بعمل » - « وتلك اللغة ، اللغة الهيئة التي وجهها لنا الوس فأن مشاعر أكثر رجال هذه البلاد ؟ » .

مهدد الملكة بلا انقطاع بأن نقرك هذا التاج الصنوع من الأشواك ، ودربي من جهة أخرى يعرض الاستقالة في كل فوسة . أما الوزر الكهل فهو يشمر بشيق التنفس وآلام النفرس ، ويحزنه أيضاً أنه لم ير عرزنه لادى برادفورد وصيام المرتقاليين فيكتب إليها ، « إنني مريض حقاً ، ولو أن لهى من الشجاعة ما أقابل به المنظر الذى لا بدأن يحدث في المركز الرئيسي حين أقدم استقالتي لفسك في الحال ، لكني لا أحتمل الناظر قط » .

أحيت مقاومة الأتراك الآمال إلى حين ، وكان الجيش في حالة جيدة ، وخطب السلطان جنوده قائلا : « إن سيف الثومن يفتح له طريق الجنة » . وعلم أن الجيش الروسي أوقف أمام بلفنا وخسر خمسين أنف تنيل ، وثلاثين ألف جريح عون على الغالب لمدم العنابة في المستشفيات المؤقفة ، وفي شهر أغسطس تولد الاعتقاد مهزعة الروس ، واعتقد المرشال دي مواتك ذلك والجلزا عب الشموب التوقوة ، وانجه الرأي العام إلى العامل على الاتراك ، وصاد النساس يتغنون في الشوارع «لسنا نريد الحرب ولا تربد القتال . . . ولكن إذا خصناها . . الح » وصاد من عادة النساس أن بذهبوا في يوم الأحد ليصفروا استهزاءاً أمام منزل جلادستون وبرشقوا زجاج النوافذ بالأحجار ، ومن قبل فصل أجداد هؤلاء المنظاهرين مثل ذلك بنوافذ ووق ولتجنون .

حلت عطلة البرلمان وذهب بكونسفياد للراحة في هوجندن وهو يتنفس في 
سموية ولا يستطيع المشي قط ، ولكي يذهب إلى الكنيسة بركب عربة مارى 
آن السنيرة وتضايقه الطواويس حتى قال : ﴿ إِنِّى لاَ كَادَ اَدْتُع إِلَى الرَّتَكَابِ نُوع 
من النظائم وأذيح هذه الطواويس ﴾ ، وعند عوده إلى لندن رأى طبيبًا استدمه 
البيش لده ، وهو الدكتور كيد من الذين يستقدون بمداوة الأحماض بمقاتير 
تظهر علامات المرض ، وخص الدكتور كيد هذا الجسد المتنى وقد عمراه ، كا 
يفحص المجند ، فوجده مربيناً بضيق التنفس وبغزلة شمبية و عرض برايت —حقا 
إنه جسد يسلح لمد الطريق دون الهند!!

#### \* \* \*

إن الخداع في اللسب لا يحتاج لنيو برودة في الدم لا تتزعزع ، وهو السعفة البارزة في رئيس الوزراء ، لكن كيف يمكن الخداع وللاعب شريكان أحدهما إلنارة في كل حكركة والآخر يكره اللسب حتى إنه في كل خطوة يسر على إلتا اللكة بنوع خاص نظيمة ، فعي تحبوزيرها أكثر بما يجبولا التي تقضى على كل عاطفة أخرى ، وهي تتمسك به ومود أن تنفق عليه علامات الشرف ، وعرضت أن تجمله من فرسان ربطة الساق ، لكنه رفض إذ وجد الشرف ، وعرضت أن تجمله من فرسان ربطة الساق ، لكنه رفض إذ وجد غير لورد ملبورن ، وجمحت له إذا ما كاتبها بغيذ التقاليد الرسمية ، وله أن يبتدى، الرسالة بقوله : «سيدتي ومليكني الحبوبة » ، وهي نفسها تجبيه : « غريزي لورد كبورنيا م و وغتم وسالها : « وثن أني أكن الك أكبر الاعتبار والود — بكونسفيله » ، وتختم وسالها : « وثن أني أكن الك أكبر الاعتبار والود — فيكتوريا م . 1 . » .

مع ذلك شايقته حقاً بعنادها الشديد، وينهما فارق هو أن بكونسفيلد، عمر على تجنب الحرب ويكاد يكون متا كداً من تجنبها ، في حين أن الملكة وحى أكثر تحساً صارت تتعناها ، وعند ما استولى الروس أخيراً على بلغنا ووسلوا إلى مرتفعات القسطنطينية ذكرة في بساطة بالوعود الماشية ؟ فعل لم يقل المورد بكونسفيلد إنه في مثل هذه الحالة يعلن الحرب ؟ فاذا ينتظر ؟ إن الروس دون أن يستشيروا أوروبا يفاوضون الأتراك في عقد معاهدة سرية ، ولا تلبث أوروبا أن تصير أمام أمن واقع ، فلورد بكونسفيلد ليس خيراً من الآخرين ، وكل الرجال جيناه ، وهي وحدها المرأة المسكينة عليها أن تبعث الحياة في كل شيء ، وكان لورد بكونسفيلد بريد انحناء أمامها ، ويحاول أن ينال المفو عن عدم طاعمها بأن يبالغ في عبارات إخلاصه : « إن لورد بكونسفيلد يذكر جلالتك وعدها ألا تكتب في المساء أو على الأقل لا تكتب كثيراً فهو لا يعيش إلا لها ولا يسمل إلا لها وبغيرها يخسر كل شيء . . . » وهم ذلك كان براقب اللسب

كان هنالك لاعب آخر كبير اقتصر حتى تلك اللحظة على التفرج ، لكنه 
ينتظر الفرصة ليشترك ، هو الأمير فون بدبارك ، وفجأة في ١٩ فيرابر رمى ورقه 
في خطبة كبيرة و بالريشستاج » وهي خطبة غامضة عن عمد ، لدلك كانت واضحه 
جداً ! فيسهارك الذي كان عليه أن يحتار بين المنسا وروسيا وامتلأ صدر حقداً على 
جورتشا كوف منذ حوادث سنة ١٨٧٠ انضم إلى خصوم الروس ، وأعلن أن 
لا مصلحة له ، فالسألة الشرقية لا تهمه كثيراً ، والقسطنطينية لا توازى عظام 
جندى من جنود بوصرانيا ، والذي تربده ألمانيا هو أن تتجنب النصال وسيكون 
دورها بين المسالح التضارية دور الوسيط الشريف ، فن الطبيبي أن تعرض 
دورها بين المسالح التضارية دور الوسيط الشريف ، فن الطبيبي أن تعرض 
في مؤتم أو مجلس يعقد – إذا أربد ذلك – في برلين ، وقبل كل ذلك في مجاملة 
مؤتم أو مجلس يعقد – إذا أربد ذلك – في برلين ، وقبل كل ذلك في مجامة 
حورتشا كوف في سنوات عديدة ، فل تستملع روسيا وهي مهددة من المجارا أن 
تتحدى ألمانيا فقبلت في الحال مبدأ المؤتمر ، لكنها قبلته في عبارة ندل على أنها 
تقصد منه إبلاغ الماهدة للدول لا عرضها علهم . 
تقصد منه إبلاغ الماهدة للدول لا عرضها علهم .

أخيراً نشرت هـ ف المناهدة وقرأها الشب الانجلزى في دهنة عظيه ،
وقد احترم جورتشا كوف في الغناص الوعود التي قطعها ، فظلت التسطنطينية
والمدوس والدردنيل حرة ، لكن تغيرت أوضاعها جميعها ، فتركيا خسرت
جميع ولايانها الأوروبية ، وأنشأ الوس دولة بلغارة تكون نابعة لم وتوجد لم
منفذاً إلى البحر الأبيش ، وفي أرمينيا يحتلون فارس وباطوم ، وبذلك يتقدمون
نحمو الهذب ويحيطون بالأتراك من الخلف . وقد صارت انجلترا بأجمها خلف
رئيس الوزارة بحوكة من تلك الحركات الجيلة في الرأى السام الذي يتحد وقت

ظل لورد بكونسفياد مادئًا جداً ، وكان فى رأبه أن الماهدة لا يمكن قبولها وأخير شوقالون أنه لا يذهب إلى المؤتمر إلا بعد اتفاق مباشر بين روسيا وتركيا على المسائل الشديدة الحلمل ، وهذه المسائل هى :

(١) ألا تنشأ دولة بلغارية كبيرة .

(ب) الا تنشأ أرمينيا روسية . وقنز الدغير : « إذن تريدون حرمان روسيا من جميع تمار الحوب ... » . رعا . وعلى كل حال أفههه رئيس الوزراء أن الجنترا تخرج روسيا من الأقالم التنازع بشأمها بالقوة إذا لم تجمد ترضية ، وخرج شوفالون قلقاً لكنه غير مصدق ، فلورد بكونسفيلد ليس الجلترا . وعقد على الوزراء ورغب رئيس الوزارة في الاستعداد للحرب وهو يقول : « إذا أصررنا على التبات والدرعة فإن ذلك يؤدى السلم وعلى شروطنا على أوروبا » ، اعبادات وإرسال الأسطول إلى القسطنطينية ، وحيث إن المسألة تسلق بالدخا عن الهند فهو يأسل بنوع خاص أن تشترك الإمبراطورية غضها في الدفاع عن نقسها ، وأن ترسل جنوداً من جيش الهند لاحتلال للراكز التي تتسلط على المواسلات الروسية أي لاحتلال قبرص والاسكندونة ، ووافق الجلس رئيسة فها عدا لورد دربي الذي قدم استقالته وهو يستقد أن هذه الإجراءات تؤدي إلى الحرب ورفض مسئوليتها ، وشعر لورد بكونسفيلد بشىء من الأسف لفراق صديق قديم وأحد أفراد عائلة دربى لكنه قبل الاستقالة .

ق هذه الرة استولى الخوف على شوفالوف ، فإن في استفالة دربي علامة ، ولم تكن روسيا تربد الحرب بأى نمن مع أجلتوا ، فقد ضعفت بسبب حلاتها الحربية وليس لها أسطول ، وهي تفضل التفاع مع بكو نسفيلد على التفاع مع بحرف نسفيلد على التفاع مع بحرف نسفيلد على التفاع مع وستمير نسف ما اقترح ومن غير منفذ إلى البحر ، لكنه عتمنظ بأرمينيا الوسية . على أن بكر نسفيلا لا يترخزع ، إذن هي الحرب إن لم تعلم لا بخلترا بأن الجنور الدين من مثل جبل طارق في غميه ، وق هدفه اللحظة وكانت مذه اللحية التمن المناف قبل أن بكر نسفيلا ، على الحرب إن لم تعلم المناف قبل المناف تعده المناف المناف قبل فيه التنازل عن قبرص الاعبلترا أما تمهد إعبلترا بالدغاع عنه براي لها تقد مدالوس بعد قارص وباطوم ، ورضى جورتها كو بأي البرا بالمناف المناف بعد في ما المناف بوالمناف بعد أن أبعلت على هذا الأساس ، وظلت تركيا دولة أوروبية وأوقف تقدم السلاف ، وعلد الهدل بالسامين الى البر سالين سعداء وإن كانوا متمين هيئا ما ما وقات بريطانيا: « إنه الدلل حسن لكنه عب للخاطر ».

\* \* \*

أما بالنسبة لبكونسفيلد فإن أكبر ما سر مه هو الحسول على قبر س ، فإنه أعلن عن ذلك قبل ثلاثين سنة في رواية ناتكريد ، ويلذ له أن ينقل رواياته وخيالاته هكذا إلى التاريخ ، ثم إن قبر س هي جزيرة فينوس ، وقد منحجا رينشارد قلب الأسد إلى لوزينيان ملك القدس فصاركونت بافوس ، والآن ضعت ، دينة افروديت ومملكة السليمين الحالة، إلى جبل طارق ومالطة لتتم البحر الأبيض الإنجازي ، إنه ليوم عظم حمّاً لذى هذا النمان السجوز الذي يجد لذة في هذه الألمال

الدنيوية .

### مۇتمر برلىن

المؤتمر الدولى هو أكبر سوق للزهو والخيلاء ، فهو أولا يقفى فى داخل كل بلد على اثر هو القوى ؛ يستقد كل رئيس وزارة أنه هو وحد، القادر على تثيل سياسة بلاده ، ويستقد كل وذير خارجية أن الرئيس لا يعرف شيئاً عن السياسة ويظن كل سفير مثل ذلك فى وزير الخارجية ، فإنا اجتمع المؤتمر وجلس النظاء وجها لوجه ، فهو جوقة موسيقية مؤلفة من المازفين الأوائل على السكان ؛

كان البرنس بسارك يأسل ألا يأتي كبار المطاين ، وانتظر أن يأتي من روسيا شوفالوف الذي يأس للا يشبه وقد نظم معه قسما من البرنامج ، لكن جورتشا كوف رأى أنه لا يستطيع أن يضع تفته في أحد ، وتحكن من إنساح المراطوره ، وعزم بسارك على أن يحمله على دفع الحساب المسافى قائلا : ٥ لن ينتظر حضور رئيس وزارتها فمن غيره يفهم الشرق ؟ عين كل من لورد بكونسفيلا ولورد سالسبرى مندويين ، وعمركت القطارات الخاسة ، وفكر بدياك : ٥ إن المؤتمة مو أنا » ، وشعر الكملان الضعيفان التعددان على غدات عربة القطار ، وهى تتجه من بوكسل ومن بطرسبرج نحو تراين ، وها بكونسفيلد وجورتشا كوف ، يمثل شعور بهارك .

ق هـ ذا المؤتمر الذي أربد به مناقشة الماهدة في حربة وسلت جميع الدول ومى عاقدة اتفاقات سربة ، فقد مقدت إنجلترا مع روسيا اتفاق لندن ، وبعرف الاتراك أنهم تنازلوا عن قبرص لكهم يجهلون الانفاق الإنجلزي الروسى ، ووعدت الخمسا من كل من انجلترا وألمـائيا بالبوسنة والهرسك ، وأعطيت إياحا دون أن تضرب ضربة واحدة ، وضمن لفرنسا أن تبعد مسائل مصر وسودراعن المناقشة ، ولم يتصور الجمهور الإعجليزى وهو يتخيل فى خوف ممزوج بالإعجاب ، مواجهة لورد بكونسفيلد للذئب الروسى ، إلى أى حدكان المنظر بحضراً .

\*\*\*

لما وصل لورد بكونسفياد إلى فندق قيصر هوف الذى نزل فيه وجد المائدة فى قاعة الاستقبال منطاة بأكلها بسبت من الزهور ، وسندوق كبير من الشليك اللذيذ ، وضمت حوله أزهار البرتقال والورود ، وهى هدية الترحيب من ولية عهد ألمانيا وهى ابنة الملكم فكتوريا .

تمارف الرجلان وعرف كل مهما قدر الآخر ، وقد تقابلا قبل ذاك بعشر سين فحذر كل مهما ما في الآخر من ذكاء وإرادة ، ووجد بكونسفياد أن بسيارك تغير كثيرا ، فذلك المعلاق الذي عربة في سنة ١٨٦٧ متقع اللون في محافة الزنبور سار شخيا ، وأرسل لحية يسناء على وجه خشن ، لكنه وجد فيه اللون الذي أحبه ، وهو البساطة مع شعوره بالحقائق ، وشيء من الخشوة والصراحة الوحشية ، وهو يصرح بأشياء فظيمة في صوت حلو يدهش لخروجه من هذا الجسد الكبير ، وقد قال له بسيارك إنه ينوى أن يسير بالؤتم على قرع الطبول ، لكنه برى أن يخصص الأيام الأولى والمقول لا تزال يقتلة المسائل الكبرى التي قد تشبب عام الحرب ، وعلى ذلك يجب الابتداء يلغاريا .

فى اليوم التالى ، وفى الساعة الثانية ، اجتمع المؤتمر للمرة الأولى فى قاعة ذات منظر فخم يتغق مع الثيـاب الرسمية المزركشة بالدهب للسياسيين ووساماتهم وأوضحتهم ، وص كل منهم قبل الجلسة بمقصف ليشرب كأساً من تبيذ بورتو ويقضم قطمة من الفطير ، وطلب بكونسفيلا أن يتعرف إلى أعضاه المؤتمر الدولى ، وكان العضو النركى كاراثيا دورى باشا ، وهو صغير السن ، أسود اللعبية ، وقيق الحاشية ، و تعرف إلى جورتشاكوف العجوز اللهدم ، وإلى كورتى العضو الا يطالي ذى الوجه الذى يشبه وجه اليابانين ، وإلى واديجتون الندوب الفرنسى ، وهو نصف انجلزى بنشأته ، وإلى اندرامى الخمساوى . . . نم كل تني ، يسير على أحسن وجه ، فليس من عمائقة بين الندوين غير، وبسارك .

سار بسهارك بالمؤتمر فى دقة حربية ، وتم الانقاق فى الحال وبلا مناقشة على تقسيم بلغاريا إلى قسمين بفصل بيمهما خط البلقان ، وبعد ذلك سارت كل الأمور على غلى غير ما برام ، فقد منح الروس للأتراك حدود البلقان ، وأرادوا أن يحرموهم حق الدفاع عنها أو إبقاء جنود فى ذلك القسم من بلغاريا الدى ترك لهم ، ومعنى ذلك القساء على جميع تتأمي مؤتمر لندن بطريقة غير مباشرة ، فإن بلغاريا غير المباشرة تكون مهمة أخرى محت وحمة روسيا ، ويكون لروسيا منفذ إلى البحر الأسفى المتوسعة .

أرعد بكونسفيلد ، إذ يجب على حكومة بطرسرج أن نشاذل عن وممها بأنها تستطيع مجاوزة رغبات إنجلترا . وغضب جورتشا كون وصار عنيدا ، وأعلن لورد بكونسفيلد صراحة أن النصوص الانجليزية تعلوى على إلغار ، وأرسل الروس فى دهشتهم رسولا خاصا إلى قيصر روسيا ، وكتب بكونسفيلد إلى الملكة : « إنى لا أخدى النتيجة حيث أنى أخبرت ذوى الشأن بأنى أغلار المؤتم إذا لم تنهم آراء إنجلترا » .

قى سباح اليوم الذى ينتعى فيه أجل الإندار، طلب بكونسفياد من كورى وهو ينتزه على ذراعه فى شارع أونتر در لندن ، أن يجهز قطارا غاسا لفقل الوفد البريطانى إلى كاليه ، وأبلغ كورى هذا الأمر إلى مسلحة السكك الحديدة الألمانية ، وكانت النقيجة سريمة ، فقد أتى الأمير بسارك فى الساعة الثافة وخس وأربين دقيقة إلىقيصر هوف وقال لكورى : «خذفى إلى لورد بكونسفياد ونهيى فى الساعة الثالثة وخس وخسين دقيقة ، فإنى على موعد» . وسأل عما إذا كان من للمكن إيجاد حل برضى الغريفين ؟ فأجيب : «لقد وجـــد الحل عند ما عقد اتفاق لندن ، ولم بين سبيل للرجوع فيه » ، فسأل : « هل يستبز هذا إنذارا ؟ » فأجيب : « نم » . فقال إننى مضطر لقابلة ولى المهد الآن ، ويجب أن تتكلم في هذا الأمر ، أن تتمشى اللية ؟ – « في السفارة البريطانية » . « أحب أن تتمكمي عندى ، وسأكون عنرى في الساعة السادسة »

كتب بكونسفيلد للملكة : « قبلت دعوته وبعد العشاء ذهبنا إلى غرفة أخرى وأشمن أسبت صحي بالشربة أخرى وأشمن أسبت صحي بالشربة الأخيرة ، لكني رأيت ذلك الأحم لازما ، فني نلك الأحوال بكون للرجل الذي لا يدخن مظهر التجسس على كالت الآخر . . . وأمضيت ساعة ونصف ساعة في حديث من أهم ما يكون ، كمه سيامى ، وقد اعتقد أن الانذار لم يكن عبئا ، وعلمت في ارتباح قبل ذهابي للفواش أن حكومة بطرسبرج سلمت » .

استطاع أن يرسل فى اليوم التالى برقية إلى لندن : « قبلت روسيا الاقتراح الانجليزى فيا يتملق بالحدود الأوربية للأمبراطورية التركية ، والحقوق المسكرية والساسة للسلطان » .

قال بسارك : « لا ترال تركيا مهمة أخرى في أوربا » ، وقال جورتشا كون متنهدا : « القد نحينا عالة ألف جندى ومانة مليون جنيه للاشي» » . ورفع هذا الحادث من قدر لورد بكونسفيلد في عيني بسارك ، فكان يقول : « إن الرجل عندى هو ذلك المهودى المجوز » ، وتوطدت الصداقة بينهما ، وصارا بجدان لنة غربية في أن يشكلا مما في أمور الهنة ، ويجبان أن يتباحثا في علاقات الأممهاء والوزراء والبرالمات ، ومن التسادر أن يجد الانسان رفيقاً له في السمل عند ما يكون رئيساً لوزارة ، ومن التلبيق أن يشعر بالمطف عليه . وكان بسهارك ترى في نفسه أنه أعلى من الآخر لأنه أقل أغراضاً وأكثر استهارا . أما لورد بكونسفيلذ ففيه مواضع النسف وفي درعه منافذ ، وهو لا يقام كثيراً إذا ما هوجم يسمض الآواء . ولاحظ بسارك مواضم ضمفه ، ولد أن أن يعارضها ويستنفها ، وكان بكونسفيد من ججته قد اكتشف النرض البعيد الذي رمى البه الستشار ؟ وكانا ذات مهة واقفين أمام خريطة وهما يتناقشان فى مسألة الاستمهار ، ورأى بسارك من حسن السياسة أن يظهر العارشة الفكرة ، وصم بكونسفيك بإصبمه على بلاد البلقان وتسامل : « ألا تظن أن هنا ميداناً صالحاً للاستميار أيضاً ؟ » . فنظر إليه بحارك ولم يجب .

\*\*\*

صار ممل المؤتمر بعد ذلك عاديا وشبها بالجياة البرانانية وإن فاقها للة ، ولو لم يكن لورد بكونسفيد مصاباً في ذلك الوقت بالتقرس لسر لهذه الحياة ، لم يحب بسيارك وحده ، بل صاد لجورتشا كوف صديقاً ، وقال عنه إله جم الأدب ورقيق ، وإله لما يؤلني أن أسبب له مضايقات كثيرة . وكان الجو شله في أحلام ليلة منتصف الصيف و عضون ليالهم في بوتسدام عاصمة المملكة الصغيرة ، وفي ليلة أخرى يتمشون لهدى السفارة التركية فيا كلون ألد طعام ومنه (البيلاف) ، وهو الأرز المجبب المصنوع على الطريقة التركية ، وتناول منه مسيو وادنجنون مربتين ، أو يتمشون عند المول بالإنشرودد ، حيث لا تعزف غير موسيق فاجنر وإذا سار لورد بكونسفيا. في الشارع التفت الناس إليه ، وأرسل بالمو الكتب برقيات إلى إنجلترا يطلبون نسخاً جديدة من رواياه ، واشترت مكتبات الشعب مجموعات كاملة من مؤلفاته في طبعة كاوشتؤ .

فى الأسوع التالث انفجرت قبلة ، إذ وقفت إحدى السحف الانجليزية وهى ها الجلوسيه على سر الانفاق مع شوفالوف على أرسينيا وقد اشتره من كاتب على الآلة السكانية بوزارة الخارجية ، وكان تأثيره على شعور الانجليز عقلها ، وكان الاستيلاء على قبرص لا بزال سرا ، وليس من تمويض ظاهم، بوازن الفتوحات الروسية فى آشيا ، وقامت ضجة شديدة فى الصحف ، حتى إن الفندوين الانجليز حاولوا الرجوع فى اتفاقهم . هوكان بسارك بوجد الحوادث لمجرد الله فى تسويتها فكانت مشاحنات هؤلاء السكول الذين فات زميهم مضحاً أمام عقله المجدد العقيق الواقف على الأمور تماماً . ولم يكن كل من جورتشا كوف وبكونسفيلد جغرافيا ، ويحب جورتشا كوف على قوله بأن يلق نظرة إجمالية على الحوادث ، لكن أمام الخريطة لا يستطيع أن يشير إلى باطوم ، وازعج شوفالوف عند ما أخبره رئيسة أنه يحتفظ لفضة بمسألة الحدود الأميومة ، وأنه يتفاوض مباشرة بشأتها مع لورد بكونسفيك .

لما أخبر شوفالوف اللورد سالسبورى بهذا الخبر قال: كيف يا سيدى! إن لورد بكونسفيلد لا يستطيع المفاوضة ، فإنه لم ير قط خريطة آسيا الصنرى » .

بعد يضع ساعات علم المؤتمر في ارتباح أنه تم الاتفاق على الحدود . وعقد البرنس بسارك جلدة عامة ، وجلس بكونسفيله وجورتشا كوف إلى جانب بسفهما ، وطلب مبما أن يشر ما نصوص الاتفاق ، وعرض كل مهما خريطة الجلدود الجديدة ، لم بعلم أحمد ماذا حدث ، وقد ادعى شوطاوف أن جورتشا كوف الحدود المرتوب بنا من أركان الحرب الروسى فيه الحدود الرغوب فيها ، وآخر فيه الحدد الرغوب فيها ، واتخر فيه الحدد بالأخير بين أخذا يتراشقان الأخير بالكلام في عنف مضحك حتى قور بسارك في لهجة السخرية إيقاف الجلسة نسف ساعة . وفي هذه الفترة بين فسلين حاول شوفالوف وسالسبورى وبرفس مومناده أن يجدوا حلا للمسألة ، وتم ذلك واتفقوا على حل وسط .

فى اليوم التالى أعلن الأعجلة الاتفاق الخاص بقبرس ، وفى هذه المرة تحمس. الجمور الانجلزى وسر سروراً عظها بهذا الموقع السكرى فى الشرق الأدفى. وبالبحر الأبيض الانجلزى ، بل لاقت هذه الجرأة الهزرائيلية ثناء حتى فى الخارج وقالت جريدة « الديا» الفرنسية : « إن تقاليد إنجازا لم تحت عاماً فعى تعيش. فى قلم احمأة وسياسى مجوز » .

\* \* \*

أعد الانجليز العدة للاحتفال الفخم بعودة المندوبين إلى لندن ، وزينت محطة

شير يح كروس برايات جميع الدول المشتركة في المؤتمر ، وباوران النخل وبالأت إنوهم ، وربطت الورود حول الأعمدة ، ووقف جمهور عظيم ينتظر ، وعندما نزل رئيس الوزواء من عمرية القطار حياء دوق نورتبرلند ، ودوق سئرلند ، ودوق أركورن ، ودوق بدفورد ، ومحافظ لندن ، وأعضاء عملى الدينة ، وكان جون مارز بين المستقبلين ، وسير دوبرت بيل عمل الوزير المنظيم ؛ وممرالز مبل الكهل بيسوية وهو مشكي على ساعد لورد سالسبورى بين سفين من النبلاء والنبيلات .

ما خرج من الحملة حتى ارتفع المتناف العظم ، كان ميدان ترافلجار سجاداً من الرؤوس ، وكان الجمهور يلوح بالقيدات والناديل ، وتقفف النساء الأزهار وعندما وسل إلى سبانى الوزارة مداوننج ستريت ، وكانت منطاة بالألوان الحمراء ، وجد باقة هائلة من الأزهار مرسلة من المسكة ، وعند ما استمر الهتاف ظهر في الشرفة مع لورد سالسبورى وقال للجمهور : « أظن أننا جئنا لكم بالسام مع الشرف » . بعد بضمة أيام كان راكماً أمام المسكة في أوزبون وهي تنم عليه بالوشاح إلى الصغير في ابهاج ما عدا مستر جلاوستون الذي بلغ غضبه حد الجنون » .

# أفغان وزولو وفيضآنات

لو أن لورد بكونسفيلد أجرى الانتخابات على أثر مؤتمر برلين لسمن السلطة ست سنوات أخرى ، على أن أجل البرلسان لا ينتهى قبل سنتين ، وهو برلمان غلص ، فقرر عجلس الوزراء أن يتركه فى الحياة إلى نهاية أجله ثم يموت موتًا طبيعيًا ؟ وفى ذلك ثمة أكثر تما يجب بالأقدار ، ومن شأن البلاد أن تمل سريعًا عظمة الذين رفضهم إلى المجد ، ويجب أن يسألها المر ، فى الوقت الذى يكون فيسه ، موضع الإعجاب .

فا منت أساييع على هـ قد الانتجار حتى غامت الساء من بييد ، فقد أخذ الروس منذ زمن يتوددون إلى أمير الأفنان الذى تتسلط أواضيه الجبلية على أبواب المنسد ، وأرسلوا بنته إلى عاصمته بالانتفاق التام مع الأمير ، فائار هذا النجاح غيرة لورد ليتون حاكم المند ، وكان رئيس الوزراء قد اختلا ابن صديقه بوار لهذا النصب ، إذ عرف أنه واسع الحيال كغير الطعوح وقوى الإرادة ، وأثبت الحوادث أنه حائر على قسط أكبر بما يجب من كل هذه السفات ، نصحه عرف بعد منه النسيعة ، وأرسل مناوية بمنة إنجليزية إلى كابول ، كن الحاكم على على يعد هذه النسيعة ، وأرسل من سنوليته بنتة إنجليزية إلى كابول ، غافق أمير الأفنان مندوبي لورد ليتون لدى الحدود الممندية ووجد بكونسفيلا في موسخ عليرة ، فقض عنه بالماكم المنافقة على المنافقة على موسخ عليرة ، فقض عنها شديدا كوثب يقول : « وحدى ، وإما إلى الدخول أو نقائل المنافقة عنها منافقة عنها شديدة وعتبين على سياسة الاعتداء القوائمار والنسيحة مندون بالحرب الطالمة ، وعتجين على سياسة الاعتداء الواقة المنافقة على سياسة الاعتداء الواقة المنافقة على مباسحة الإعتداء الأولاد والنساد والسيحة مندون بالحرب الطالة ، وعتجين على سياسة الاعتداء الواقة من البحورة ولم وحدى من هدة والمساحة من يحور والنسار البيدة ودور صوحتهم في هدة والمساحة بالمنافقة الإسلام بالمنافقة الإسلام بكونسفيليد عادها ، وأخيره المنفاد أن البيدة ودور صوحتهم في هدة

في هذه المرة فهل يتخلى عن ليتون ويثبت براءة الحكومة على حساب مرموس إن ذلك نما لا يتفق مع مبادى رئيس الوزارة الذى عنف ليتون ولكنه أمده في موقفه ، وقد هزم الجنرال روبرقس جنود الاميروأ لجاهم إلىالفرار فاختف الممارشة كما تفعل دائماً في ساعة الانتصار وعادت البلاد إلى تقمها به .

الكن عند ما يستيقظ الحسد في نفوس الآلمة لا مهداً سربعاً ، فقد كانت السناعة مند سنوات في رخاه ، وقد حدث بها أزمة من الأزمات الدورة بسب سوء الحاصلات عدة سنوات ، ويجب أن تلام الحكومة على ذلك ، شكت المارسة من أن الحكومة لا تعمل شيئاً ، وكتب لورد بكونسفياد إلى لادى برادفورد يقول : « لك الحق في أن تظنى أن الشيء الذي يستفرق أكثر مشروعات عديدة ومقترحات ، ومنالك أسباب كثيرة لعدم قبول هذه الشروعات مشروعات عديدة ومقترحات ، ومنالك أسباب كثيرة لعدم قبول هذه الشروعات المارشة التي لا تتورع عن شيء تتخد هذا الموسوع لناية حزيية ، وإذا لم تؤيد مقترحاتهم المهموا بقلة الوطنية ، وإذا أم أفام المن لم غفرها » . كان في ساعات وحده يفكر عند في بالطس سع يبل ،

من سوء الطالع في إدارة هـ نم الاسبراطورية النظبة أن محدث حوادت مناجئة وخطيرة في أبعد نواسي الدالم ، كان الجنائل لا برال يتماعد في بلاد الأفغان ، وإذا النار تصب في جنوب أفريقا ، فقد داشت في تلك الجهات منذ مدة بسيدة تلاث مطالت متعادة ، حبيا إلى جنب ، وهي الانجلز في الكاب ، والبور الموددون في الترانسفال ، والسود في أرض الزولو ، وقد يحم لورد كار الرفون وزير المستعمرات في كندا من قبل ، إذ عكن من الترفيق بين الولابات المتنافسة . وأن منا الترفيق بين الولابات المتنافسة . وأن منا الترفيق بين الولابات المتنافسة . منافس منافس منافس المنافسة بالمنافسة بالمنافسة بالمنافسة بنافسة المنافسة بنافسة المنافسة بنافسة المنافسة بنافسة بنافسة المنافسة بنافسة ب

ضم هـ نده البلاد على الخصم الطبيعي الزولو فاتجهوا بحو الانجلز ، وأخطأ لورد شلمسفورد قائد الجيوش في الثقة بالاحوال ، وإذا بالجمهور يسمع فجأة وهو على غير استمداد بوقوع كارة ، وأن السود أعاطوا بمركز أركان حرب الجنرال شلمسفورد وقاط أو أسروا بحو ألف جندى وخمياة ، عضبت البلاد في هـ ند المرة ، فجون بول يسفق ما دامت وزارة المحافظين تحصل على السلم ، لكنه عندما وأى نفسه مشتبكا في حروب مضحكة في الجهات الأربع من ألمالم ، مدأ يقول لنفسه . رعا لم يخطئ جلادستون إذ تكلم عن أخطار المستممرات ، وعن الجنون الساسي لمنافسه .

مما زاد الحالة سوءا أن الأمير الفرنسي الشباب ابن نابليون الثالث أراد الدهاب للقتال في جنوب أفريقا ، حاول بكونسفيلد بجميع الوسائل أن يحول دون هذا السفر ، لكن اللكة والأمبراطورة أوجيني أُصَّرًا على سفره فأدَّعن الوزير « وماذا يفعل المرء أمام احمأتين عنيدتين » . وفي أوائل نونيه سنة ١٨٧٩ قتل الزولو الأمير في إحدى المناوشات الأولى ، حزنت اللكة حزناً شدمدا وهي تحبه كثيرا ، وشعرت بأنها مسئولة بعض الشيء عن وفاته ، فأرادت أن تحفف الوطأة على ضميرها بأن يكون الاحتفال بجنازة الشــاب القتيل رسميا ؛ واحتج رئيس الوزارة ، فماذا تقول حكومة فرنسا الجمهورة إذا احتفل بأحد أفراد عائلة بونابرت احتفالا لا يجوز لنير اللوك ؟ غضبت الملكة ، ورأت أن الأمور تسير سيرا سيئاً ، ولعن بكونسفيلد عروس الجن ؛ ولعن لورد شلمسفورد وأفوام الزولو قائلًا عنهم في مرارة : « إن هذا الشعب جدير بالإعجاب ، فهو يهزم قوادنا ، ويغير من عقيدة أساقفتنا ، ويختتم مهائيًا ناريخ أسرة فرنسية كات حاكمة » ، حاول أن يبتسم ؛ لكن الملكة حانقة وهي لًا تقابله إلا في فتور رسمى ؛ وتألم لذلك وكتب إلى المركزة دلى رسالة يقول فها : إن طبيعتي تتطلب إما الوحدة التامة ، وإما العطف الـكامل ؛ وهى رسالة فيها جرأة وإخلاص ، وعمف أن اللكة ستطلع عليها ؛ وفيها ﴿ إِنَّهُ لَمَا يُؤْلَنَى كَثَيْرًا أَنْ أَفَكُر أَنْ كَلَالَى

أو تصرفاتى لا ترضى جلالها فإنى أحب اللكة ، ولملها النخص الرحيد في العالم الدي تقلى كيف أن عدم رضاها السالم الدي ذلك نوعا من السالمة من يتبنى ويقلق نفسى حين أشعر بسحاة بيتنا ، لمل في ذلك نوعا من السالمة من جهتى ، لكن قلى للأسف لم تبلغه الكهولة كما بلنت جسدى ، وإذا تأثر قلى تألث كما كنت أضل منذ خسين سسنة » . جامة برقية ندعوه إلى وندسور ، وكانت عموس الجن رقيقة معه ، ولم تشكل عن شكايتها ، ومن الواضح أنها قرأت الرسالة ، لا تخلو إذن مهنة الروائى من الفائدة ؛ وفي الحق أنه كانت

أخيراً في بحو شهر أغسطس سنة ۱۸۷۸ هدأت الأمور في الظاهر ولم يين جندى روسى واحد في أراضي السلطان ، وفي الهند قبلت البعثة الإعجازية في كابول وفي أفريقيا الجنوبية أسر ولسلي زعماء الزولو ، وظل سوء الجو هو الخيطر الوحيد الذي يهدد الوزارة ، وهذا لايقهر، ووبرتس ولا ولسلي ، وابتدأ محسول ردئ خامس ، وأمطرت الساء في هوجندن ليل مهار ، وسار بكونسفيلد يتنزه تحت النيسان وهو يتمثر في الأوطال السميكة ويسائل ممادعيمه على تركت الحالمة السفينة ، وفقدت الطواويس أكثر ريشها ، ومع ذلك استعرت تمني منهوة السفية كال ذائل .

هنالك بلغ رئيس الوزارة خبر فغليع هو مقتل جميع أعضاء البعثة الانجلزية في كانول، والحقيقة أن الأقدار كانت تعاكسه .

مرة أخرى كان في انجلترا على الأقل رجل يعتقد بأن هـ فد المذاج وهـ فدا الفشل التكرر وهذا الفيضان ليست موجة لا تعفع من موجات الزمن، وإنما هى عقاب أوقعه رب الجيوش لأن شعبه أنار غضبه بالتضحية لاله أجنى . ومذهب بكونسفيلد فى رأى جلاوستون هو عقيدة ملحدة دنست نفسية الشعب الانجمايزى وحلته على عاربة جيم أم الأوض وجرت عليه اعتماما عادلا . بدأت البلاد تفهم الآن أنها انقادت لنبي كاذب ، وتبعث العلامات الكثيرة على الأمل بأنه سوف يندم على عقيدة فى الانتخاب القبلة ، فهل لا يكون واجب جلادستون عندئذ أن يتولى مقاليد الحكم لكي بمول عرى السفينة ؟ أعرب مراسلوه العدبون عن رغبته وغل عن و وقتل له أحد الأسانذة الاسكوتلنديين بعض المثل من جيته لا يحف يستطيع الإنسان أن يصل إلى معرفة نفسه ؟ بالتفكير ؟ من الؤكد أن لا لكن بالمسل فحاول أن تقوم بواجيك وعندئذ تعلم لماذا خلقت ، لكن ما هو واجبك ؟ ما تتطلبة الساعة ٥ وكتب إليه آخر يقول : إلن أولاده يسمون واجبك ؟ ما تتطلبة الساعة ٥ وكتب إليه آخر يقول : إلن أولاده يسمون رئيس وزارة ، لكن كيف ؟ فقد أعلن في كل مكان أنه يترك فيادة الحزب ، وارتكب حافة بأن أخبر الملكة بذلك وكر القول ، وهي تنذكر بلا شك هذا القول ، ترك ها وتتبعنون وجراففيل يحتلان المكان الأول ، فكيف يطردها التعل التجاح من غير سخرية ، ثم هل هو برعد ذلك ؟ ألم يتعنى اعترال العلم استعاد النجاح من غير سخرية ، ثم هل هو برعد ذلك ؟ ألم يتعنى اعترال العلم استعاداً للموت ؟ لكن ضعيره القال التشمب وجد طرقا متشبة وأكيده .

اختار التقدم للانتخابات في دائرة المكونلنديه هي مداوتيان ، وقام فهما برحلة انتخابية بالرغم من عدم إعلان الانتخابات ، وقويل مقابلة الظافر ، في المحطات التي وقف فها القطار همرع الآلاف من سكان القرى البعيدة لرؤية الكهل الكبير ورؤيت جيوش السامين تتحرك على القم المنطاة بالتلاج ، وفي المدن كانت القاعات التي تتسع لسيالة شخص يطلب الدخول إلها خسون ألفاً ، صدار جلادستون يلق تلاث خطب أوأربها أو خسافي اليوم ، وكان ذلك السيل المستمر من السيادات وهي مسحورة ، قال لهم إن المسألة ليست تتملق بالوافقة على هذا الإجراء السياسي أو ذلك ، وإنما هي الاختيار بين مذهبين خلتيين فنذ خس سنوات لم نسمع كلاما أو ذلك ، وإنما في الاحتوار بين مذهبين خلتيين فنذ خس سنوات لم نسمع كلاما والمتعربة ، والمعلورة الملمية ، وإيجاد جبل طارق حديث ، ومانظر بت أوربا

ووقعت الحموب في الهنند ، وصارت أفريقا لطخة من الدماء لماذا ؟ لأن في العالم شيئاً آخر غير الضرورات السياسية ، ففيه الضرورات الخلقية و تذكروا أن قداسة الحياة في قرى أفغانستان الواقعة بين تلوج الشتاء هي في أعين القادر ذات حرمة لا تقل عن الحياة في مدننا » .

هذا الرجه الجيل كوجه الطير الكاسر ، وهانان الدينان النافذان الجادئان وهذا السوت الذي تبسدو قونه المستمرة كمعيزة ، وهذه النزعة الحلقية الدينية السامية أثارت إيجابا مشوبا بالتلق في القرى الاسكوتلندة لاسيها لدى الرجال ، فكاتهم يسممون الكامة للقدسة وينظرون إلى نني .

اهترت البلاد بأسرها التلك الحلق ومدارتيان وملت أعمدة السحف وتنست العائد المروقة بنفوها الديني هذا الحلج الحاسى ، وكان المنافسة صارت بين مدارتيان ومكن المنافسة صارت بين مدارتيان ومكن المنافسة ما ومكن المنافسة والمنافسة والمنافسة والمنافسة وأدبين كلة ، أما الشيطان فكان بقوم والموسود بعمله اليوى كرئيس الوزارة والدنمة والذات كلة منها جلادستون وتسنمه والوجها ، تعب بكو نسفيلد من كل هذه الضجة التي قام بها جلادستون وتسنمه النبرة على الأخلاق ، وقلك الدورة الإلهية ، وضايفته نقل السوحة البدنية التي يتمتع بها منافسه وتلك القوة النائحة في ذلك السوت ، فإذا انتهت النسبة كتب إلى أحد وزراة يقول « انهى ذلك السيل من الخطابة أخيراً وإنه اراحة بلاشك ، لكن لم أقرأ كلة واحدة » ثم باللامنية ، من النصاحة والقبل من الممكة » .

عند ما جاءة الفرصة ليتكلم في ولحمة سنوية لدى المحافظ ، حيث يحتفظ بجاد اللدينة من عهد بعيد بحق سماع تصريحات رئيس الوزارة بعد شرب حساء النرسة ، أكد الرئيس حسن السياسة التي سار عليها وقال : ٥ مادام الشعور بقوة الجائزا تأكم في مجالس أوروبا فإني أعتقد أن السلم سيسود ويسود لمدة طويقة ، أما إذا ابتمدنا فالحرب لابد مها ، وهوموضوح أتكم عنه في ثقة لأهل لندن لأني أعرف أمهم لا يختجلون من الامبراطورية التي أنشأها أجدادهم ، ولا يختجلون من عاطنة هى نبيلة ، لكن الفلاسفة بنددون بها الآن ، وهى عاطنة الوطنية ، ولاننى أعرى أمهم لا يمتقدون بأن بقاء إمبراطوريهم فيسه خطر على حريبهم ، سئل رجل من أعاظم الومان عن سياسته فأجاب : الامبراطورية والحرية ؟ وليس ذلك بالبرنامج السي وزر بوطانى ، وهو برنامج لا يتردد أمامه جميع مستشارى حلالة اللحكة ».

## العالم الخارجي

كتب بكونسفيد في أحد الأيام إلى اللكة : « ليس كل ما له مظهر الجده و حندامًا » ، وكان يستطيع أن يسنيف إلى ذلك في مهولة : « وما له مظهر الأخلاق ليس دامًا من الأخلاق، لكن الناخب الامجلزي فيه ترعة الجدوزعة الأخلاق، ومن يعرف كيف بعرض عليه الوقائع على أنها بما عن النسعير يحصل على سوته على الأقل في غير للدن.

أ تكن الانتخابات سوى مبارزة بين بكونىفيلد وجلادستون ، كان بكونىفيلد في لندن أحب الشخصين إلى الشب ، فالحافظون والكيرون من الأحراد المستداين أيضاً بينسون تقهم فيه ويكرهون جلادستون ، صاد لدى جمهور الماصمة توعا من الماهد الوطنية ، فإذا ركب عمية قال له السائق: « إلى أعرف من أنت ياسيدى ، وقد قرأت كتبك جميها » ، وعندما يعود من مجلس اللاورات وهو ملتحف عمطفه المطن بنرو الاستراخان ، وقد اتسع على جمده النامل وهومتكي، طيذراع كورى الأمين ، فيقف قليلا لينفس وهويقطع الملديقة ولا تزال يجبل عينيه الحزيئين اللين نبان عن طبية النفس في جواب المياة ، وأحيانا تقدم إليه الماهمات السنيرات وهن يصدن الرجال في الضباب اللهج، وقد جذبتين إليه يقته من الفرو النين نهان عن طبية النفس في جواب المياة ، الحرفة ، فيرفع الوزير الكهل بده بمسوية نحو قبعته ويجبب في أدب كير فاف غير هذه الليه ياعزيزق ! في غير هذه اللية !» . كانت جميع النماء من جميع الطبقات تقريا في صفه . وفي حفية عشاء جمت راقصات لللاهي ألقي سؤال هو : « من توريا في صفه . وفي حفية عشاء جمت راقصات لللاهي ألقي سؤال هو : « من دزرائيل ما عدا واحدة قالت «جلادستون» ، وعند ما لمها على ذلك قالت « إنتظرن إنى أود أن أتزوج جلادستون لكي أهرب مع دزرائيلي ثم أرى كيف يكون وجه جلادستون عندانه » ، روى هذه القصة لدزرائيلي لورد شاب حضر هذه الحفلة وهناه على اتساع دائرة حب الجمهور له وقال له : « انتئبط فقد رأيت الملكة أسى وهي تمتيرك أعظم رجل في دولها وهؤلاء الراقصات بعيدنك » ، أشاء ذلك الرجه الصامت قبلا ، وقال بالطبع أنا راض فإ نك تعرف عواطني الرقيقة بحو النساء عبد الم اوى هذه القصة في بهاية انمقاد مجلس الوزراء ظل الوزراء غير المهن و تناظروا فها يهيم .

وجد الحزب فى هذا النشال أن عدم مبالاة الرئيس عجيب، فهو بخاطب عشوا شايا انتخب حديثاً فيكلمه عن البهودى النسائه وعن بيرون وعما يسميه النفس الأدبية ، وعن كلاب لارى برادفورد ، وهو يتكلم إلى سبر اظين بارج وقد عاد من مصر فيمتد اليسوعين ريسال تفسيلات عن طير أبى تردان فى النيل ، وهو حتى فى مهاسلاته مع الملكة بذهب نحو الفن « عاد لورد بكونسفيلد إلى قراءة بعض روايات شكسير التمثيلة كى يشغل ليله ، وسها حلم ليلة فى منتصف السيف ولم يقرأ شيئاً من هذه الروايات منذ ربع قرن ، وما لاحظه هو أن جميع حوادث هذه الرواية تقع فى ليلة من شهر مالو ، فن أين يأتى هدفا الدنوان الذى لا يلتم معها ؟ إن لجلائك الكثير من الذوق الشعرى والثقافة ، ورعا أنك تستطيمين باسيدق التفكير فى هذا السر وتفسيره ... »

لكن الملكة والراقصة لم يكونا الناخيين ، ولم يتردد الرجال فى مدن اسكوتلنده بين نبى مدلوثيان وبين ساحر دوننج ستريت، وظهرمن التناخج الأولى أن هزيمة الحافظين ستكون أشد من هزيمة الأحرارقبل ذلك بست سنوات، فالبلاد تتألم وهي تجتاز أزمة زراعية وأزمة مالية ، وهي كشأن المرضى تتقلب إلى الجانب الآخر علها تجد شيئاً من الراحة .

هزم المحافظون هزيمة منكرة ، وكتب جلادستون : « إن رءوسنا متعبة

من الحوادث الجسيمة التى حدثت فى الأسبوعين الأخيرين، وكانت على ماأعتذد باعثة على السرود فى الأنحلية العظمى من العالم النمدين ، ، سيستأمل المطاب تلك النبائات النربية المضرة التى تحت فى ست سنوات، ومدت ظلالما الممينة على الحقول الإنجابزة الطاهرة، وأخذ بحسراً كام قميصه عن فراعيه النبويتين.

قبــل بكونسفيلد الهزعة فى صفاء نفس ، فهو سيرّلح قليلا يين الأشهجار والكتب قبل الموت، وهو يأسف فقط على تركه للأمور الخارجية فى ساعة صعبة ثم على تركه الملكة بصفة خاسة .

كانت عروس الجن في بادن ولم تصدق الأنباء ، فإذا بلتها التيجة الآكدة للانتخابات أرسلت إليه برقية تقول : «ان تكون الحياة لى من بعد إلا مصنيقات وعن ، وإنى أعتبر هـ فد النقيجة عنة عامة » ؛ رد بكونسفيل مديا أرسا عما يتحمله من الحرسان من تلك المحادثات ، عند ما كانت جلالها تشازل بأن تخلط الأحاديث النزلية بالأحاديث الامبراطورية ، ولهذه الأحاديث عنده سحر لا يقدر وأخد فت جلالها منه وعدا بألا يتركها ، وأن يستمر على أن يشير علها في أمورها الخاصة ، وفي الأمور المامة أيضا بالرغم من الجميع ، وأن يسهر في المارضة على مستقبل انجاترا .

طنت الملكة وظن الوزير في بساطة أسها يستطيمان تجبب جلارستون ، فجرا تفيل وهار تنجتون هما الزعيان الرسميان للحزب ، ومن النطق أن ندعو الملكة أحدها وهي تفضل « هارتي تارتي » الذي كان مثال اللياقة في المارشة ، وكان مزرائيلي يجب هار تنجتون منذ رآء وهو نائب يتئاب أثناء إلقائه خطبته الأولى لكن جلارستون قضى على هذه الأمور البسيطة في تواضع لا يتزعزع ، فقد فهم جرا تفيل وهار تنجتون بعد حديث غلمض لكنه واضح الدلالة تماما أنه بحارب كل وزارة لا مكون رئسها واضطرت الملكة للخضوع

انتهت تلك الملاقة السياسية الوثيقة والجيلة ، وكان استقبال الوداع عزنًا ، أهدت المسكنة إلى صديقها القديم تمثالا صغيرًا لها من البرونر وتمثالا من الجبس لمهرها السنبر، وقطمت عليه عهداً بأن يكتب إليها كثيراً وأن بالذير الرساء، وورت أن تظهر عطفها بملامة دائحة وأن تنم عليه بلقب الدوق، دكنه وأى أن ذلك يكون خطأ بمد فشله أمام الأمة ، ولم يلتمس غير مطلب واحد هو أن برغم كورى إلى مصاف النبلاء، فسار بذلك لورد روتون وهوشرف لم يسبق له مثيل لسكر تير خاص ، قال الحساد: « لم يحدث ما عائل ذلك منذ رفع الأميراطور كاليجولا جواده إلى مرتبة القنصل »

أنجز يكونسفيلد وعده فكان يذهب ثوارة اللكة أحيانًا ، وفي أول مرة تعشى فها في قصر وندسور بعد بنسمة أسابيح من تركه مقاليد السلطة قالت له : ﴿ إنّى منتبطة هذه الليلة حتى ان كل ماحدث يبدو لى حلماً منجهاً ووجدها خرحة ممثلة حياة وظريفة بل جيلة ، واعترف لنفسه مرة أخرى أنه يحبها كثيراً واستمرت تكتب إليه لتقول له كلة رقيقة فقط ﴿ إنى أفكر فيك – وأفكر دائماً . وإنى مرتاحة لأن أرى سورتك في الحائط تنظر إلى بعد المشاه » وأحياناً تخاطبه في شئون البلاد بالرغم من النظام المستورى ، وكان شديد التكتم .

كان طول حياة ينتقل في فترات منتظمة من السل إلى التأليف ، وهذه المرة إيضاً عمد إلى التأليف بالرغم من سنه : ﴿ إِنَى إِذَا ما شمرت بالرغبة في قراءة درواية أعمد إلى تأليف رواية » ، فن يستطيع في الواقع أن يكتب له الروايات التي يجمها ، ومرهة أخرى سار البطل الطموح رئيسا الوزارة في آخر سفحة من رواياته بعد أن عملت عوامل خفية وملكية في صالحه ، ورواية ﴿ أندميون » هي قسة سبلى شاب يقوم بجاحه على السداقات النسائية ، وتظهر من السفحات الأولى في الرواية أخت كاملة تعيد شبح سارة المسكينة ، وعر في الرواية جميعها موكب من الناسائيل ، ويعملن على زج اندميون الضعيف بحو دوننج سترب ، ولم يكن الكتاب خالياً من العيوب ، لكن الطريف فيه هو دننج سترب ، ولم يكن الكراب شاب لا يزال سليا .

أخذ لورد روتون على عاتقه بيع حقوق التأليف، وحصل على عشرة آلان جنيه ، أنفقها في شراء أكث منزل جديد في لدن للورد بكونسفيلد الذى استاجره لمدة تسمسنوات وهويقول : « إن هذا الايجار يكفيني إلى حين الحروج » ، قابل الناس هذه الرواية في شوق ، لكنها لم تتجع مجاح لوثير ، وقال الناشر الورد بكونسفيلد إنه خسر تقودا فيها ، فعرض عليه للحال عمرها كرما ، هو إلناء المقد ، لكن لونجان الناشر رفض ذلك ، وأصدر طبعة رخيصة الجمهور عوضت عليه البلغ الذى يقصه .

\* \* \*

يلغ بكونسفيلد السادسة والسبعين من عمره ، وقد فقد قوة حبه السلطة وسار لا يستقد فيها ، قال : ( عرفت في حياتي قليلا ما هو السل ، وهو عبارة عن آمال لا تتحقق ونشاط يبعد » ، وإذا كان قد ترك نفسه تتمشى في حقول الذكرى ، فهو يستطيع أن يحسد حصادا جيدا من دروس التواضع ، فقد رأى الأحرار وهم يتمسكون بإحداث إسلاح انتخابي تكون أول نقيجة له أن يمدهم عن السلطة ، ويستبر الحافظون تنفيذ هذا الإسلاح البنيض نصرا لم ، ورأى بيل يمرد الكالوليك بسد أن قفى على كانتج ، ودزرائيل يترك الحافة بعد أن قلب يهل ، وهو برى جلادستون مهدد روسيا بعد أن سب اللمنات على بكونسفيلد ، ورأى أخرى بيسفر له ، ويهف لجلادستون ثم يصفر ، ثم يعبد من جديد ، ورأى أكثر الوزراء دعاة السم يسك سياسة من أشدها مناصرة ، وأكثر الملاك حيا في الشب الألماني تجد لذ في مقاومة بدبارك ، وماذا تكون نتائج سياسته في براين بعد خسين سنة ؟

أما هو قند أظهر إخلاصاً غربياً لآراء الشباب ، قد يكون برنامجه في سنة ۱۸۸۰ موقعاً علمه من كوننجسي ، على أنه كان فيزمن كوننجسي يستمد في القوة التي لا حد لها في الرجل السبقري ، لكنه يسترف الآن بالقوة العظيمة السالم الخارجي ، وهو لم تخذه الشجاعة ، وهو لا يشى من عزيمة الناس ، لكنه معاد متواضاً إلى أفسى حد، لقد فكر سمن ومانرز ويزى في ظلال دبيدين أن الرجل العظلم المؤيد من الكنيسة ومن الشبان الأشراف يستطيع أن يقلب النظاء المخالة المكال برى لاسها في الكنيسة مجموعة من المظاء الحسودين ومن المتطلمين إلى الأسقفية ومن الفاهب المتنافسة ، وإذا كان قد الحسودين ومن المتطلمين إلى الأسقفية ومن الفاهب المتنافسة ، وإذا كان قد وجد بين شبان الاثراف أصدة عناسين فأيه لم يجد أبداً تلك المدرسة العظيمة من الرحماء الطبيميين التي وسفها في شفف ، وأداد أن يضرب لأمته مثلا خياليا فقشل فسلا لأنه أرستقراطي العقل ، والطباع السائدة في المجترا مي نزعات طبقابها التوسطة

لكن الهزعة كانت نسبية ولم يكن يستاء لشيء مثل أن تفسر بأنها كارنة 
عقلية مؤلة ، فقد قطع شوطاً كبيراً في تبديل الأمور ، وأوجد التوازن بين 
القوى التاريخية والقوى التحويلية ، وله الفضل في أن عرفت انجلترا النظام 
الحكيم في تتابع أنواع الحكيم ، فحياته لم تكن عبئاً غير أنه أخذ زداد ربية في 
قيمة الكلمات ، ويبحث عن الحقيقة فيا وراءها فلا يجدها إلا في الأشخاص 
قيمة الكلمات ، ويبحث عن الحقيقة فيا وراءها فلا يجدها إلا في الأشخاص 
وفي الدوجة العليا من الأمم التي تقدمت في التطور حتى سارت أشخاصاً ، زعم 
بعض الفلاسفة السياسيين أنه في نهاية حياته سار من الأحرار ومن أشده حرة 
والحقيقة أنه لم يين المتاتي عزبه إلا بالولاء ، ولو سأله سائل كا سال سولون :

«أى النظم تفسل ؟» لأجاب إجابته : «لمن ؟ وفي أبة لحظة ؟» ...

افظ مع ذلك على حبه الكامل لمنامرة الحياة السجية ، فهو لم يزل يمتقد في فائدة العمل ، لكنه يطلب أن يكون العمل مترنا وعدوداً ، فهو لم ينقد ثقته إلا في المشروعات العظيمة وحدها ، وهو الآن عنل ظاهرة غربية ، لكنها عبو ق ، عثل رجلا خيالياً قديماً لم يمد محدوعًا بالأوهام الخيالية ، ولا يزال مع خلاف يعلل النفس بأنه مستهتر ومتحمس ، كانت كهولته في بعض النواحي أسمد من شباه ، «فكل شيء يظهر في الشباب خطيراً لا دواء له ، لكن في الكهولة كل شيء يتدبر بخير أو بشر » ، ظل فضوئياً وعب أن مجيط به رجال حديثون ،

وبذل جهداً كبيراً كى يدخل الشبان الثقفون في الحزب ، كان يقول إن الحزب يقضى عليه إذا لم يستمر على إدخال عناصر من الشباب النشيط .

في سنة ١٨٨١ طلب مستر هندان من أوائل الاستراكيين الا بحلز أن يقابل لورد بكونسفيلد ، ومن السجيب أنه كان يأسل التأثير عليه ، وأن يحسل بواسطته على تأليد المحافظين لبعض قوانين البال ، وقد قرأ و سبيبل » وشعر عيل إلى الزعم الكمل للعطف الذي أظهره هذا الزعم على عامة النحب ، المستقبل وأدخل إلى غريقة حوائطها طلبت ، الذي ألام و والدهب ، كانت القاعد المذهبة في كثرة مكسوة بالحر برالأجو ، وانتظر مندمان قبلا ، ثم فتح الباب وظهر شبح غريب : عجوز في رداء منزلي طويل أجر ، وعلى رأسه طروش أجر ، وقد تما العراوش آخر خصلة من شعره مصبوفة بالسواد ولاسمة ، كان منظر الدمار والتب كبيرا حتى يشن الشاب في سبداً الأمم وفكر «أجل ! إنى أتبت المند قد الانحال » .

جلس المجوز وظل ساكنا لا يتحرك وانتظر ، ومن السعب أن يخاطب الانسان تثالا ، قال هندمان في خجل : ﴿ الورد بكونسفيل إن السلم مع الشرف كالة ففي عليها ، لكن السلم مع الزاحة هوما بودأن يسمعه الشب » ووفع المجوز أحد حاجبه وقال : ﴿ إِن السلم مع الراحة عبارة لا بأس بها » ، وفتح عينيه الائتين وقسم وقال : ﴿ أَقُلُوا با معتر عند منا أن له يك بعض الآراء في هذه الممالة فاذا تمني الراحة ؟ » ، فأجل الآخر : ﴿ أَنْ يَاكُل الناس كثيراً ويشر بوا ما فيه الكفاية ، ويكون الديهم منزل سالح وتربية كاملة ، ووقت فراخ كاف التحجيم » .

ص فقال لورد بكونسفيلد : ﴿ أَى أَنْ يَتَحَقَّى مَاهُو فَي حَمَّ الْأَحَلَامُ ! إِنْ لَحْمَ جَمِلُ حَمَّا ... وَأَنْ تَسْقَدُ أَنْ أَمَامُكُ فَرَصَةً لَتَحْقِيقَ هَذَا الْحُمْمِ \* أَوْكَ لَكَ أَنْ ذَلْكُ لَنْ يكون عن طريق حزب الحافظين ، فإنك فى اللحظة النى ترد أن تسمل فيها تجد نفسك محاطاً بكوكية من العائلات الكبيرة رجالا ونساء على الاخص يرتحونك . على الفرار فى كل لحظة ... إن المجاترا با مستر هندمان بلد يصعب تحريك ... بلد يجب أن تنتظر فيه الفشل أكثر مما تنتظر النجاح، فقد تستطيع أن بدفع المجاترا . إلى عمل هذا ، (وكان لورد يكونسفياد ضاماً بديه فأبيدها مقدار نصف قبضة ، وكان الوزير الكهل يرفع تقل السالم كي يفسلهما) ثم هكذا أيضاً ، (وفتح بديه مقدار نصف قبضة) ولكن يستمجل هذا ... ، .

حاولت المومياء عبثاً أن تفتح ذراعها التقاصتين ثم سقطتا على ركبتها .

#### زهرته المحبوبة

هو يين هو جندن والوحدة والكتب والدكريات ، كتب إلى دوقة « رتلند » : « لم أغاطب مخلوة منذ أسبوعين » ، وهو بجد في ذلك راحة ، « ولم أكد أبدل أحداً كلة منذ ثلاثة أساسع ، لكن لنائذ الميس في الريف أثناء السيف هي لدائد متجددة أمدا ، فالطواويس تقد في غير حواك تستدفي الشمس على حشيس كالتعليفة ، وهي لا تنطق فضلا عن أنها لا تتحرك ، وهذه فضية فها ، أما في الصباح فهي تنشر ذبولها وتسبح وتتنازل أو تتماثل » ، وهو أيضا يحب أن بدق أعطاء المجوزة في الشمس ، وأن ينزه في الدل محت النجوم في الماعة التي وصفها شكسبر حين تبدأ المخافيش رقسها التعرج الرادى ، وهو لا تزال بحيط نفسه بالرهور من البنفسج وأزهار الربع إلى الجردينيا والأرشيدة ، غير الحقيقية التي بحدها أحيانا في الأطفال والنساء . قد تمي في صباء أن تكون لا يتمني إلا الدفء في غير حراك ، فاذا وعته مناشقة هامة إلى مجلس الموردات ذكر خطار الليل وكتب يقول : « إني لا أستطيع أن أقام سحر الوسيق المليئة في سوت اللتفاق وحفيف الأشجار ولون الزمم ، الأحم »

\*\*\*

أمضى فى سنة 14۸۰ عبد البلاد بهوجندن وحبدا ، وحمل إلى المالدة كتابا سار يقرأ فيه عشر دقائق بين كل صنف من الطعام وآخر ، وكان كنيراً ما يقرأ تاريخ جهورية فينزيا ، وهو موضوع بيانه له منذ ستين سنة ، وأحياناً بقرأ لكاتب قديم مثل لوسيان أو هوراس أو تبوكريت أو فرجيل الذى زاد شففه 4 ،

وأمامه في غرفة المائدة المصنوعة من البلوط صورة الملكة كما رسمها فون أنجل ، وفيها تظهر اللكة جافة الملامح شديدة بعض الشيء ، ثم قام ليجلس إلى جانب النار في الكتبة وقرأ قليلا ثم أغمض عينيه وظل يحلم ، ونعقت بومة في الخراك غذكرته ماري آن وملامحها العزيزة المتعبة الضامرة ، وخيل إليه أنه يسمع الترثرة الرحة التي حافظت عليها في شجاعة حتى النهاية ، والزلقت قطعة من الحطب فتطاير الشرر حول الرجل العجوز ، وإنها لمثل قصير وبراق للحياة ، فمنذ خمسين سنة في غرفة استقبال صغيرة ستائرها من الموسلين الأبيض ، رأى وجوها جميلة تضحك حوله من عائلة شريدان . . . كارولين نورتون . . . ما أجلها في حدائل شعرها السوداء وعينها البنفسجيتين ، لقد حافظت على هذا الجال حتى النهاية ، كانت تقول : « نعم سأظل جميلة حتى فى النعش » ، وهى الآن فى ذلك النعش منذ ثلاث سنوات بعد حياة صعبة ، وقالت في نهامة حياتها : «الحب ، الحب في الحياة ، ذلك بذكرني دأمًا بمجوز تمتلك منزلا في برايتون قالت لي إنك تعلمين أنك تسكنين منزلي وكل ما خلا ذلك زائد — أجل! إن الحب زائد في الحياة ، ويجب أن ندفع من أجله تمنا» . إن السيدات في الكهولة برين الحقيقة ، حتى اللكة ، فعي تقول : ﴿ إِنَّ كَالَّا زَدْتَ شَيْخُوخَةً كَاا قُلَّ فَهُمَى لِلعَالَمُ . . . لا أستطيع أن أفهم ما فيه من صغائر . . . وعند ما أرى طيش الناس يخيل إلى أنًا جيماً تحبولون بعض الشيء » . . . إما جميعاً مخبولون بعض الشيء . . . فهو مثلا قد أمضى حياته في البحث . . . عم يبحث ؟ وما الذي وجد فيه السعادة الحقة ؟ بعض نظرات الاعتراف بالجميل من مارى آن وصداقاته الجميلة لمانرز وبنتنك ، وثقة دربي في شيخوخته ، وثقة الملكة وبعض الابتسامات من لادي برادفورد . . . باغته سكرتير شاب وهو يسعل ويتنفس في صعوبة ويتمم في صوت منخفض لنفسه أحلام . . . أحلام .

صعد إلى غرفة نومه وقد أحب أن يزين البهو والسلم بصور أولئك الدين زينوا حياته ، وهو يسمها متحف الصداقة ، وكان وهو يصمعد في بطء وفي ...

ف ٣١ ديسمبر عاد إلى لندن قائلا : « أريد أن أرى الناس وأعناد السوت البندى القدس ، وليس من السهل أن أخرج من الوحدة المدينة التي أيسن فيها إلى مجلس الوردات وألتي خبلية عن إمبراطورية نمار ؟ ، كان يجد صموية في السكلام لا سبا أنس ضيق التنفس لا يفارته ، وهن لورد جرافقيل زعم إلجلس من الأحراد إذ دارة وهو التبهور بالسبر بطلب السكلام في إصرار عنيف أرده في عن من الحشونة ، وقبل لورد بكو تسفيد هذا الرد في سكون ، لكن لورد جرافقيل فيا بعد أن المريض السجوز لا بحد الراحة فوده روتون أخبر لورد جرافقيل فيا بعد أن المريض السجوز لا بحد الراحة فقط ، فقال متافة واحدة فقط ، فقال ، فقال ، فل أن فصح عن ذلك ، على أن لور دو بكون منسطة واحدة ورود بكون نيفسح عن ذلك ، على أن

ما تحسنت سحته قليلا حتى أخذ ينردد على المجتمعات ، كان أحيانًا يسحر الحاضرين بحزن عبارانه القسيرة القدعة ، وظرف آدامه السيقة ، واشتهر بقمس عباراته بقدر ما اشتهر في شبابه بيريقها ، ورأى مرة فناة مدّت بزراعها الدارية فنعهم في بساطة اسم «كانوة» .

وفى بمض الأيام كان يظل صامتاً أثناء الطمام لا يتحرك جسده ولا وجهه

مطلقاً حتى ليقال إنه مومياء فرعون محنطة بأيد تقية وضمت وسط الأشياء التى يحبها من بلور وفضة وأزهار .

احتفظ لورد بكونسفيد كانته بارنم من الفشل الانتخابي ، وقد برى 
صورته في موسم الشرف بنادى الهافئان وهي تلفت أنظار الجحيع بنظرتها الثابتة 
الفظيمة ، وكتب على الأطار بيت من شعر هوميروس : «هو وحده الحكيم ، 
أما الآخرون فأشياح زائلة » . كان في أعماق نفسه من الدين لا يحملون سفينة 
أما الآخرون فأشياح زائلة » . كان في أعماق نفسه من الدين لا يحملون سفينة 
ولا يأسفون ؟ وقال مير جون ميلت مهة فظل ينظر طويلا إلى صورة تخطيطية 
عمل جلاوستون ، فقال له الرسام : «هل محب أن تأخذها فإنى لم أجرؤ على 
تقديما إليك » ، فأجلب : «إنى أكون مسرورا جدا لو أعطيها ، 
فلا تتسور أبى أكره وليم جلادستون أبذا ، لا ! إن الصعوبة بينى وبينه 
هى أبى لا أستطيع فهمه » .

كان شهر ينار من سنة ١٨٨١ شديد البرد ، وتأثر لورد بكونسفيلد بالبرد ، فسار في نوع من المجلول ، عشى أياماً عديدة وهو ممدد على مقعد ، وفي تلك الأيام يكون شعاع قسير من الشمس أنمن لديه من قلادة ربطة الساق ، وهو الأيام يكون شعاع قسير من الشمس أنمن لديه من قلادة ربطة الساق ، وهو نهم في بالميت وسالة للادى برادفورد ، أو لادى شستر فيلد ، وفي شهر فيرار وفي مبدأ شهر مارس استطاع الخروج قليلا ، والسكام في مجلس اللوردات لكن الربيع لم يأت ؛ وفي محو آخر شهر مارس أسابه برد ولازم الفراش وكان الربيع لم يأت ؛ وفي محو آخر شهر مارس أسابه برد ولازم الفراش وكان يتنفس بمسومة ، وعند ما تسلت المسكة رسائله مكتوبة بقلم الرساس قلقت يتنفس بمسومة ، وعند ما تسلت المسكة رسائله مكتوبة بقلم الرساس قلقت المرس ، واقترمت المسكة المجاع طبيبها بطبيعه ، لمكن نظم الأطباء محول دون الانسال بطبيب من هذا النوع .

أخيراً تنلبت إرادة اللكم على عداوات الهنــة ووصف مريضه بأنه نزلة شمبية مغ ضيق في التنفس . كان الأطباء فى مبدأ الأمر، يأماون شفاه ، لكن المريض قال : « لن أرأ من من هذا المرض ، إنى أشعر بأن ذلك مستجيل » وقد كتب من قبل : « بجب الشماب فى شجاعة إلى الوت » ، كان يسأل فى إسرار أن يخبروه عمما إذا كان عوب قائلا : « إنى أفضل الحياة لكنى لا أضنى الموت » وهو ينظ إلى ساعاته الأخبرة نظرة الفنان الذى لا يهمه غير النظهر الذى » لم يظهر من السبر فى حياته ما أظهره فى مرسمته ، وسحر بجيم الذين التربواسنه ، وأسلم مجارب خطبته الأخبرة فى مسعوبة وهو فى فراشم قائلا : « لا أريد أن أشهر فى المستقبل بأنى لا أحسن قواعد الكتابة » ، وظل حتى آخر لحظة كلوماً لوسائل الراحة الدادية ، قشمة وسادة ممتلة بالمواء محته لتربحه فتم قائلا : « ارفى اارفى مادوي في ورثم الفناه »

تنبت الملكة مرض صديقها القديم في قان ، وعرست عدة مرات أن ندهب لتراه لكن الأطباء خشوا أن يضطرب الريض أكثر بما يجب لهـ فداوازة ، وكانت ترسل البوقيات كل وم من وندسور لتقف على أخباره : ﴿ إِنَّ أُوسِل البِك للمن وَهُوسِ أَوْمِن أَمْل البِك أَن تقل كميا في ما وقال تتكلم ، وإِنَّ أَطلب إليك أَن تقل كميا في الله وأن عالم إليك أَن تقلل كميا في المناقب وأن عمره والله تتمور في شيء » كانت غرفته بعنابها في المكتل الجيلة ذات الألوان السافية ، وعند ما اضطرت فيكنوونا السفر إلى جزيرة وابن أرسلت رسولا ممه أزهار أيسنا ورسالة ، وباغ بكونسفيد من الشعف حدا لا يستطيع ممه قراءة الرسالة بنفسه ، فأخذ يقلها في يده طرا ا> ثم قال بعد تذكير : ﴿ يجب أَنْ يقرأ لى هـنه الرسالة لورد يارتجنون أحد المشادرين الخاصين » ، فو يجب أنا الهافظة على التقاليد ، وجاء المشادار وقرأ : ﴿ عَرْنِي لُورَد بكونسفيله ، أوسل إليك بعض أؤهار الرسح المناس وقرأ : ﴿ عَرْنِي لُورَد بكونسفيله ، أوسل إليك بعض أؤهار الرسح المناس وقرأ : ﴿ عَرْنِي لُورَد بكونسفيله ، أوسل إليك بعض أؤهار الرسح المناس وقرأ : ﴿ عَرْنِي لُورَد بكونسفيله ، أوسل إليك بعض أؤهار الرسح

المجوبة لديك » . كان هذا المزيج من الحزن والشعر الريني في الرسالة ملائما لعزرائيلي وهو على سرير الوت .

ظل الجمهور فى الخارج ينتظر الأخبار ، وتقدم سيد بذلا دمه ، ومن السما أن يتصور الجمهور أن ذلك الساحر النريب الذى ساد من المنشئات. الوطنية يختنق كما يختنق الرجل الغانى ؛ انتظر الناس ما لا ينتظر حتى فى الموت ، وسرت بين الجمهور دوايات غربية ، فقيل إله دعا للاعتراف قساً من الاسوعيين ؛ لكن الحقيقة أن لورد بكونسفياد لم يكن سرا ، بل هو كجميع الناس ، يسير فى هدو، نحو نهاية أجله ، وفى نحو الساعة الثانية من سباح عاصراً وهو محسك باليد المحتى لمكن أن النهاية تقترب ، وكان لورد روتون الجسد فى بطء بأن ألقى كتفيه إلى الخلف، وعرف الدين من حوله وهم فى مجبد حركته المألوفة عند ما يقف السكلام فى الجميل ، وتحرك شفتاه ، لكن المحاة، الذين بلادوا للاقتراب منا لم يسمعوا كلة واحدة ، ثم عاد فسقط جسد. ألطاف ، ولم يستيقظ من وحته .

\*\*\*

عرض جلادستون باسم الحكومة أن تكون الجنازة رسمية ، وأن مدنى ف قب كبنية وسيته دأوا أن لورد قبر بكنيسة وستمنستر ، لكن الدن أقاسهم على تنفيذ وصيته دأوا أن لورد بكونسفيلا كان يود أن بدفن في هوجندن على مقربة من زوجته في القبرة. الصغيرة ، بجوار الكنيسة في هوجندن ، لذلك تم الدفن في حداثته ببساطة كبيرة ، وبحضور ولي المهد وبعض الأصدة ، وكان على النمش إكليلان من الملكة أحدها من أزهار الربيع الطبيعية كتب عليه : « أزهاره الحبوبة » ، الملكة على الآخر يدها : « دليل الحب الخالص والسداقة والاحترام » . كانت الملكة في تلك السخلة بعيدة في أوزبورن ، بحيث لا تستطيع حضور كانت الملكة ما مادت حتى زارت القبر ماشية على قدمها من القسر ، أي

فى الطريق الذى اخترقه موكب الجنازة ، وأفامت فى الكنيسة نصباً نذكارا على نفقتها ، ونرى هنالك تحت الرموز الخاسة بمرتبته كشريف سورة جانبية لرجهه من الرغام ، ونقرأ تحت ذلك :

إلى

الدكوى الدريفة الدززة لبنيامين إدل بكونسفيد أدم هذا النصب التذكارى مواسطة ملكته المترفة بفضله وصديقت «مريضاة اللوك شفتا حق»

أثارت الكتابة الملكية على أزهار الربيح « أزهار، الهبورة » لنطا كثيرا فإن بساطة هذا الاختيار شابقت سنافسيه الدائمين ، وقال جلاستون اللادى دورثى نفيل وهو جالس إلى جانبها على مائدة الطمام إله يشك في ميل لورد بكونسفيله لمذه الازهار ، وسألما : « قولى بشرفك يا لادى دورثى هل سمت قط لورد بكونسفيله يعرب عن إمجاب خاص بأزهار الربيع ؟ إنى أعتقد أنه كان يفضل الزنبة الجيار » .

لكن في السنة التالية ، عند ما اقترب بوم 19 أبريل ذكرى وفاه سأل كثيرون من تلامينه وأسدة بهي الأوهار في لندن بأن يعدوا باقات صغيرة من أزهار الربيح الديزة لدى فورد بكونسفيله ، وعند ما جاء اليوم مشى على أرسفة وست إند كثيرون من المارة ، وقد زينوا بها صدورهم ، وامتدت المادة من سنة إلى سنة ، وانشلت جمعة كبيرة من الحافظين سميت جمعة أزهار الربيع ، وفي ساحة البرلمان الصغيرة في كل ربيع يزور تتال وذرائيلي عدد لا يحصى من الخلسين الدكراء ، يحيثون لزينوا تمثاله نرهريه الحبورة .

بعد مرور بضع سنوات على وفاة دزرائيلي ، اقترب دكتور ﴿ بِل ﴾ من لورد

استاس سسل في مادي كاراتون وقال: ألا ترال تذكر الأحاديث التي كانت نجري ييننا هنا في المكتبة عادة حين كنا غاضيين على زعمائنا و تلتبهم «الجوكي والهودي» والآلب في هذا السياح نفسه عند ما كنت ماراً أمام وستمنستر، وأيت تتال مستر دزرائيلي مفعلي كله بالأزهار ... أي نم ... إنهم الآن جعلوه قديسا » . قديس ؟ لا ! إن دزرائيلي بسيد عرب أن يكون قديساً ، لكن رعا اعتروه روحا قديمة الربيع ، تهرم دائما ، ثم تميا دائما من جديد ، وهو رمن الما يستطيع القلب الذي احتفاظ بشبابه طويلا أن يفعل في عالم بعاديه .